عبد الله الجبوري
عضو رابطة الأدب الحديث
بالقاهرة

نقد وتعريف

الطبعة الاولى
١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة المعارف ـ بغداد

al-Jabbūrī, ʻAbd Allāh

al-Jubūrī, ʻAbd Allāh

عبد الله الجبوري

عضو رابطة الأدب الحديث
بالقاهرة

Naqd wa-taʻrīf

نقد وتعريف

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٢

المقدمة

بقلم

الدكتور على الزبيرى
عميد كلية الآداب سابقاً

الأستاذ عبدالله الجبورى من شبابنا القلائل الذين نجحوا فى أن لا تضيع أوقاتهم هباء وان لا يذهب أدبهم جفاء . وهذه أولى الفضائل فى زمن يعج بالمغريات ويزدحم بوسائل الاضاعة والضياع . فليس من السهل على معلم فى الريف يعمل من الصباح حتى المساء أن يكرس ما تبقى من يومه لعمل آخر بدلاً من أن يتسكع ويكتب بدلاً من أن يقضى الوقت الباقى بجلسة طويلة فارغة فى نادى الموظفين أو مقهى القرية . ولهذا اعتاد الجبورى أن يتحفنا بين حين وآخر بمقال شيق أو قصيدة لطيفة أو بحث مفيد .

والكتاب الذى بين يديك يحوى عدداً من هذه المقالات والبحوث ويمتاز بأنه ينقلك من زهرة الى زهرة ويحفظ لك حرية الاختيار ، فتقرأ ما يحلو لك وتترك ما لا تحب . وقد حظى الشعر والشعراء بأكثر المقالات فتناول الكاتب : الرصافى وعراقيات الكاظمى وديوان العرجى كما تطرق الى شؤون إسلامية كمقال (لا رق فى القرآن) ومثال (الرسول القائد) .

وعنوان الكتاب (نقد وتعريف) يشير الى طبيعة هذه المقالات فهى كما يقول صاحبها « شتى بعضها فى النقـــد والآخر فى التعريف وآخر فى الدراسة الأدبية وآخر ... الخ » والحق أن النقد غالب عليها .

لقد أحسن الأستاذ الجبورى بجمعه هذا العدد من مقالاته فى كتاب فانتشلها بذلك من الضياع وتخلص مما وقع فيه أغلب كتاب المقالة ، وهم كثرة بين أدباء العراق ، فمقالاتهم على جودتها وطرافتها مبعثرة فى الصحف والمجلات القديمة والحديثة . ولو اهتم أدباؤنا بجمعها ونشرها كما يفعل أكثر كتاب العالم لكان لنا أدب غزير طافح بألوان من المعرفة وضروب من الموضوعات .

* * *

والمقالة اليوم من أظهر فنون الأدب وأقواها صلة بالجمهور . لقد كان لتطور الصحافة والإذاعة ودخولها فى حياتنا اليومية أعظم الأثر فى هذا التطور والانتشار . ولو استعرضت أسماء كبار الكتاب فى العالم لوجدت أنهم من خيرة كتاب المقالة القصيرة . ولعلنا لا نغالى إذا قلنا ان المقالة هى التى مهدت لهم طريق الشهرة وهيأت الجو الملائم لذيوع الفنون الاخرى من إنتاجهم الأدبى . والكاتب الذى يؤلف الكتب الضخمة والمؤلفات الأكاديمية ولا يجيد كتابة المقالة الصحفية القصيرة يظل مغموراً بعيداً عن الجمهور . وقلما يستطيع هذا النوع من الكتاب ممارسة فن المقالة لأن هذا الفن يتطلب مقدرة خاصة على تبسيط الأسلوب وتركيز الفكرة والقدرة على قياس مدارك القراء وأذواقهم المختلفة ، وهى مواهب لا تتوفر لكل أديب ومؤلف .

وأنا إذ أقدم هذا الكتاب لابد لى من الإشارة الى اننا فى حاجة ماسة الى أولئك الكتاب الذين يستطيعون تبسيط المعرفة وتسهيلها على الناس . فنحن بحاجة الى هذا النوع من الأدباء الذين يعرفون التحدث بلغة الصحف ويقدرون على الخروج من صالونات الخاصة الى دوائر العامة . . أدباء يتقنون الأسلوب الذى نسميه بالسهل الممتنع . ولا جدال فى أن الاستفادة ستبقى محدودة من عالم لا يعرف إلا لغة المختبر وأديب لا يتقن غير الكتابة لأهل الأدب والفن .

الدكتور على أحمد الزبيدى
الأستاذ المساعد بكلية الآداب

بغداد فى ١٠/٥/١٩٦٢

تمهيد

فى هذا الكتاب الذى أضعه بين يديك - عزيزى القارىء - مقالات وبحوث أدبية ، - وإن لم تكن قد كتبت وفق القواعد المقررة ، للمقال الأدبى ، فإنها لابد إن احتوت شرطاً من هذه القواعـــد . وحسبى انها كتبت بدافع الحق والانصاف !

وهذه المقالات شتى ، بعضها فى النقد ، والآخر فى التعريف ، وآخر فى الدراسة الأدبية ، وآخر فى البحث الأدبى ، وكتبت جميعها فى أوقات مختلفة ، بعضها نشر فى الصحف والمجلات العربية والعراقية ، وبعضها لم يكتب له أن ينشر ، وآخر ألقى محاضرة فى رابطة الأدب الحـــديث فى القاهرة . . . !

فمساهمة منى فى تعزيز وعضد الحركة الأدبية المنطلقة فى العراق العربى والتى نرجو لها أن تساير الحركات الأدبية المنطلقة فى العالم العربى ، لتشارك فى وضع لبنة فى صرح الأدب القومى ، ليصبح أدبنا (أدباً عالمياً) كما كان فى العصور الذهبية ، وما ذلك على الأدباء المؤمنين بأمتهم وأنفسهم ببعيد . !

فللسبب آنف الذكر رأيت من الواجب عليّ أن أعمد الى جمعها وضمها بعضها لبعض فى هذا الكتيب... الذى تراه - ولم أجد عنواناً ينطبق على محتواه خيراً من هذا العنوان : « نقد وتعريف » .. ليكون اسمه دالاً على مضمونه .

فإن أصبت فتلك غايتي ، وإلا .. فإنما الأعمال بالنيات .. !

ولله الحمد أولاً وآخراً .

المؤلف

بغداد فى ١٨/١١/١٩٦١م

مع الرصافي في آثاره

تخلد الأمم الواعية عظماءها الذين كافحوا العدوان وقارعوا الظلم والطغاة ـ والرصافى من الأفذاذ القلائل الذين وقفوا حياتهم فى سبيل الشعب وشاطروه الآمال والآلام بعقيدة راسخة وعزم وثاب ، فما تزلف الى (الملوك والأمراء) ولا أنحرف عن مصلحة الشعب . فجدير بأمة العرب أن تخلد شاعرها الفريد بتخليد آثاره فهو ليس وقفاً على بلده وحده إنما هو ملك الأمة العربية المجيدة فى أصقاعها وأقطارها . شأن كل شاعر عربى خدم أمته ووطنه .

ترك الرصافى ثروة أدبية جمـــة وهو الشاعر العالم الأديب قال عنه المستشرق الروسى المرحوم الأستاذ أغناطيوس تشفويفسكى[1] « ... الرصافى يمتاز بعبقرية الشاعر الواقعى سواء فى شعره الغنائى أو الوصفى أو السياسى أو الاجتماعى ... » اه .

وديوان شعره الكبير تاج آثاره ...

طبع الجزء الأول منه سنة ١٩١٠ م فى بيروت وكتب له مقدمة ضافية

---

(١) مستشرق روسي كبير خدم اللغة العربية خدمة جليلة ومن أشهر آثاره بالعربيـــة (ديوان الوأواء الدمشقي) وكتاب (البديع) للشاعر الخليفة العباسي عبدالله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٨ هـ . ولد في فيلنا « Vilna » عام ١٨٨٣ م . ودرس في معهد اللغات الشرقية بجامعة « لينينغراد » حيث عكف على دراسة العربية والفارسية والتركية والعبرية والتتارية والحبشية القديمة . وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٢٣ م وتوفي في لننغراد عام ١٩٥١ م .

صديقه المرحوم الشيخ محي الدين الخياط ..[1] . بعد أن ابتاعه منه (السيد محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية فى بيروت) . حين أعوزه المال لنفقات سفره من اسطنبول الى بغداد وقد شرح ألفاظه اللغوية العلامة المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ...[2]

وقد طبعه الشاعر مرة ثانية فى مطبعة المعرض فى بيروت بجزأين عام ١٩٣١ م . وذلك بعد أن تسلف من وزارة المعارف العراقية مبلغاً قدره (٣٠٠) ديناراً . . وتكاد تكون هذه الطبعة من أحسن الطبعات . وبعد أن آثره الله سبحانه وتعالى الى جواره فى يوم الجمعة الموافق ١٦ آذار من عام ١٩٤٥ م . طبع أربع طبعات وقد شرح بعض كلماته الصعبة الأستاذ الكبير مصطفى السقا . . وأكثر قصائد هذه الطبعات من الديوان لم تنشر كاملة حسب الظروف التى كانت تحيط بنا آنذاك وما كان ينشره الحكام الطغاة الخونة من ظلم وارهاب . . ونشر بعضها مبتوراً بتراً يكاد يشوه روعة القصائد العصماء . . بالإضافة الى الأغلاط المطبعية التى تموج فى خضم الديوان وتشوه محاسن قريض الرصافى الرائع . . ومن آثاره التى طبعها إبان حياته ونفدت من الاسواق رواية « الرؤيا » سنة ١٩٠٩ م وقد طبعت فى بغداد مترجمة عن الشاعر التركى الشهير نامق كمال ...

---

(١) محي الدين بن أحمد الخياط . شاعر . أديب . عارف باللغة والتاريخ ولد في صيدا « لبنان » عام ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م . وتوفي عام ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م ومن أشهر آثاره : دروس التاريخ الاسلامي . دروس النحو والصرف ، تفسير الغريب من ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي .

(٢) مصطفى الغلاييني : ـ علم من أعلام الفكر والجهاد القومي في العصر الحديث ، شاعر ، عالم أديب .

تولى القضاء الشرعي في بيروت وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٢٧م ومن شيوخه الامام محمد عبده ، وسيد مرصفي ، ومحي الدين الخياط ، ولد عام ١٨٨٥ م وتوفي عام ١٩٤٤ م . ومن أشهر آثاره دروس في اللغة العربية ، نظرات في اللغة والأدب ، وديوان شعره الكبير .

وكتاب « دفع الهجنة فى ارتضاخ اللكنة » المطبوع فى الاستانة سنة ١٣٣١ هـ على نفقة مجلة (لسان العرب) التى كان يصدرها المجاهد العربى المرحوم الاستاذ أحمد عزة الاعظمى[١] . .

وهو قاموس لغوى ضمنه الكلمات العربية المستعملة فى اللغة التركية ...

وكتاب « نفح الطيب فى الخطابة والخطيب » وقد طبعه فى مطبعة الاوقاف الإسلامية بالاستانة عام ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م وهو كتاب تأريخى لغوى تطرق فيه الى الخطابة والخطيب عند العرب منذ نشأتها حتى عصره .

وكتاب « تأريخ آداب اللغة العربية » وقد طبع فى بغداد عام ١٩٢٨ م ملحقاً لمجلة التربية والتعليم التى كان يصدرها الأستاذ الكبير ساطع الحصرى[٢] فى بغداد . وكتاب « آراء أبى العلاء المعرى » المطبوع فى بغداد عام ١٩٥٥ م بمطبعة المعارف ويقع فى (١٨٦) صفحة من القطع المتوسط وقد قدم له الأستاذ عبد الحميد الرشودى .

---

(١) أحمد عزة الأعظمي ، علم من اعلام العروبة والجهاد في العراق ، وقف حياته في سبيل القضية العربية ، صحافي مشهور ، أصدر مجلة اللسان عام ١٩١٩ م في بغداد ومجلة لسان العرب في الاستانة ، ومجلة المعرض في بغداد عام ١٩٢٥ م . وتوفي في بغداد عام ١٩٣٦ م الأربعاء ٢٢ تموز ومن أشهر آثاره المطبوعة « القضية العربية » ومن جملة من رثوه استاذنا العلامة الكبير الشيخ محمد بهجة الأثري بقصيدة واليكها : -

أرخصت فيك مدامعي وقصيدي	لو خففا من لوعتي وسهودي
القلب منقد الأسى ، فدامعي	زفرات محزون عليك عميد
يا مضرب الأمثال في أخلاقه	صلى الاله عليك من مفقود
الناس مجمعة على أن لا فتى	باراك في خلق ملكت حميد
وطنيـة عض الحديد عمودها	فبدا المضاض عليه لا في العود
ولقد صبرت مع الصدود على الطوى	دهراً ولم تخضع لقوم ثمود
هيهات تخفى في البلاد مواقف	لك كالكواكب في الليالي السود
غادرتنا والحادثات طوالع	يرمقن أي فتى لهن عميد
وأرى الزمان بمثل شخصك باخلا	يغشى حوادثه بقلب جليد

(٢) عميد معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة سابقاً .

ورسالة صغيرة طبعت فى بغداد عام ١٩٤٦ م سماها على « باب سجن أبى العلاء » وهى نقد لكتاب الدكتور طه حسين « مع أبى العلاء فى سجنه » . وقد قدم لها الأديب اللبنانى الأستاذ محمد على الزرقا بتسع وثلاثين صفحة من صفحاتها المئة وثلاث وثلاثين من القطع الصغير . وقد استدرك عليه الأستاذ مصطفى على فى كتابه « الرصافى ، صلتى به ، وصيته ، مؤلفاته » أخطاء تاريخية تتعلق بحياة الرصافى .

وكتاب « الأدب الرفيع فى ميزان الشعر وقوافيه » وقد طبع فى بغداد عام ١٩٥٦ م ويقع فى مئة وثمان وعشرين صفحة من القطع المتوسط وقدم له الأستاذان : كمال ابراهيم[١] والدكتور مصطفى جواد .. ورسالة صغيرة إسمها « عالم الذباب » المطبوعة فى بغداد عام ١٩٤٧ وقدم لها الأستاذ عبدالوهاب الأمين وتقع فى خمسين صفحة من القطع الصغير ، ورسائل صغيرة جمعها الرصافى فى كتاب واحد أسماه « رسائل التعليقات » وهى نقد لكتب ثلاثة .

الرسالة الاولى نقـــد لكتاب « النثر الفنى » للمرحوم الدكتور زكى مبارك[٢] . والرسالة الثانية نقد لكتاب « التصوف فى الإسلام » لزكى مبارك أيضاً . . . والرسالة الثالثة نقد لكتاب المستشرق الطليانى كيتونا كايتانى[٣] ، وقد كتب مقدمته الأستاذ الشاعر نعمان ماهر الكنعانى فى أربع صفحات ونصف الصفحة من صفحاته المئتين وأربع من القطع المتوسط وطبع فى بغداد عام ١٩٤٤ م مطبعة المعارف وفى عام ١٩٥٧ م أعيد طبعه فى بيروت

---

(١) عميد كلية التربية ورئيس قسم اللغة العربية فيها — جامعة بغداد .

(٢) أديب مصري كبير . ولد سنة ١٨٩٦ م وتوفي في القاهرة عام ١٩٥٢ م وله من الآثار ما يفيف على « ٢٢ » مؤلفاً وكلها مطبوعة وهي في الأدب والشعر والفلسفة والتاريخ .

(٣) الأمير ليون كايتاني Leone. Cautani مستشرق ايطالي ألف بالايطالية كتابه المشهور « تاريخ الاسلام » وطبع سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٨ م في ثماني مجلدات ولد عام ١٨٦٩ م في روما وتوفي في عام ١٩٢٦ م .

وصدر عن دار ريحاني ونشر في هذه الطبعة في ذيل الكتاب بعض ما دار بين المرحوم الرصافي والأستاذ دريني خشبة من مناقشات حول « وحدة الوجود » والتي كانت قد نشرت في مجلة « الرسالة » للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات وذلك إثر صدور كتاب رسائل التعليقات للمرحوم الرصافي ومن المعلوم ان رسائل التعليقات هذه هي التي جرت تهمة الزندقة والإلحاد الى الرصافي . . .

وكتاب « تمائم التربية والتعليم » وقد نظم هذه المجموعة في الإستانة حينما ذهب اليها مغاضباً عام ١٩٢٢ م . وطبعت في بغداد . . وكتاب « الأناشيد المدرسية » وقد نظمها في القدس باقتراح من أحد أصدقائه في التدريس حينما كان مدرسا للأدب العربي في أحد معاهدها وطبع عام ١٩٢٠ م .

وكتاب « نظرة اجمالية في حياة المتنبي » وقد قدم له وحققه الأستاذ المرحوم ابراهيم العلوي[١] واستغرقت مقدمته ستاً وعشرين صفحة من صفحات الكتاب البالغة « ٧٨ » من القطع المتوسط . وطبع في مطبعة المعارف عام ١٩٥٩ م بغداد .

ومن آثاره الخطية كتابه العظيم « الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس » ويقع في أربعين دفتراً ونيف من الدفاتر المدرسية كما يصفه الاستاذ مصطفى علي[٢] . وقد أسهب فيه في شرح سيرة النبي العربي الكريم محمد (ص) . ووصف هذا الكتاب فيلسوف الفريكة المرحوم أمين الريحاني بقوله

---

(١) توفي الاستاذ ابراهيم العلوي في يوم الأحد ١٥ نيسان ١٩٦٢ .

(٢) راجع ص ٢٥٣ . الرصافي صلتي به . وصيته . مؤلفاته . مصطفى علي .

(٣) توجد نسخة الكتاب الأصلية لدى السيد المرحوم محمود السنوي وهي بخط الرصافي كما توجد نسختان خطيتان لهذا الكتاب ، احداهما لدى الأستاذ كامل الجادرجي والثانية لدى الأستاذ مصطفى علي . ولدى المجمع العلمي العراقي نسخة مصورة له عن نسخة الجادرجي .

(كتب كتاباً - يعني الرصافي - فريداً في بابه باللغة العربية هو سيرة النبي العربي محمد أطلعني عليه مخطوطاً بيده في سبعة دفاتر من الدفاتر المدرسية .

ما أدهشني ما في هذا الكتاب من العلم والتحقيق لأن مصادر الموضوع متوفرة لمن يشاء معالجته ويحسن البحث والموازنة . إنما أدهشتني القوة الناقدة والمقدرة على التحليل والاستمزاج والتفلسف في عقائد لا تستقيم بغير الايمان والجرأة والصراحة مع الاتكال على العقل والعلم منهما)[1] .

وقد وصفه أيضاً الفيلسوف المرحوم الدكتور زكي مبارك بقوله (ولكن كتابه عن النبي محمد (ص) كتاب هائل جداً وترجع أهميته الى ما فيه من نقد الأخبار والأحاديث وقد لا تتسع الصدور لهذا الكتاب . .)

وكتاب « الرسالة العراقية[2] » . وكتاب « الآلة والأداة » ... وكتاب « خواطر ونوادر » ، وقد كتبه في مدينة الفلوجة عام ١٩٤٠ م وقد جمع فيه ما عنّ له من خواطر أدبية ولغوية واجتماعية وعلمية وفنية ودينية .

وكتاب « دفع المراق في كلام أهل العراق » ، وقد نشر منه فصولاً في مجلة « لغة العرب » التي كان يصدرها الأب أنستاس ماري الكرملي في بغداد في أجزاء مجلته من سنواتها الثلاث ، الرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، الصادرة بين آب ١٩٢٦ م — وأيلول من عام ١٩٢٨ م كما نشر قسم الامثال العامية منه المرحوم الاستاذ نوري ثابت في مجلته « أ . حبزبوز[3] » ، وذلك في أجزاء جريدته من السنة الاولى الصادرة بين ١٢ كانون الثاني و٢٣ شباط من سنة ١٩٣٢ م .. ويرجح الأستاذ مصطفى على فقدان هذا الكتاب ...

هذا ما عنّ لنا من ذكر وتعريف آثار شاعرنا الرصافي المطبوعة

---

(١) قلب العراق / ط . دار صادر ١٩٣٥ م ص ٢٦٦

(٢) توجد في مكتبتي الخاصة نسخة خطية لهذا الكتاب .

(٣) من مشاهير صحفي العراق في القرن العشرين ، توفي عام ١٩٣٩ م .

والمخطوطة بالإضافة الى شعره الذى لم ينشر والذى يصلح أن يكون جزءاً ثالثاً لديوانه المطبوع .

وأهيب بالمجمع العلمى العراقى أن يأخذ على عاتقه هذه المهمة الادبية الكبرى فيعيد طبعة ما هو مطبوع أو يطبع ما هو مخطوط .. وأملنا فيه كبير ووطيد .. وذكر إن نفعت الذكرى[1] .

---

(١) كتب هذا المقال بمناسبة مهرجان الرصافي المقام عام ١٩٥٩ م ونشر مختصراً في مجلة « الرسالة » البغدادية عدد « ١ » السنة الأولى آب ١٩٥٩ م وقد نشرته عنها جريدة « العهد الجديد » الصادرة في مراكش عدد « ١٠١٥ » السنة الرابعة ١٩٦٠ م .

من أهم مصادر البحث :

١ ـ الرصافي . صلتي به وصيته ، مؤلفاته ، مصطفى علي . الطبعة الأولى ١٩٤٧ م .

٢ ـ أدب الرصافي ، مصطفى علي .

٣ ـ قلب العراق . أمين الريحاني .

٤ ـ ديوان الرصافي . جميع طبعاته بما فيها طبعة ١٩١٠ م .

٥ ـ مؤلفات الرصافي المطبوعة .

٦ ـ الأعلام . خير الدين الزركلي . الطبعة الثانية .

٧ ـ الرسالة العراقية ، والشخصية المحمدية ، مخطوط للرصافي .

عراقيات الكاظمي

الكاظمي من رواد الأدب العربي ومن فحول الشعراء في القرن العشرين. وأعجوبة الزمن في البداهة والإرتجال ومن الأدباء الذين وقفوا عقولهم وقرائحهم في خدمة الأمة العربية المجيدة في عصر نهضتها الحديثة...

فبعد أن هبط أرض الكنانة مهاجراً عام ١٨٩٩ م واستقر في روابي نيلها الجميل أخذ يصدع بقوارعه الصارخة قلاع البغي والطغيان في سبيل حرية الأمة العربيـــة واستقلالها.. حتى اصبح - بحق - ترجمان العروبة الصادق.. المعبر عن آلامها وآمالها في صراعها ضد الرجعية والاستعمار..

فالكاظمي شاعر مكثر مجيد.. اشتهر بملاحمه الرنانة.. فقد فاق المتأخرين من الشعراء بطول نفسه.. وارتجاله المشهور.. مع جودة في السبك وروعة في الإسلوب.. وقد طبع من شعره الكثير لحد الآن مجلدان ضخمان، الأول في دمشق، بمطبعة ابن زيدون عام ١٩٣٩ م، ويقع في (٣٦٣) صفحة من القطع الكبير، تتصدره كلمة لابنته الدكتورة رباب، وتقديم الاستاذين المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق[١] والاستاذ الكبير عباس محمود العقاد.. والمجلد الثاني المطبوع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية في القاهرة عام ١٩٤٨م ويقع في (٣٣٦) صفحة من القطع الكبير.. وقد كتب مقدمته الاستاذان المرحوم العلامة اللغوي الشيخ عبد القادر[٢]

(١) شيخ الأزهر الشريف ووزير الأوقاف المصرية سابقاً ولد عام ١٨٨٢م - ١٩٤٧ م.
(٢) ولد عام ١٨٦٧ م. وتوفي في حزيران عام ١٩٥٦ م.

المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً والاستاذ المرحوم رفائيل بطي . . [1]

وقد رزق الكاظمي جماعة من أهل الفضل والأدب طفقوا ينشرون مآثره على الناس بدراسات وبحوث ومقالات . وان أول دراسة أدبية عرفت بالكاظمي وأدبه ظهرت مطبوعة بعد وفاته ـ على ما أعلم ـ هي : « الكاظمي شاعر العرب » للأديب الأخ عبدالرحيم محمد علي . والمطبوعة في النجف الأشرف عام ١٩٥٥ م ، وتقع في (١١٢) صفحة من القطع المتوسط .

كما قام بطبع كتابه الثاني « ذكرى شاعر العرب » والمطبوع [2] عام ١٩٥٨ م في النجف الأشرف . .

وقد جمع فيه كل ما قيل في شاعر العرب الكاظمي من جيد المنظوم

---

(١) ١٩٠٠ م — ١٩٥٦ م

(٢) من الخير أن نشير هنا الى أن دراسة استاذنا العلامة الاستاذ محمد بهجة الأثري « عبد المحسن الكاظمي » ما زالت خطية ولم تنشر بعد ، وقد أذاع منها ستة أبحاث من دار الاذاعة العراقية وذلك في عام ١٩٤٦ م ، ولم يتم اذاعتها ـ لأسباب يتعذر المجال لذكرها هنا . . وقد التبس الأمر على صديقنا الدكتور يوسف أسعد داغر فتوهم أنها مطبوعة عام ١٩٤٦ م ، في بغداد وأشار الى نقدها في مجلة « الكتاب » ، مجلد / ٢ ص ٩٧١ ، في كتابه القيم « مصادر الدراسة الأدبية / الراحلون » ص ٦٧٧ المطبوع عام ١٩٥٦ م . « ترجمة الكاظمي » وابادر هنا فأقول ان مجلة (الكتاب) لم ينشر فيها نقد لكتاب العلامة الأثري بل نشر فيها خبر أدبي في باب (أنباء) واليكه : ـ

« وضع الاستاذ محمد بهجة الأثري كتاباً من الشاعر العراقي المعروف عبدالمحسن الكاظمي الذي قضى شطراً كبيراً من حياته في مصر مقدراً من أهلها مكرماً من ادبائها ، وهذه الدراسة تشمل حياة الشاعر الخاصة وسيرته ، وجهاده السياسي ، ونظرات في شعره ، وخصائص هذا الشعر والينابيع التي استمد منها الكاظمي عناصر أدبه » ص ٩٧١ . مجلد / ٢ . ١٩٤٦ م مجلة الكتاب . عادل الغضبان . وراجع كتاب « ذكرى شاعر العرب » لعبد الرحيم محمد علي ، ص ١٣ ، رسالة من العلامة الأثري للجامع حول دراسته « عبد المحسن الكاظمي » وفيها الكفاية . .

والمنثور .. ويقع هذا الكتاب فى (٢٠٨) صفحة من القطع المتوسط .. فجزاه الله خيراً عن الأدب وحياه ..

أسوق كلمتى المتواضعة هذه بمناسبة صدور كتاب « عراقيات الكاظمى » الذى أخرجه الباحث الأديب الدكتور حسين على محفوظ .. وهو مجموعة شعرية نادرة من عراقيات شاعر العرب المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمى .. ويقع هذا الكتاب فى (٨٠) صفحة من القطع الكبير ، وقد طبع بمساعدة نقابة المعلمين ، فى مطبعة المعارف . وتضمنت هذه المجموعة النفيسة (٥٨١) بيتاً فى (١٩) قصيدة من شعر الكاظمى الذى لم ينشر فى ديوانه الكبير بمجموعتيه .. وقد سبق نشر هذه « العراقيات » فى كتاب « ذكرى شاعر العرب » لعبد الرحيم محمد على ص ١٧٣ ... وقد صرف المحقق الفاضل الدكتور محفوظ جهداً كبيراً فى تحقيقها وجمعها من شتيت المظان والمجاميع العائلية المحفوظة بخزائن الكتب الخاصة فى الكاظمية .. وان المتصفح لهذه المجموعة النادرة ليلمس هذا الجهد الذى بذله المحقق فى سبيل إخراجها ، وبذلك قد أضاف ثروة شعرية ضخمة من نفائس شاعر العروبة المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمى الى الأدب العربى ...

ولو لم يتداركها لكان مصيرها الإندثار .. وبذلك يحل خسران فى الأدب العربى لا يعوض . ولا تعتبر هذه المجموعة تتمة لشعر الكاظمى المنشور فحسب بل هى - دليل لشعره المطبوع - ... حيث قام الدكتور المحقق بتصنيف شعر الكاظمى الى أهم أغراضه .. حتى انه أحصى عـــدد أبيات شعر الكاظمى المطبوع .. وعمل مثل هذا لخليق بالتجلة والإكبار ، والذى نود أن نقوله للأخ الدكتور المحقق الفاضل هو : ما أحراه وما أكمل تحقيقه لو انه عمد الى شرح المناسبة التى دعت الى نظم القصيدة وأثبتها فى صدرها .. إشباعاً للبحث والتحقيق .. لأنه قد اعتمد فى جمعها على المظان المخطوطة ..

وفى الختام نرجو للأخ الدكتور الفاضل حسين على محفوظ النجاح فى أعماله الأدبية . . والتوفيق لطبع كتابه المرتقب « الكاظمى فى العراق » . وجزاه الله خيراً عن الأدب وحياه [1] ؟

(١) نشرت هـــذه الكلمة في جريدة (الوطن) السنة التاسعة العدد ١٧٣ ص ٣ ٣١ كانون الاول ١٩٦٠ م ، ١٣ رجب الأصم ١٣٨٠ هـ . كما نشرت في كتاب « الكاظمي شاعر الكفاح العربي الخالد » للاديب الاستاذ عبد الرحيم محمد علي . (الحلقة الثالثة) مطبعة الغري الحديثة — النجف . ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م . ص ٢١٩ .

دراسات أدبية

كتاب يقع فى مئة وأربعين صفحة من القطع المتوسط وطبع فى مطبعة أهل البيت — كربلاء . وقد سجل فيه المؤلف الفاضل الحركة الأدبية المعاصرة فى كربلاء وعرّف بأدبائها الى القارئ العربى . . والكتاب على صغر حجمه باقة فواحة من الأدب المشرق أضافها « الناهى » الى المكتبة العربية . . وقد عرف مؤلفه غالب الناهى بنشاطه الأدبى ، وغزارة ثقافته الأدبية . وقلمه الخصب الذى وقفه فى سبيل خدمة الضاد . وهو من أدباء الثغر الجميل « البصرة » المدينة التى سجلت صفحة مشرقة فى تأريخنا الأدبى عبر العصور . . المدينة التى كانت تقام بها سوق « المربد » الأدبية ثانى أسواق العرب الثقافية بعد عكاظ . . فى كل عام ويختلف اليها العلماء والشعراء من كل صوب لمثاقفة بعضهم البعض . . وقد أنجبت الكثير من نوابغ العرب الذين يحق لنا أن نفخر بهم ونعتز . . .

ويقدسهم الفكر الحر . . وتسجد لهم الثقافة . . من أمثال الخليل بن أحمد الفرهودى أو الفراهيدى كما هو مشهور مبتكر علم العروض وصاحب كتاب « العين » أول معجم فى اللغة العربية وأكبر المعاجم اللغوية استيعاباً لمفردات اللغة واستاذ سيبويه . .

وابن دريد أبى بكر الأزدى الشاعر اللغوى المعروف وصاحب المقصورة

المشهورة باسمه وكتاب الجمهرة العظيم والمتوفى عام (٣٢١ هـ) .. والإمام الكسائى على بن حمزة المكنى بأبى الحسن صاحب المدرسة المعروفة باسمه فى النحو .. وغيرهم من العظماء الأفذاذ ..

إن الوازع الذى دفعنى الى تدبيج هذا المقال هو حرصى على تشجيع وتنشيط الحركة الأدبية المنطلقة فى بلادنا الطيبة أولاً .. وارشاد المؤلف الفاضل الى مواطن الصواب ثانياً .. فأحببت أن أعرض لبعض الهنات الهينات التى اعترضتنى أثناء مطالعتى للكتاب والتى قلما يخلو منها مؤلف فمنها مثلاً : ان المؤلف قد سجل على غلاف مؤلفه الأول عبارة :ـ « دراسات أدبية ـ فى ادباء وشعراء كربلاء » .. ومن المعلوم لدى كل شادٍ فى الأدب ان لفظة « الأديب » تضم بين جناحيها الشاعر والكاتب ، والقاص والمسرحى ... الخ .

فلو اكتفى المؤلف بعبارة « أدباء كربلاء » لوفى الغرض حقه . كما أن الأستاذ غالب الناهى قد أورد بعض العبارات والأمثال المستعملة فى اللغة العامية « الدارجة » فى كتابه آنف الذكر ومنها ـ على سبيل المثال ـ لا الحصر . انه استعمل لفظة « فلتات » واستشهد بالمثل المعروف « الف أديب على كحف أزرق » و « الذى فينا ما يخلينا » .

ولو استعمل الكاتب السيد غالب الناهى بدل هذه الألفاظ والأمثال العامية الفاظاً عربية سليمة وأورد أمثالاً عربية لكان خيراً له وأجدى نفعاً للقارىء العربى الذى لم يطلع على اللهجات المحلية الجارية فى بلادنا .. كما وأننا على أبواب نهضة أدبية انطلقت وثابة نحو الكمال وتروم مسايرة الحركات الأدبية المنطلقة فى العالم المتمدن وهذا يتطلب منا جهد المستطاع الإبتعاد عن اللغة العامية فيما يدبجه الكتاب والشعراء من مقالاتٍ وقصيد . ومن المعلوم ان استعمال اللغة العامية فيما يكتبه الأدباء بدلاً عن اللغة الفصحى هى دعوة شعوبية مسمومة دعا اليها بعض الأدباء المتأثرين بالثقافة الغربية والذين يرومون من

وراء دعوتهم هذه هدم اللغة العربية وتفتيت تراثها المجيد وأغلب هؤلاء من الشعوبيين الدخلاء على الضاد . .

ولا يليق أدبياً حشو الألفاظ والأمثال العامية فى « دراسة أدبية » . . ولو كانت دراسة الأستاذ غالب الناهي للإدب الشعبي « العامى » مثلاً واستعمل هذه الألفاظ الدارجة لما كان يستحق لومة لائم .

وبعض هذه الهنات ما يتعلق بدراسة أدب الأديب وحياته . . . أى أن المؤلف لم يوفق فى رسم الخطوط الاساسية لحياة الأديب وأدبه . . فمثلاً ان الشاعر المرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزى وهو من شعراء العراق الكبار والذين يستحقون العناية من أدباء الجيل الصاعد بدراسة تراثهم وتعريفهم الى القارئ العربي واستجلاء شخصياتهم ومزايا أدبهم . والمتوفى عام ١٩٥٨م لم يشر المؤلف الى تاريخ وفاته مع العلم ان الكتاب قد انتهى من تأليفه فى كانون الثانى من عام ١٩٥٦ وطبع فى تموز من عام ١٩٦٠ م كما ذكر المؤلف نفسه على غلاف كتابه الأخير . فالتحقيق العلمى والدراسة الأدبية تحتمان على المؤلف الإشارة ـ ولو تلميحاً ـ الى وفاة الشاعر حتى ولو فى هامش الصفحة ليتمكن القارئ من استجلاء حياة هذا الشاعر .

ومثلاً عن الأديب الدكتور محمد جواد رضا ـ دعبل ـ لم يلمح المؤلف الى تأريخ حصوله على شهادة الدكتوراه فى معرض الحديث عن حياته الأدبية .. فى حين طغرا ترجمته بعبارة « الدكتور محمد جواد رضا ـ دعبل ـ » وقد أورد فى ترجمته العبارة التالية : ـ « . . حيث نال الماجستير وها هو ذا يعد نفسه للحصول على شهادة الدكتوراه . » (صفحة ٩٦) . وهذا الكلام يجعل القارئ فى لبس من الأمر . مع العلم أن الدكتور المترجم له حصل على شهادة الدكتوراه قبل طبع الكتاب بزمن يناهز الثلاث سنوات فكان

يقتضيه النهج العلمى السليم فى الدراسات الادبية والتراجم أن يشير فى هامش كتابه الى تاريخ حصول « دعبل » على الدكتوراه » .

هذه بعض الهنات الـــتى أردت التنبيه إليها وعرضها أمام القارئ والمؤلف معا . ولم أبتغ من عرضها سوى الحق وتبيان الحقيقة وخدمة الادب . ومثل هذه الهنات الهينات لا تغض من قيمة الكتاب الادبية والتى قلما يخلو منها مؤلف .

المسرحية في الشعر العراقي الحديث

المسرحية فن طارئ على الأدب العربي حيث قد تسلل فى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد الى أدبنا إبان النهضة الفكرية الحديثة . وقد اقتبسناه عن الأوربيين الذين اقتبسوه - بدورهم - عن الإغريق . ونستطيع أن نحدد ظهور هذا اللون الأدبي الجديد تحديداً حاسما فى الأدب العربي . بفضل كتاب « أرزة لبنان » المطبوع فى عام ١٨٦٩ م[١] للشاعر اللبنانى الاصل الصيداوى المولد المرحوم مارون نقاش « ١٨١٧ م — ١٨٥٥ م » والذى يضم مسرحياته الثلاث :-

١ - البخيل — شعرية .

٢ - أبو الحسن المغفل أو هارون الرشيد .

٣ - الحسود السليط .

ويعتبر مارون نقاش رائداً من رواد هذا الفن الجديد الأوائل الذين بشروا به فى الادب العربي . . وقد أعقب مارون نقاش أدباء كتبوا فى المسرح الشعرى كالشيخ نجيب الحداد الشاعر الناقد الأديب المعروف « ١٨٦٧ م — ١٨٩٩ م » الذى وضع مسرحية « حمدان » الشعرية التى عرض لنا فيها قصة الخليفة الأموى الأندلسى عبدالرحمن الداخل الملقب بصقر قريش[٢] .

---

(١) المسرح النثري - الدكتور محمد مندور ١٩٥٩ م . ص ١

(٢) هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الملقب بصقر قريش مؤسس الدولة الأموية في الأندلس . ولد في دمشق عام ١١٣ هـ — ٧٣١ م . وتوفي بقرطبة عام ١٧٢ هـ — ٧٨٨ م . ودفن في قصرها . راجع الأعلام . جزء ٤ ص ١٣٣ . ط ٢ .

ثم وضع خاله الأديب الشاعر الشيخ خليل اليازجى « ١٨٥٦م - ١٨٨٩م » مسرحية مشهورة تعرف بـ « المروءة والوفاء » وهى مطبوعة .

ثم انتقل الفن المسرحى الى مصر وبها ترعرع ونضج حيث ظهر أضخم حدث فى تاريخ الأدب العربى الحديث على يد أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى « ١٨٦٨ م — ١٩٣٢ م » الذى طوّع الشعر العربى الى هذا الفن الطارئ وأرسى حجره الأساسى .

وقد هز شوقى شعراء العربية فى حدثه هذا . . . وحفزهم الى ولوج هذا الميدان الجديد . . وحينما أصدر مسرحيته الخالدة « مصرع كليوباطرة » عام ١٩٢٧ م وأعقبها بـ « مجنون ليلى » و « قمبيز » و « على بك الكبير » و « عنترة » و « أميرة الاندلس » النثرية [١] . أخذ الشعراء يطرقون هذا الباب . مترسمين خطاه . وسرعان ما انتشر هذا الفن فى العالم العربى . وكان البلد الذى حاز قصب السبق فى اقتباس هذا الفن والكتابة فيه بعد مصر هو العراق . ففى عام ١٩٣١ م أخرج الاستاذ محمد رضا شرف الدين مسرحيته الرائعة « الحسين » فى (٢٤٠) صفحة من القطع الصغير . . .

وتدور فصولها حول قصة مصرع الإمام الشهيد الحسين بن على (رض) فى كربلاء .

ويعتبر بذلك محمد رضا شرف الدين أول من كتب المسرحية الشعرية فى العراق بعد شوقى . وتبعه الاستاذ خضر الطائى الذى أخذ يقلد شوقياً ويحاكيه فى التأليف المسرحى .

---

(١) وله مسرحية شعرية طبعها الدكتور أحمد زكي بعد وفاته اسمها « الست هدى » وصدرت عن مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة . ومن الخير هنا أن نشير الى أن شوقي قد أخرج أول مسرحية شعرية وهو في باريس حينما كان طالباً يدرس الحقوق واسمها « علي بك الكبير » وذلك عام ١٨٩٣ م ثم أعاد نشرها ثانية في عام ١٩٣٢ م بعد أن نقحها وهذبها .

حيث كتب ثلاث مسرحيات شعرية تاريخية ... اولاهن « قيس لبنى » المطبوعة عام ١٩٣٤ م وتقع فى (١٢٨) صفحة من القطع الصغير التى حاكى بها شوقياً فى مسرحيته الخالدة « مجنون ليلى » وله مسرحيتان أخريان هما : « أهل الكهف » التى اقتبسها بتصرف عن مسرحية « أهل الكهف » النثرية للأستاذ الكبير توفيق الحكيم . وهى مطبوعة عام ١٩٦١م وتقع فى (١٣٧) صفحة من القطع الكبير . ومسرحية « سيف بن ذى يزن » المخطوطة ..

فى شعر خضر الطائى المسرحى نلمس روح شوقى فى جلاء ووضوح . وقد أجاد الطائى فى تأليف مسرحياته آنفة الذكر لما أوتىَ من شاعرية مرهفة مكنته من صياغتها صياغة أدبية فنية رفيعة .

والأستاذ الطائى ممن تأثروا بعبقرية شوقى وشاعريته النادرة .. ثم أخرج الأستاذ عبدالحميد الراضى « ثورة العرب الكبرى » عام ١٩٣٦ م وتقع فى (١٢٧) صفحة من القطع الكبير . وفيها تصوير لثورة عام ١٩١٧م المعروفة بالثورة العربيـــة التى خدع العرب بها الشريف حسين[1] . وفى عام ١٩٣٨ م — ١٣٥٧ هـ أخرج شاعرنا الراضى مسرحية شعرية أخرى أسماها « ثورة العراق الكبرى » وتقع هذه المسرحية فى (١٤٩) صفحة من القطع الكبير ... وقـــد عالج فيها الأستاذ الراضى الثورة العراقية عام ١٩٢٠ م والمعروفة « بثورة العشرين »[2] وقد وفق « الراضى » وأجاد فى تأليفهما من الناحية الأدبية . وتميزتا بطابع حماسى وطنى . مما أدى بهما أن تنحرفا بعض الشىء عن الفن المسرحى ولاسيما فى الحوار الذى يعتبر أهم عنصر فى التأليف المسرحى .

(١) صاحب ثورة ١٩١٧ م ضد الحكم العثماني ، وآخر من حكم مكة المكرمة من الهاشميين . ولد في الاستانة عام ١٨٥٤م — ١٢٧٠ هـ وتوفي عام ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١م في عمان ودفن في المسجد الأقصى — القدس .

(٢) هو الآن معاون عميدة كلية التحرير — جامعة بغداد —

وليس صحيحاً ما قاله الدكتور جميل سعيد فى كتابه « نظرات فى التيارات الأدبية الحديثة فى العراق » حول مسرحية الأستاذ الراضى « ثورة العراق الكبرى » من « . . ان المؤلف لم يراع الفن المسرحى فيها ، ولم يلتفت اليه ، فالرواية من أولها الى آخرها سلسلة من الاحداث لايحسن الربط بين الواحدة والاخرى » . . ص ٦١

وقد جانف الحق فى تحدثه عن شاعرية عبدالحميد الراضى بقوله : « ولكن الشاعرية تكاد تكون معدومة فى المسرحية ، وقد ترى القافية والوزن ـ فى غير ما موطن من المسرحية ـ تتحكم بالكاتب . . » ص ٦٣

وكتاب الدكتور آنف الذكر صورة شوهاء (للتيارات الأدبية الحديثة فى العراق) ونحن نعجب كيف ارتضى الدكتور سعيد لنفسه أن يطمس معالم الحقيقة والواقع ، ويجانف الحق ، باخفائه الصورة الصحيحة للتيارات الأدبية الحديثة فى العراق[1] .

وفى بداية عام ١٩٤٧ م نشرت الشاعرة عاتكة وهبي الخزرجى مسرحيتها الشعرية المعروفة « بمجنون ليلى » فى مجلة (المعلم الجديد) وتقع هذه المسرحية فى خمسة فصول . نشر الفصل الاول منها فى الجزء السادس من عام ١٩٤٦ م وبقية الفصول الأربعة فى الأجزاء : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من عام ١٩٤٧ م . لكل جزء فصل واستغرقت ثمان وعشرين صفحة من القطع الكبير . وقد وفقت الشاعرة فى سبكها وصوغ عباراتها المتساوقة . وتتميز مسرحيتها هذه بطابع جديد بالنسبة الى المسرحيات الشعرية التى تناولت

---

(١) راجع « نظرات في التيارات الادبية في العراق » مطبعة دار الهنا — القاهرة ١٩٥٤ م ، ويقع الكتاب في (٩٩) صفحة ، والفصل الذي كتبه الدكتور جميل سعيد عن المسرحية الشعرية من ص ٦١ الى ص ٧٢ . . كله انتقاد قاس لا نقد نزيه للشعراء الذين كتبوا في المسرحية الشعرية ، وهو فصل ممسوخ . .

موضوع الحب والهيام . فى هذه المسرحية تظهر لنا شاعرتنا عاتكة الخزرجى « شخصية المجنون » فى مظهر البطل الكمى على مسرح الهوى لا عاشقاً متهالكا استبد به الخنوع والذل والمسكنة . وتحصيل الحاصل ان « مجنون ليلى » مسرحية ناجحة جيدة استوفت شروط التأليف المسرحى الشعرى[1] .

وفى عام ١٩٤٨ م أخرج الشيخ على الصغير (سكرتير الرابطة الأدبية العلمية فى النجف الأشرف) مسرحية شعرية رائعة إسمها « مرجريت » ، وتقع فى (١٢٦) صفحة من القطع الصغير . وفيها استعرض شاعرنا الصغير لحياة فتاة جميلة اخترم السلال صدرها فقصم الردى غصن شبابها الغض . وفيها تصوير رائع لهذا الداء الخبيث . وقد استلهم شاعرنا مادتها من واقع المجتمع العراقى . وقد أجاد « الصغير » فيها إجادة تامة . ولا غروَ ، فالصغير شاعر مجيد فياض القريحة ذو ذوق فنى سام . وفى ذات العام أى ١٩٤٨ م أخرج الاستاذ حسين على الظريفى مسرحية شعرية صغيرة إسمها « فى سبيل الوطن » وهى مسرحية تربوية وطنية لا حظ لها من الأهمية والإبداع . وفى عام ١٩٥٠ م أخرج الاستاذ صفاء الحيدرى مسرحية رمزية تقع فى (٥٠) صفحة من القطع الصغير إسمها « عبث » ، والحيدرى من شعراء الرمزية فى العراق .

وإنى لأعجب العجب كله من أن بعض الشعراء يضربون فى مجاهل الرمزية ويوغلون فيها ايغالاً بعيداً فى حين أن مجتمعهم يصارع الآلام . . . ويئن من جورها ، فليت شعرى ما هو تأثير « الرمز » فى المجتمعات المتأخرة . كالمجتمع العراقى الذى يشيع فيه الجهل والشقاء بشتى صنوفه . . . ؟

وفى رأينا أن الرمزية مذهب لا يصلح فى الميدان المسرحى وقمين بدعاتها ألا يقحموا هذا الميدان الخطر .

---

(١) هي الآن الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي الاستاذة المساعدة في كلية التربيـة ــ جامعة بغداد ــ

فالمسرحية سلاح ماضٍ يمكن استخدامه في توجيه المجتمع نحو الخير والمثل العليا والأهداف السامية التي يسعى من أجل تحقيقها الإنسان الحر الكريم في حياته . فحري بهم (دعاة المذهب الرمزي) أن ينتحوا جانباً ويمسكوا بقيثارة أوهامهم . ويقبعوا في جحور معمياتهم وألغازهم . . .

وفي عام ١٩٥٣ م أخرج الاستاذ كمال الجبوري مسرحية تاريخية إسمها « عدل ملك » وتقع في خمسين صفحة من القطع الصغير استوحاها من تاريخ العرب المشرق المجيد . حيث صور لنا فيها عدل الخليفة العباسي المأمون . . !

وبعد ظهور هذه المسرحية ظهرت مسرحية شعرية غرامية ليوسف أمين قيصر هي « عامر وأسماء » التي استعرض فيها ناظمها مشكلة الحب في مجتمعنا العربي الحديث وتقع هذه المسرحية في خمسين صفحة من القطع الكبير . . .

وظهرت هناك مسرحيتان رائعتان للأستاذ الشاعر خالد الشواف لا تقلان روعة وإبداعاً عن مسرحيات شوقي . فالاستاذ الشواف من شعراء العرب المجيدين في عصرنا الحاضر وبعض النقاد من يلقبه « بشوقي العراق » .

فالاستاذ الشواف قد سحرته حضارة البابليين والكلدانيين فراح يقلب صفحات التاريخ مستلهماً منها مادة فنه . ففي عام ١٩٥٢ م ظهرت له مسرحية « شمسو » وتقع في (١١٠) صفحات من القطع المتوسط ، وتدور حوادثها زمن البابليين في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد .

ثم تبعها في عام ١٩٥٦ م بمسرحية أخرى هي « الأسوار » وتقع في (١٠٥) صفحات من القطع المتوسط وهي كسابقتها تاريخية تدور حوادثها في الفترة التي سبقت سقوط الدولة الكلدانية [1] .

---

(١) مثلت المسرحيتان في بغداد على قاعة الملك فيصل الثاني (قاعة الشعب) حالا « شمسو » في عام ١٩٥٣ م ، و (الأسوار) في عام ١٩٥٨ م .

وفى هاتين المسرحيتين تظهر لنا عبقرية « الشواف » الشعرية فى جلاء سافر ووضوح مبين . . . وذلك مما يرغمنا على سلكه فى صف شوقى فى المسرحية الشعرية . وفى طليعة الشعراء الذين كتبوا فى المسرحية الشعرية فى العالم العربى . وفى عام ١٩٥٩ م ظهرت للأستاذ الكبير الشاعر المبدع محمد الهاشمى مسرحية شعرية تأريخية أسماها « سميراميس بين الحقيقة والأسطورة » وتقع فى (١١٥) صفحة من القطع الكبير وفيها عرض جميل لقصة الملكة العراقية القديمة سميراميس[1] .

وذلك بأسلوب شعرى رفيع ، متين العبارة مشرق الديباجة ، محلق الخيال ، فهى جيدة من الناحيتين الأدبية والفنية .

والى هنا نأتى على نهاية هذا العرض السريع المقتضب لتأريخ المسرحية فى الشعر العراقى الحديث منذ عام ١٩٣٠ م — ١٩٦١ م ٠

ولا يسعنى إلا أن أتوجه بالشكر العميم الى أديب العرب الكبير أخى الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى الذى أتاح لى فرصة الحديث أمامكم . والسلام ؟[2]

(١) السيد محمد الهاشمي من شعراء العرب المعاصرين والذين خدموا اللغة العربية خدمة جليلة . تولى عدة وظائف في الحكومة العراقية وآخرها رئيس محكمة تمييز العراق وقد احيل على التقاعد في ١ تموز ١٩٦١ م ٠

(٢) القي هذا البحث محاضرة في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة في ٣١ /١٠/١٩٦١م ٠

ديوان العرجي

العرجي :

هو الشاعر الغزلي الأموي القرشي المعروف بعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (رض) على أغلب الروايات وأصحها . . .

ولقبه العرجي نسبة الى ماء يقال له (العرج) بفتح العين وسكون الراء نحو الطائف كما جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى ومعجم ما استعجم للبكرى فى مادة (العرج) . .

وشاعرنا من الشعراء الخمسة الكبار فى قريش . . فقد كانت العرب تُقرُّ لقريش بالتقدم فى كل شيء عليها . . إلا فى الشعر ، فإنها كانت لا تقر لها به . حتى كان عمر بن أبي ربيعة المخزومى ، والحرث المخزومى ، وأبن دهبل الجمحى ، وعبد الله بن قيس الرقيات ، فأقرت لها العرب بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً(١) . .

وشعر العرجي متمم لشعر عمر بن أبي ربيعة المخزومى (٢٣ هـ — ٩٣ هـ) فى الغزل . حيث انه كان يترسم خطاه ويأخذ مأخذه فى التشبيب واللهو والعبث بالعواطف . . فقد ذكروا : أن حبشية من مولدات مكة ، صارت الى المدينة ، فلما أتاها موت عمر بن أبي ربيعة ، اشتد فزعها ، وجعلت توجّع له ، وتفجع عليه ، وتقول : من لمكة ، وشعابها ، وأباطحها ، ونزهها ، بعده . . ومن لوصف ما فيها . . ؟ ووصف نسائها ، وحسنهنّ وجمالهنّ ، وملاحتهنّ ؟ . فقيل لها : خفضى عليك ، فقد نشأ فتى من ولد

---

(١) الاغاني طبعة الساسي ج ١ / ٣٨ .

عثمان ـ رضى الله عنه ـ يأخذ مأخذه ، ويسلك مسلكه ، فقالت : انشدونى من شعره .. ؟! فأنشدوها .. فمسحت عينيها وضحكت ، وقالت : الحمد لله الذى لم يضيّع حرمه ، سرّيتم ـ والله عنى ـ [1] ..

تدلنا هذه القصة على مكانة العرجى فى عصره .. حيث صار أسوة يؤتسى به بعد موت عمر بن أبى ربيعة [2] ..

ويجد المتتبع ان ديوان عمر بن أبى ربيعة محتوياً على أربعمائة وأربعين قصيدة ومقطعة وكلها فى الغزل والتشبيب . كما يجد هذا التشابه عند العرجى ، حيث ان ديوانه يضم اثنتين وتسعين قصيدة ومقطعة وكلها فى الغزل [3] .. فقد تنزه ديوان شاعرنا العرجى عن الهجاء ، وخلا من الرثاء .. غير أننا نجد أربعة أبيات فى مطاوى الديوان هجا بها العرجى والى مكة محمد بن هشام المخزومى خال الخليفة هشام بن عبد الملك .. وهى :ـ

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطناً ... ومن جاء من عَمقٍ ونقب المشلل
دعوا الحج لا تستهلكوا نفقاتكم ... فما حجُ هــذا العام بالمتقبل
وكيف يُزكى حجُ من لم يكن له ... إمام لدى تجميره غير دُلدُل
يظــل يرائى بالصيام نهاره ... ويلبس فى الظلماء سِمطىْ قرنفُل

وسببها كما يروى الأغانى [4] : ان هشام بن عبدالملك ولى خاله محمد بن هشام ، مكة ، ولىَ الخلافة ، وكتب اليه أن يحج بالناس فقال هذه الابيات ، آنفة الذكر ..

---

(١) ديوان العرجي ص ٤ من المقدمة .

(٢) ذكر محقق ديوان العرجي السيد خضر الطائي في هامش ص ٤ من الديوان : ان عمر بن أبي ربيعة توفي بالشام سنة ٩٣ هـ ، غير ان الأديب العربي الاستاذ ابراهيم هاشم فلالي يرجح وفاته بمكة .. راجع : أين نحن اليوم ، ص ١٣١ ، لابراهيم فلالي .

(٣) راجع ديوان عمر بن أبي ربيعة ، حققه وطبعه لفاءة العصر الاستاذ محمد محي الدين عبدالحميد ، ويقع في (٤٩٥) صفحة من القطع الكبير ، مطبعة السعادة ١٩٥٢ م .

(٤) الاغاني ط . الساسي . ١ / ١٥٦ . وراجع ديوان العرجي ص ١٨٩ .

ونحن لا نعرف كيف بدأ حياته هذا الشاعر المضاع حيث لم يتفق علماء اللغة ومؤرخو الأدب العربي على تحديد مولد شاعرنا العرجي . .

عاش شاعرنا العرجي في عصر اضطربت الحياة السياسية في الحجاز . . وفقدت فيه زعامتها السياسية ، واستقام الأمر لآل مروان في الشام . .

فقد كان أمام الشاعر سبيلان : إما أن يلج أبواب السياسة ، ويخوض غمارها ، وإما أن يرتضى لنفسه سبيل اللهو والعبث والمجون . . فارتضى لنفسه السبيل الثانية . . وبرز فيها حيث أصبح علماً من أعلام الحب والغزل . .

زواجه :

تزوج العرجي من عثيمة بنت بكير بن عثمان وأمها سكينة بنت مصعب ابن الزبير ، وانجبت له ولدين : عمراً وكان يلقب (الصداوى) قتل بقديد ، وزيداً ، ولا عقب له[1] . .

اتهامه ونهايته :

اتهم شاعرنا المضاع بتهمة أودت بحياته . . حيث قد قضى في سجن مكة تسع سنين وتوفى فيه وشيع جثمانه منه . .

ومن أسوار هذا السجن أطلق صرخته المدوية التي استحالت نشيداً تردده الأجيال :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولا لى نسبة في (آل عمرو)[2]

---

(١) راجع الديوان ، ص ٩ .

(٢) آل عمرو ، رهط الشاعر ، وعمرو هـــذا جد الشاعر ، وهو : عمرو ابن عفان « رض » ،

أجرَّرُ في الجوامع كل يوم ألا لله مظلمتي وصبري
عسى الملك المجيب لمن دعاه يُنجيني فيعلم كيف شكري[1]
فأجزيَ بالكرامة أهل ودي وأورث بالضغائن أهل وتري

ولكن الخليفة تصامم عن هذه الصرخة ، فانتهت حياة شاعرنا المضاع بمأساة .. وأية مأساة .. يتهم الشاعر بتهمة ، فيودع السجن ، ليلبث بين أسواره تسع سنين .. فيخفت صوت الهزار المضاع .. وكانت نهايته المشجية ، في عام (١٢٠ هـ) ..

ديوان شعره :

اتفق مؤرخو الأدب العربي وعلماء اللغة ، على أن أول من جمع شعر العرجي هو الإمام الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى عام ٣٩٢ هـ . وبقي هذا الديوان حبيس الخزائن ، يعيث به الغبار طيلة القرون والاحقاب التي مرت على جمعه ، حتى هيأ له الله سبحانه وتعالى شاعراً منسياً أيضاً ، هو الأستاذ خضر الطائي ، فانتشله من هوة الضياع والانطمار ..

عثر المحقق على مخطوطة الديوان في مكتبة الآثار القديمة ، مع جملة من المخطوطات النفيسة التي أهديت اليها من قبل رئاسة دير الكرملين ببغداد غب وفاة صاحبها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي المتوفى عام ١٩٤٧[2] ..

ونسخة المخطوطة يتيمة لا ثاني لها في الخزائن ، بشهادة المستشرق الألماني الكبير ، فريتس كرنكو Freitz Krenkow ، (١٨٧٢ م — ١٩٥٣ م) عضو المجمع العلمي العربي بدمشق[3] ...

---

(١) يريد بالملك ، الخليفة هشام بن عبدالملك .

(٢) وتضم هذه الهدية الثمينة (١٣٣٥) مخطوطاً عدا الكتب المطبوعة . وهي من مخلفات الأب الكرملي .

(٣) كان العلامة الأب انستاس الكرملي « ١٨٦٦ — ١٩٤٧ م » قد كتب على =

فطفق المحقق الفاضل يستقرئ المجاميع اللغوية والأدبية وكتب الشواهد وأمهات الكتب التاريخية لمقابلة شعر الديوان عليها . .

فبذل في تحقيقه مجهوداً يلمسه ويقدره كل من قرأ الديوان . . ويعرف هذا الجهد المضنى كل من عانى مهمة التحقيق . .

درس المحقق شاعرنا المضاع دراسة استقصاء وتتبع . . فأودع دراسته مقدمة الديوان البالغة ستاً وأربعين صفحة من القطع الكبير . . وكان المحقق الفاضل قد أذاع هذه الدراسة الرائقة . . من وراء المذياع على شكل أحاديث اسبوعية .

تضم مقدمة الديوان حياة الشاعر وأخباره ، وكل ما يتعلق به وبشعره ، كل ذلك بأسلوب شعرى فنى رائع .

والحق أن هذه المقدمة تصلح أن تكون كتاباً مستقلاً عن الشاعر ، وقد أشار المحقق فى مقدمة الديوان الى المنسوب من شعر العرجى الى غيره من الشعراء . . فقد عثر فى ديوان العرجى على نحو من ثمانى عشرة منظومة نسبت الى عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، وقد اثبتت فى ديوانه فعلاً [1] . .

وقد صرح أبو الفرج الأصفهانى فى أغانيه . جزء ٧/١٣٨ . بأنه نسب كثير من شعر العرجى الى عمر بن أبى ربيعة ، والحرث المخزومى ، لأنه يشبه شعرهما ويجرى على طريقتهما .

= نسخة ديوان العرجي المخطوطة بخطه العبارة التالية : « وكتب الي العلامة . ف . كرنيكو - ويعني به المستشرق الالماني فريتس كرينكو - بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٣٥ م من كمبردج ، ديوان العرجي جديد (يعني الجديد غير الحديث) ، لا بل لا ثاني له في الخزائن ، فأنا لا أعرف له آخر ، وأما سائر الدواوين الثلاثة « يعني ديوان أبي طالب ، وديوان أبي الاسود الدؤلي ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، فلها نسخ في ليدك في المجموعة الرفاعية رقم (١١٣) . . ا هـ » . راجع ص ١١ من الديوان . .

(١) راجع ديوان العرجي . ص ٣٥ . المقدمة .

وبذلك قد أعاد المحقق الفاضل الحق الى نصابه ، ولمّ خرائد شاعرنا المضاع ، الى حضيرة ديوانه ، الذى استغرق مائتين وثلاث عشرة صفحة من القطع الكبير . .

العرجي والدكتور طه حسين :

يعتبر الدكتور طه حسين أول من نوه بالشاعر المضاع من الأدباء المعاصرين ، فقد عقد له فصلاً فى كتابه المشهور : حديث الاربعاء[1] . . . بحث فيه عن حياة الشاعر وعصره ، وأدبه ، وما يتعلق بكل ذلك من صلات أدبية واجتماعية وسياسية .

وقد أورد الدكتور طه حسين ، مقارنات بينه وبين صنوه الشاعر الخالد عمر بن أبى ربيعة المخزومى ـ زعيم الغزليين ـ على حد تعبيره . . فيما يتفقان عليه ، أو يفترقان به .

وللدكتور طه حسين رأى يتعلق بالناحية الخلقية من حياة الشاعر ، وفحوى رأيه : ان الشاعر العرجى أراد شيئاً فى الدولة ، ولكنه لم يفلح ، فأضمر للخلفاء وولاتهم حقداً وبغضاً ، وأصبح سيء الخلق ، فاحش اللسان ، قليل الرضا عن الناس ، فهجا ناساً وعادى آخرين ، وانتهى به عنفه فى حياته الخاصة الى أن ضرب وشُهر به ، وسجن الى أن مات وهو فى السجن .

فإن عدم وجود ديوان الشاعر العرجى هو الذى جعل الدكتور طه حسين ، يتخبط فى أحكامه الوهمية .

والسابر لديوان الشاعر لا يجد أية اشارة تشير من قريب أو بعيد الى حقد الشاعر على الخلفاء ، وولاتهم ، كما لا يجد شيئاً من شعره فى الهجاء ،

---

(١) راجع حديث الاربعاء ، الجزء الاول . ص ٢٣٥ الى ٢٤٣ .

سوى الأبيات الأربعة التي هجا بها والي مكة محمد بن هشام ، وقد مر ذكرها قبل قليل . .

فلو كان الديوان مطبوعاً واطلع عليه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، لغير رأيه ، آنف الذكر ، في شاعرنا المضاع . ولخرج على قراء العربية برأي يُقره الواقع ، وتعترف به الحقيقة . .

أهمية ديوان العرجي :

إن ديوان العرجي تحفة فنية رائعة في دولة الشعر والأدب ، وشعره محبب الى النفوس ، ذو تعبير شفاف رائق ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويخلب الأسماع ، سهل العبارة جزلها .

فشاعرنا قرشي ، ولغة قريش هي أجود اللغات ، وبها نزل القرآن الكريم ، وكانت تسمى بالفصحى ، ولغة شاعرنا العرجي ، عربية سالمة من الشوب ، لذلك استشهد به علماء اللغة ، والنحاة ، وأهل البلاغة ، كالإمام السيوطي ، وابن هشام ، وغيرهما كثير . . فالديوان ثروة علمية تفيد اللغة والتأريخ ، بالإضافة الى كونه تحفة فنية رائعة من روائع أدبنا العربي الخالد . . لذلك كله كانت الحاجة ماسة الى نشره ، في عهد نهضتنا الأدبية المنطلقة . . وقد فعل المحقق الفاضل الأستاذ خضر الطائي خيراً بنشره هذه التحفة ، وانتشاله من وهدة الإنطمار . . فجزاه الله خيراً . وحياه . . ؟

لا رق في الإسلام

صدر مؤخراً عن دار القلم فى القاهرة كتاب « لا رق فى القرآن » للأديب الحجازى الكبير الاستاذ ابراهيم فلالى .. ويقع هذا الكتاب الجليل فى (٢٧٢) صفحة من القطع الكبير .. وقمين بي - وأنا أعرض - لهذا البحث القيم أن أعرج إلى التعريف بمؤلفه الفاضل وأعرض شيئاً من جهاده الأدبي ليقف القارئ العربي فى العراق على حياته ... !

ولد الأستاذ ابراهيم هاشم فلالى فى مكة المكرمة عام ١٣٢٤هـ — ١٩٠٣م وتعلم فى مدارسها على النهج القديم ، ثم عمل فى التدريس فى مدارسها وتولى عدة وظائف أخرى .. آخرها مراقب مساعد بدار البعثات السعودية فى القاهرة .. وأخيراً عاف حياة القيود والوظيفة فتركها أو تركته وعاش على ضفاف وادى النيل من كفاحه وجهاده فى الحياة كما يقول فيه العلامة الكبير الاخ محمد عبد المنعم خفاجى [١] ...

وأديبنا من الرعيل الأول من أدباء الحجاز ومن الصفوة المخلصة للعروبة والأدب [٢] ...

فهو شاعر مبدع مجيد .. حيث قد أخرج ثلاثة دواوين شعرية هى :-

---

(١) الشعر والتجديد . ص ١٢٧ . لمحمد عبد المنعم خفاجي ..

(٢) ترجمناه بشيء من التفصيل في كتابنا « شعراء العروبة في القرن العشرين » المخطوط .

صدى الألحان ، وألحانى ، وصبابة الكأس ، وقد كتب مقدمة ديوانيه الأخيرين الشاعر العربى الخالد على محمود طه المهندس[1] . . .

وله مؤلفات فى النثر مهمة منها : رجالات الحجاز وقد طبع الجزء الأول فى القاهرة عام ١٩٤٦ م ، وقدم له الدكتور طه حسين . .

وكتاب : مع الشيطان وهو مجموعة قصصية المطبوعة عام ١٩٥١ م بالقاهرة ، وكتاب « المرصاد » فى ثلاثة أجزاء ، نقد فيه الأدب العربى فى الحجاز فى الفترة المعاصرة . . نقداً منهجياً سليماً . . وكتاب « أين نحن اليوم » وهو مجموعة بحوث فى الوطنيـــة والأدب والسياسة ، وفى هذا الكتاب « أين نحن اليوم » بحث قيم ألقاه المؤلف محاضرة فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة عن الشاعر الخالد عمر بن أبى ربيعة المخزومى (٢٣ه - ٩٣ه) وقد سبق وان نشره مستقلاً على حدة فى كتيب . . . وفى بحث عمر بن أبى ربيعة الكثير من الآراء الجديدة التى كشفت لنا جوانب عدة من حياة شاعرنا المخزومى الخالد . .

وقد درس فيه الأستاذ الفلالى المجتمع الحجازى فى عصره دراسة علمية عميقة وفى رأينا أن كل من يريد أن يكتب عن الشاعر عمر بن أبى ربيعة من الأدباء والباحثين عليه أن يطلع على هذا البحث الجليل . . !

يمتاز أديبنا الفلالى بالجرأة والصراحة فى أدبه . والإطلاع الواسع فى العلوم والثقافة والأدب الغزير . . فهو من الأدباء الذين يصدعون بالحق لوجه الحق ولا يخشون لومة لائم ودليلى على ما أقول . مؤلفاته المطبوعة . . وهى مصداق ما ذهبت إليه . . وواسطة عقدها كتابه الأخير « لا رق فى القرآن » الذى تناول فيه تاريخ الرق فى العالم منذ أن عرف الانسان

---

(١) ولد علي محمود طه المهندس عام ١٩٠٣ . وتوفي عام ١٩٤٩ م .

التأريخ . . . وعرض أسبابه ونشأته بوعى وعمق . . وقد أوضح المؤلف فى مقدمة كتابه هذا الأسباب التى حدت به الى تأليفه بقوله : « . . إن هذا الكتاب محاولة للتذكير بما فى القرآن من نظم سهلة التطبيق فيما يشغل أذهان الناس ، وفيما يختص بمعاشهم ووجدانهم وأفكارهم مما جرنى إليه البحث الذى من أجله كان تأليف هذا الكتاب وفيه دفع لبعض التهم التى يتشدق بها الجاهلون بالقرآن والحاقدون عليه . . ويلصقونها بالقرآن جاءت فى تضاعيف الدراسة والبحث . . كما ان فيه تنزيهاً للقرآن مما يرتكبه من يحملون شعارات الكتاب والسنة وما هم منهما على شىء . . فلعل ذلك يكون مثيراً وحافزاً على إعادة النظر الى ما تحفل به آيات القرآن من نظم لا تدانيها النظم الوضعية إحكاماً وتسديداً . إن ما نراه سائداً فى بعض بلاد الإسلام ليس من الإسلام فى شىء . . فحاشا لنظم القرآن أن تكون متخلفة عن ركب الإنسانية . . فإن القرآن ما كان خاتمـــة الأديان لولا أن موحيه يعلم انه تشريع لا يضيق بزمان ولا بمكان . . ولا بانسان أينما كان وهو يقر الجمود والرجعية ولا يرضى البغى والعدوان ، وينكر استرقاق الانسان لأخيه الانسان . . » اه . ص ٩ . فلا فض فوك يا استاذ ابراهيم . . وبارك الله فيك وحياك . . . !

ثم تناول لنا تأريخ الرق عند الأمة الأغريقية ويعرض لأقوال أساطين الفكر والفلسفة عندها من أمثال : افلاطون ، وأرسطو ، وسقراط ، وصولون ، فيثبت للتأريخ بحجج دامغة ان الأمة الأغريقية التى انجبت هؤلاء الفلاسفة العظام . . قد تبنت الرق واستساغته فى مجتمعها . . فنرى ارسطو مثلاً يقول : « لا يزال فى العالم اناس مخلوقون للسيادة وآخرون مخلوقون للطاعة وحكمهم فى ذلك حكم الآلات الحية التى تساق للعمل . ولا تدرى فيما تساق إليه . . »

ويقول افلاطون فى جمهوريته المشهورة : « ... كلكم اخوان فى الوطنية

ولكن الإله الذى جبلكم وضع فى طينة بعضكم ذهباً ليمكنهم من أن يكونوا حكاماً ، فهؤلاء هم الأكثر احتراماً ، ووضع فى جبلة المساعدين فضة .. وفى العبيد لأن يكونوا زراعاً وعمالاً وضع نحاساً وحديداً .. » ص ١٧ .

وهذا صولون - أحد حكام اسبارطة ومشرعيها الممتازين - نراه يعترف بالرق ويعمل على تشجيعه فى المجموعة الانسانية .

ثم يعرج المؤلف الفاضل الى تأريخ الاسترقاق فى الأمة الرومانية ، وعند الأسبان ، والطليان ، والانجليز ، والجرمان ، والغاليين ، والهنود ، والفرس ، والصينيين ، واليهود ، والنصارى ، والعرب ... !

ثم ينتقل بنا المؤلف الفاضل الى الفلسفة الإسلامية ليوقفنا على كنوزها وتشريعاتها الحكيمة .. فيعرض - فيما يعرض له - نظرة القرآن الكريم الى الإنسان كإنسان له كرامته ، وحريته ، كما تناول المساواة الصحيحة فى الإنسانية والمعايير المستقيمة للتمايز بين الناس ، ونظام الحكم فى القرآن ، وحقوق الفرد فى الجماعة وحقوق العمال وأصحاب رؤوس الأموال وقد أبان عن نظام الملكية فى القرآن .. وأثبت بطلانه .. وقرر ان الإسلام يقيم الحكم على الشورى - وهو النظام المعروف اليوم بالحكم الديمقراطى - ويصرح القرآن الكريم بذلك حيث يقول : « أمرهم شورى بينهم » ويقول الله سبحانه وتعالى فى موضع آخر من القرآن الكريم : « وشاورهم فى الأمر » .. وحكم الخلفاء الراشدين المهديين خير دليل على ما نقول ..

إن القارىء لا يظن مؤلف كتاب « لا رق فى القرآن » .. أديباً حصيفاً .. وشاعراً مبدعاً مجيداً .. لأن الأستاذ ابراهيم هاشم فلالى .. يظهر لنا فى كتابه هذا عالماً جليلاً ، وفقيها كبيراً ، بكل ما فى هذه اللفظة من معنى .. متضلعا من الفقه وعلوم الشريعة السمحاء ، وإنى أحيل القارىء العربى

الكريم الى فصل الزكاة رأس مال الدولة ص ١٠٢ .. من الكتاب .. والتكامل الاجتماعى ص ١٠٩ . وعقاب السرقة ص ١١٥ . والربا والميسر ص ٩١ ، ٩٤ . والرشوة والإحتكار ص ٩٥ ، ٩٦ . فتراه يورد النص القرآنى ثم يعرضه على أقوال المفسرين الأعلام من قدامى ومحدثين ثم ينقل ما قاله الرواة الثقاة فى تفسير ذلك النص فيدققه ويجعله تحت « المجهر المنطق » - إن صح لنا هذا التعبير - الى الحكم الفصل فى الأمور ثم يعطينا خلاصة ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حول الاسترقاق وبعدها يورد لنا قبسا من آراء أعلام الأدب والفكر فى العالم العربى حول الرق ، كالإمام محمد عبده (١٨٤٩ م — ١٩٠٥ م) ، والشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الشهيرة (١٨٦٥ م — ١٩٣٥ م) ، والشيخ المجاهد الإسلامى الكبير عبدالعزيز جاويش (١٨٦٧ م — ١٩٢٩ م) ، والأستاذ الكبير سيد قطب ، والدكتور على عبد الواحد وافى ، والأستاذ عبد الرحمن عزام (أمين الجامعة العربية سابقا) ، وصاحب (الرسالة الخالدة) ، والعلامة الكبير محمد عبدالمنعم خفاجى ، والاستاذ العبقرى الكبير عباس محمود العقاد ، والأستاذ أمين الخولى وغيرهم ... !

ثم يفضح لنا المؤلف بعض الملوك المتسترين بالإسلام ويعرى الذين يلقبون أنفسهم بالعلماء زوراً وبهتانا فيضع النقـــاط على الحروف ... ويأخذ بيدى القارىء ليدله على المجتمعات التى يسود فيها الرق فى عصرنا الحاضر ..

وتحصيل الحاصل ، فالكتاب من الدراسات الإسلامية الرفيعة التى تمتاز بالروح العلمى والنهج السليم فهو يعتبر من المصادر المهمة فى الثقافة الإسلامية .. وقد سد فراغا كبيراً فى المكتبة العربية ، وألقم المتشدقين بالتقدمية والديمقراطية .. والعلمانية المقيتة حجراً ..

وفى الختام نهنىء الأدب العربى بهذا البحث القيم عامة والأدب الحجازى خاصة . . والذى سيصبح عصا موسى تلقف ما يأفكون . ونستميح مؤلفه الفاضل عذراً على بساطة هذه الكلمة . .

ونرجو له التوفيق والسعادة ؟

الرسول القائد

الرسول العربى محمد (ص) ذو شخصية متعددة الجوانب .. تعدداً يصلح أن يكون بمجموعه معهداً يتخرج به أهل الفكر والمعارف .. وأساطين السياسة وقواد الأمم .. فهو القائد الحازم ، وهو الحاكم العادل وهو السياسى المحنك ...

فشخصية الرسول (ص) كما قال الإمام المرحوم محمد مصطفى المراغى : « منذ وُجد الانسان على الارض وهو مشوق الى تعرُف ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل وظهر له ضعفه وتضاءل غروره ، ونبيُّ الاسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود ، فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحى العظمة الانسانية فيه ، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته فى عقله وخُلقه وعلمه ، ومع انهم استطاعوا الوصول الى شىء من المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبُعد شاسع وطريق لا نهاية له .. »[1]

وقد تناول المؤرخون والباحثون من قدامى ومحدثين جوانب هذه الشخصية العبقرية الفذة بالدرس والتمحيص فقد زخرت أسفار السيرة النبوية بأخبار النبي العربى المكرم وأعماله المجيدة .. ولكن الملاحظ ان كل من

---

(١) حياة محمد ، لهيكل ، المقدمة (أ) مطبعة مصر ١٢٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

كتب عن هذه الشخصية من المؤرخين والكتاب .. كان « مجتراً » لما قاله السابقون من كتاب السيرة النبوية ، فبقيت المكتبة العربية مفتقرة الى دراسة علمية لجانب من جوانب هذه الشخصية بقلم كاتب ذو اختصاص فيما يكتب ... !

حتى ظفرت بهذه الدراسة العلمية والتى نحن بصددها الآن للمؤرخ الثبت الزعيم الركن الأخ محمود شيت خطاب .. وأعنى بها « الرسول القائد » الذى سرد فيها الجانب العسكرى من شخصية النبي محمد بن عبد الله (ص) وحروبه والوقائع التى خاض غمارها بنفسه قائداً وجندياً .. ويقع هذا الكتاب القيم فى (٣٥٩) صفحة من القطع الكبير .. وانتظم مقدمتين مقدمة للطبعة الأولى والصادرة فى عام ١٩٥٨ .. والاخرى للطبعة الثانية .. وقد وضع لنا المؤلف الدواعى التى دعته لتأليف كتابه هذا بقوله : « لقد درست حياة الرسول العسكرية بروح علمية محايدة منها إظهار الواقع العملى من قيادة محمد ، ذلك الواقع الذى يستحق التقدير كل التقدير ولم أنس المواقف التى تستحق التقدير من أعمال المشركين ، لأن قيادتهم وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمة عسكرية فى قتالها ضد المسلمين ، مما يجعلنا نلمس ما لاقاه الرسول من مصاعب فى القضاء على المشركين ... » ص ١٢ .

ويعود المؤلف الفاضل فى مقدمته قائلاً : « إن دراستى لحياة الرسول العسكرية بهذا الأسلوب بجهود متواضع ، لعل فيه فائدة للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، ليأخذوا عبرة من حياة قائدهم الأول فى إعداد القوة وحماية الاسلام ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .. فإن استطعت بهذا المجهود أن أضيف صفحة نيرة الى صفحات التأريخ العسكرى ، أستثير بها نفوس العرب والمسلمين ، فقد بلغت غاية أمنيتى ، وإلا ، فإنما الأعمال بالنيات ... »

نعم ، لقد أصبت مبتغاك . فبارك الله فيك وحياك ! ! .

استلزم الكتاب ستة عشر موضوعاً وهي : الحرب العادلة ، قبل نشوب القتال ، الدفاع عن العقيدة ، الصراع الحاسم بين عقيدتين ، القاعدة الأمينة ، النصر للمغلوب ، إعادة النظام ، هازم الأحزاب ، القصاص العادل ، الفتح القريب ، فترة الهـــدنة ، عودة المستضعفين ، استثمار الفوز ، مولد امبراطورية ، التطبيق العملي . .

والكتاب مزين بالخوارط والمخططات التوضيحية التي تزيد من معرفة القارئ لانتشار الدعوة الإسلامية ومعاركها مع المشركين والحروب التي قادها الرسول القائد بنفسه . .

فهذا الكتاب - بحق - أول دراسة علمية منهجية للجانب العسكري من شخصية الرسول (ص) . فقد كتبت بإسلوب علمي بسيط بعيد عن المزخرفات اللفظية ، والتنميق الفارغ والخيال المجنح ، ليدرك فحواه كل قارئ مهما كانت ثقافته . . . فالأخ محمود شيت خطاب ذو ثقافة إسلامية رفيعة بالإضافة الى ثقافته التأريخية بل العسكرية حيث انه يحمل رتبة « زعيم ركن » في الجيش العراقي الباسل . . !

فأي قلم أجدر من هذا القلم المجاهد الخلاق . . بتدبيج مثل هذه الدراسة النفيسة . . ؟ !

فقد تجلت لنا عبقرية المؤلف في كتابه هذا ، ولم يكن المؤلف الفاضل مؤرخاً فحسب ، بل نيقداً للأخبار . . فقد سئمنا من مسخ بعض من يسمون أنفسهم بالمؤرخين . . الذين ينسخون الأخبار من مظانها ويسودون بها بياض الطروس . . حتى أشرق علينا الأخ شيت خطاب بمؤلفه القيم . .

الذى كتب لنا فى التأريخ الإسلامى مؤلفه بإسلوب علمى محايد . . وبباصرة الناقد الحصيف . . وببيان عربى مبسط . يشيع فيه الإشراق والوضوح . .

لقد برهن المؤلف الفاضل على ثقافته العلمية الغزيرة واطلاعه الواسع فى التأريخ ، وبخاصة التأريخ الإسلامى ، وتضلعه من علوم الشريعة الاسلامية . . .

فحسبك - أيها القارئ - أن تعلم ان هذا « المؤرخ العالم » قد استق مادة كتابه هذا من أمهات المصادر والمجاميع التأريخية الموثوق بها ، وكتب الفقه والأدب ، عربية وأجنبية ، والتى أنافت على ستة وسبعين مصدراً . . .
فقد عرض المؤلف الكريم - من جملة ما عرض له من موضوعات - لقضية السلم والحرب فى الاسلام . . وأثبت للملأ على أن السلم فى الاسلام هو القاعـــدة الثابتة والحرب هى الإستثناء . . وان لفظ الإسلام مشتق من (السلام) فكلاهما من مادة واحدة . .

وعرّف لنا المؤلف الحرب فى الاسلام بأنه « هو قتال العدو لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام ، مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة فى القتال . . »[1] ص ١٩ . وحرب الفروسية كما عرّفه المؤلف بقوله هو : « كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيه الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف . . » ص ١٩ .

فالاسلام لغة الخضوع ، واصطلاحاً خضوع القلب والروح والجسم لنظام الحق والخير . . لإله الكون . . الله سبحانه وتعالى . . .

---

(١) هذه هي الغاية من أجل الحرب في الاسلام . . فأين من هذه التعاليم الاسلامية السمحة ، تعاليم النظم السائدة في العالم اليوم ، كالحروب التي تشنها الدول الاستعماريـــة الكبرى . . كفرنسا مثلا في حربها ضد الشعب الجزائرى المجاهد الأبي . . ؟ ؟ !

ثم يعقب المؤلف على قوله الآنف فى تعريف السلام فيقول : « بل إن السلام فى الاسلام نور يضيء للناس كافة ، والسلام عند أدعياء السلام نار تحرق وتدمر غيرهم من الناس . . » ص ١٤ .

تأمل - عزيزى القارئ - الى فطنة المؤلف الكريم ورهافة حسه وثقافته . . الى تنبيهه الى الجملة التى درج على خطها المؤرخون والكتاب فى بحوثهم . . وهى : « الفتح الاسلامى على عهد الرسول » وقد علل أوجه خطأ هذا التعبير الشائع بقوله : « لأنه - أى الرسول (ص) - لم يفتح بلداً لغايه الفتح بل لغرض حماية حرية نشر الإسلام فيه وتوطيد أركان السلام فى أرجائه . . » ص ١٠ . . .

ولن يفوت المؤلف الفاضل دس المستشرقين وتخرصاتهم . . وطعنهم فى شخصية الرسول محمد (ص) وبخاصة انتقادهم لبعض أعماله العسكرية فقد رد على تخرصاتهم الباطلة بالحجج الدامغة والردود الجامعة المانعة (١) . . .

وتحصيل الحاصل فالكتاب « الرسول القائد » عرض علمى مسهب بعيد عن التعقيد اللفظى والخيال . . لروح الاسلام ورسالته الانسانية وما اشتمل عليه من تعاليم ونظم رفيعة تصلح لكل مصر . . وفى كل عصر . . وابراز للناحية العسكرية فيه وللحروب التى قادها الرسول المكرم محمد (ص) بنفسه . . وانتصر فيها المسلمون بفضل شجاعته ورباطة جأشه . . وخططه الحكيمة ، وعبقريته العسكرية . . لا بالخوارق التى يعزوا انتصاره اليها أهل الدجل والشعوذة . . بأقوال لا يركن اليها العقل ولا يقر بها المنطق . . !

---

(١) راجع مقدمة الكتاب . ص ١٠

إذن (فالرسول القائد) من الدراسات الإسلامية العلمية الرفيعة .. التى ظفر بها العصر الحاضر . والتى قلما يجود بأمثالها الزمن ..

فتهانينا لأخينا المؤرخ البحاثة الزعيم الركن محمود شيت خطاب .. على دراسته القيمة .. وإننا بانتظار صدور دراسته المنتظرة « قادة الفتح الإسلامى »[1] ..؟

---

(١) أول مؤلف في بابه باللغة العربية .. حيث قد بحث فيه المؤلف الفاضل أسماء القواد الاسلاميين .. ورتبها على طريقة المعاجم .. كمعجم الأطباء « طبقات الأطباء » وغيرها .. ونشر بعض فصوله في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ومجلة « الحج » السعودية ، ومجلة التربية الاسلامية ـ بغداد ، ومجلة « الكتاب » التي تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين .

على الضفاف

فى الجزيرة العربية اليوم نهضة شعرية تبشر بخير .. وتنبىء باسترجاع مجدها الزاهر فى غابر الأداهير.. الجزيرة التى أقلت رمالها السمراء ، الملك الضليل امرأ القيس الشاعر الفحل .. وصناجة العرب (أعشى قيس) .. وعلقمة الفحل .. وعمر بن كلثوم أحد شعراء المعلقات السبع وصاحب النونية الشهيرة بنونية العرب ، وحسب الجزيرة فخراً انها كانت المورد للشعر العربى منذ الجاهلية حتى العصر العباسى ، وهى التى أنجبت الطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس ، وأبا عبادة البحترى ، وابن الطثرية ، وجرير والفرزدق .. وهى المهد الذى هدهد عمر بن أبى ربيعة المخزومى الشاعر الغزلى الخالد .. وخليفته الشاعر العربى عبدالله بن عمر المعروف بالعرجى ، وشاعر الدعوة الاسلامية حسان بن ثابت الأنصارى .. وغيرهم من فحول الشعراء .. ثم ران عليها الخمود .. واستحوذ الخمول عليها بأغلاله .. وكادت تنطمس معالم ذلك المجد الزاهر .. لولا بوارق من أمل .. كانت تومض بين الفينة والفينة ، حتى حل عصر النهضة الحديثة .. وهبت الأمة العربية من رقدتها الطويلة .. تطاول الزمن وتصاول الأهوال ، هبت تحطم الأغلال التى كُبلت بها ردحاً من الدهر .. فرأينا الثورات الفكرية ، والإنتفاضات التحررية تنهض الواحدة تلو الاخرى .. ففى الجزيرة العربية .. بزغ فجر الدعوة الوهابية بقيادة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ – ١٢٠٦ هـ) وهى حركة إسلامية هدفت الرجوع بالاسلام الى نبعه الصافى .. الى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .. وتخليصه من الشوائب التى ألصقها به أهل البدع ، والطارئون عليه .. فهى

حركة إسلامية سلفية . . ويعتبر حدوث هذه الحركة من أعظم الحركات الاسلامية - الفكرية - فى العصر الحديث[1] . . وعلى أثرها أخذ الأدب العربى الخامد يتململ ويبدى حراكاً . . وجعل ينفض عن منكبيه غبار الركود . . ويمزق عن اهابه برود الخمول والكسل وراحت الجزيرة العربية تنفى عن نفسها القحط الشعرى . . حيث قد طلع علينا أدباء كانوا الرواد الأول للأدب العربى فيها . . من أمثال : محمد سرور الصبان ، ومحمد سعيد العامودى ، وابراهيم هاشم فلالى ، وعبد القدوس الانصارى ، وحمزة شحاته ، وحمد الجاسر (عضو المجامع العلمية العربية الثلاثة - فى القاهرة - وبغداد - ودمشق) ، وحسن عبد الله القرشى ، ومحمد حسن عواد ، وابن عثيمين الكبير - شاعر الجزيرة العربية فى وقته - وعبد الله الفيصل ، وشاعرنا المبدع طاهر زمخشرى . . الذى صدر له مؤخراً ديوان جميل عن مطابع دار الكتاب العربى بالقاهرة . . إسمه « على الضفاف » ويقع هذا الديوان فى (١٧٦) صفحة من القطع الكبير ومزين بلوحات فنية زاهية . . وعلى ورق صقيل ممتاز . . أظهره فى بزة سابغة . . زادته رونقاً وبهاءً على جميل معانيه ، وجزالة ديباجته . . ورصين عبارته ، وهو سادس ديوان يصدره الشاعر طاهر زمخشرى . . فقد أصدر كتاب « المهرجان » وهو عن رحلة الأمير عبد الله الفيصل الى أمريكا ، وهو باكورة نتاجه المطبوع

---

(١) راجع حول الوهابية ، كتاب الثورة الوهابية ، لعبد الله بن علي القصيمي ، المطبوع عام ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م / المطبعة الرحمانية بمصر ، ويقع في (١٤٠) صفحة من القطع المتوسط ، وهناك مقالان عرضا الوهابية ، اولهما للدكتور طه حسين في كتابه « ألوان » ص ٣٣ . طبعة دار المعارف بمصر ط ٢ / ١٩٥٨م وعنوانه « الحياة الأدبية في الجزيرة العربية » وكان قد نشره في مجلة أمريكية تصدر باللغة الانجليزية في شيكاغو ، ثم ترجمته مجلة الهلال ونشرته في عام ١٩٢٠ .

ومقال للاستاذ الكبير عباس محمود العقاد عنوانه « الدعوة الوهابيــة » في كتابه « الاسلام في القرن العشرين » ص ١٠٢ ، كتاب الهلال .

فى النثر ، ثم أردفه بديوان « أحلام الربيع » المطبوع فى القاهرة ١٣٦٥هـ ، وديوان « همسات » عام ١٣٧٢ هـ ، وديوان « أنفاس الربيع » ، وديوان « أصداء الرابية » عام ١٩٥٧ م ، وديوان « أغاريد الصحراء » عام ١٩٥٨ م . وهذا الديوان « على الضفاف » الذى نحن بصدده الآن . . والذى يضم خمساً وخمسين قصيدة ومقطعة ، وتسع عشرة رباعياً ، تتقدم الديوان كلمة للشاعر خاطب بها ابنه (فؤاد) . . ثم يطل علينا بهذه الترنيمة الصوفية الجميلة « لبيك » :

لبيك رب العالمين
لبيك جئنا طائعين

لبيك بالدمع الهتون يفيضه وجلٌ ورعب
فالعين ترنو للسماء ، ودمعها الهدّار سحب
والقلب يلهج بالدعاء وقد تلجلج فيه ذنب
أدعوك ، يا رب العباد ، وليس لى إلاك رب

وهداك للغفران درب
وإليه بالآلام تحبو

فالشاعر غنائى النزعة . . كلاسيكى الشكل . . رومانسى التعبير . . فهو من مدرسة الشاعر الخالد على محمود طه المهندس . . ومن المتأثرين بموسيقاه الصاخبة - كما يتضح لى - وتعابيره الشعرية الرنانة . . ذات الجرس الموسيقى الأخاذ . . فـ « على الضفاف » عالم من الرؤى الرفافة ، والاطياف المحلقة . . فهو فى - رأيى - يمثل الذروة لشاعرية طاهر زمخشرى ، وقمة فنه . . وميسم عبقريته . . والمتتبع لشعر زمخشرى ، يلمس التطور السريع الذى مر به الشاعر منذ أن أصدر أول ديوان له حتى اليوم . .

وفى هذه النقله التى وصل اليها طاهر زمخشرينا . تكون هى المرفأ الفنى الذى تلقى شاعريته فيه أمراسها . .

إسمعه يقول من قصيدة عنوانها « انتظار » :

على مرجل الألم الثائر   وفى صحوة القدر القاهر
ومن ثورة الشجن الهادر   وإغفاءة الأمـــل العاثر
وتهويمة الخافق الحــائر   هواجس لاب بها خاطرى
ومن خلف ستر الدجى الغامر   سمعت صدى هاتف ساحر

يقول : انتظر سوف يأتى الصفاءْ
مع الصبح فى بُرُد من ضياءْ
ويجلو الهموم ، ويطوى الشقاءْ
وتصدح فى فيئه . . للبهـــاءْ . .

ويستمر شاعرنا فى ترنيمته هذه . . بهذا التعبير الجميل وهذه السلاسة المستعذبة حتى يقول :

فلما تراءت أمانى الغدِ   ملأت ببيض رؤاها يدى
وقد صفقت فى خميل ندى   وقد شعَّ حولى سنا فرقد
وصافحت طيف غدى المسعد   قذفت بيأسى الى الموقد
ومن خلف ستر الدجى الأسود   سمعت صدى هاتفٍ منشد

يقول : انتظر سوف يشدو السرورْ
مع الصبح فى وشوشات الزهورْ
ويغمر وجه الحياة . . . البكورْ
وتصدح فى فيئه . . . للطيـــورْ

وبهذه الروح الرومانسى الشفاف . . يطل علينا الشاعر بهذه الأغرودة الجميلة :

من وراء الضباب فى موكب الفتنة يرنو لموقفى فى العراء
شبح لا أراه إلا متى اشتقت لدنيا الفتون حول حراء
وأمامى رؤى على ضفة النهر تناغى هواجسى بالصفاء
وجوارى فى ضاحك الروض ورقاء تناغت أهدابها فى حياء
تملأ النفس فتنة ، وهى بالفتنة حسن ، منسق الأجزاء

وعلى هذا التنسيق الجميل يستمر شاعرنا فى قصيدته هذه «عند الغروب» حتى يختتم قوله :

وأنا فى الضفاف أصدح بالحب لطيف موشح بالضياء
وهو فى أفقه يعانق أحلامى ، ويشدو مردداً أصدائى

ويمتاز الاستاذ طاهر زمخشرى فى شعره .. بديباجة عربية سليمة قوية .. تذكرنا بديباجة الشعر العباسى الخالد .. فهاك قوله واصفاً لنا راقصة رآها تتلوى على خشبة أحد المسارح على ضفاف النيل الساحر :

واستدارت بحلبة الرقص ترنو فى اختلاج لقدها العربيد
لترى عطفها ألا زال يلهو كلما غازلته لفتة جيـــد
واستوت والعيون ترسل هدباً راح يشدو على اهتزاز النهود
وتعيد القلوب رجع صداه فتجيد الإيقاع بالتنهيـــد

ثم يصف لنا الموج النشوان .. بقوله:

فإذا بالضباب يرقص نشواناً ويذكى بالرقص حر الكبود
والرداء المخمور يلثم ساقاً فى مجون يضل عقل الرشيد
والفتون المراح ينشر عطراً من شفاه ندية بالورود ..![1]

ولو لم نخش مسخ روعة قصيد (طاهرنا) لاستشهدنا بالكثير من لآلئه الفتانة .. فالديوان متداول .. يستطيع أن يتمتع بعبيره من يشاء ..

---

(١) راجع « راقصة على النيل » ص ٦٤ من الديوان .

وفى باب الرباعيات التى استغرق خمساً وعشرين صفحة من صفحات الديوان نطوّف مع شاعرنا .. رياضاً خلابة .. وجنات ألفافاً من الخيال الرفاف والتعبير الموسيقى الساحر ، والمعانى المشرقة ، هاك هذه الرباعى .. مصداقاً لما أقول :

غرق الأمس فى خضم الليالى وانطوى ذكره الأليم ببالى
تخنقت الآلام فى مذبح اليأس فلاحت بسّامة آمالى
ومشت تنهب الخطى لاعتناقى وأنا أثم المنى بالخيال
ثم قالت . حـــذار فاليأس قتال لمن لا يجيد فن القتال

وكم كان جميلاً من الاستاذ طاهر زمخشرى لو انه عمد الى جمع هذه الرباعيات المبثوثة فى ديوانه « على الضفاف » وفى « أغاريد الصحراء » وفى ديوان « أصداء الرابية » وأصدرها فى مجموع مستقل .. كما فعل زميله الأديب الكبير الاستاذ ابراهيم هاشم فلالى فى ديوانه « صبابة الكأس » .

وفى الختام أهمس بأذن صديقى طاهر زمخشرى فأقول : إن ربة الشعر قد وهبتك الإلهام .. ونادتك من عليائها .. أن يا طاهر : تأبط قيثارتك واشدد من أوتارها ، وانثر على الدنيا الفتون .. ؟

صَفحة ذِكرى

طلع علينا أخيراً .. ديوان « صفحة ذكرى » للشاعر المبدع الاستاذ عدنان مردم بك وقد صدر هذا الديوان عن دار المعارف بالقاهرة ، وهو ثانى ديوان يذيعه الشاعر مردم بك على الناس مطبوعاً .. بعد ديوانه الأول « نجوى » المطبوع عام ١٩٥٦ م . والصادر عن دار المعارف بالقاهرة أيضاً . ويقع فى (١٥٥) صفحة من القطع الكبير .. وجاء بظهور « صفحة ذكرى » دليل قوى على أن الشعرى التقليدى ما زال بخير .. يتمتع بعافية ، أغاضت حساده ، وأماتت الأمل الحائم فى صدور أعدائه .. وقد برهن شاعرنا المبدع فى « صفحة ذكراه » على أن الشاعر الموهوب لا تعيقه القافية ، ولا تحد من تدفق قريحته .. كما يزعم دعاة الشعر الحر ..

استلهم شاعرنا عدنان مردم مجالى الكون ، ومفاتن الطبيعة ، واستحالت رؤاها الرفافة شعراً خلوباً تدفق سحراً على لسانه .. تدفق السيل الهادر ، وشاعرنا من شعراء العرب المعاصرين ، والمفتونين بالطبيعة .. ومباهجها وأفوافها .. وأجود شعره ما كان وصفاً لمجاليها .. وقد اشتهر بدقة وصفه وروعة تصويره .. مما يذكرنا وصفه بوصف الشاعر الخالد ابن الرومى .. !

وقد تغنى بالطبيعة من شعراء العرب القدامى كثير من قبله . كالصنوبرى فى زهرياته .. وابن وكيع التنسى ، وأبى عبادة الوليد البحترى ، ومن المتأخرين ابن النقيب المتوفى عام ١٠٨١ هـ[١] ، كما استهوت أكابر شعراء

---

(١) له ديوان شعر كبير مخطوط ، وقد عثرنا عليه وشرحناه وحققناه وسندفع به قريباً الى المطبعة .

فرنسا العظام من أمثال : فيكتور هيجو ، ولامرتين ، وفيني .. وغيرهم .. !

ينتظم « صفحة ذكرى » خمسة أبواب هى : الوطن ، الطبيعة ، تأملات ، صور فنية ، والمراثى .. وقـــد توخى الشاعر التوزيع العادل على هذه الابواب توزيعاً عادلاً .. وقد أهدى ديوانه « الى الرجل الكامل الفقيد خليل مردم بك ، مؤدبى ، ووالدى » .

ثم يطل علينا بترنيمة حلوة ناغى بها أباه .. وتاريخها ١٩٥٦ . حينما كان حياً .. وقد جعلها (فاتحة ديوانه) وجعل عنوانها (أبى) .. ثم يطلع علينا بعد (فاتحة الديوان) باب الوطن ، الذى انتظم عشر قصائد . هى : دمشق ، بردى ، جبل قاسيون ، سور دمشق ، بيتنا الأبوى ، مدرستى ، أفياء شجرة دارنا ، حارتى القديمـــة ، بيت المقدس ، دمشق فى الليل ، وقد استوحى الشاعر مجد بلده .. عاصمة بنى أمية .. دمشق ، وجعل يتغنى بمفاتنها .. وذكرياتها العذاب .. ومن جميل معانيه فى وصف دمشق ، قلعة العروبة الشامخة عبر الحقب والعصور .. قوله :

بلد كأحلام الشباب جنـــانه
وأديمـــه التأريخ للمتأمل
درج القضاء وشب فى أحضانه
ورمى بيمناه بأفوق منصل
خلع الزمان عليه ثوب مهابة
فغدا يصول من الوقار بجحفل
مجد كأن الصبحَ يكمن دونه
يفترُّ عن متألقٍ متهلل
عَرْفُ النبوة ضاع فى طياته
من كل ركن (كالحطيم) محجَّل

والوحيُ يوميٌّ خلف كل ثنية
بيدٍ ويرمز بالإشارة من عل
وترى من (المعراج) فوق أديمه
عظة (البراق) وطيف أكرم مرسل
ويضيء غابر أمسه حَسبٌ له
كالشمس تكشف كل داج أليل
وأكاد أبصر بالخيـــال حقيقة
وأرى (أمية) فى الزمان الأول
فى كل زاوية كتاب حضارة
يُنبيك عن ماضٍ وعن مستقبل
ورسوم ملك من (أمية) أعربت
عن غابر لمسائل بمفصل
نطقت وما فغرتْ فماً لمحدث
بلسانِ حالٍ لم يدع لتقول
كم فى الرسوم على عميق سكونها
من ساجع حلو الحديث مرتل
وهياكل فوق الثرى منثورة
كشتيتِ أوراق الخريف الممحل

ثم يستمر الشاعر يتغنى بأمجاد دمشق التالدة ، على هذا النسق الجميل . . وبهذا الاسلوب الأخاذ ، وبهذا الوصف الدقيق . . فيقول :

وطنى تقدس تربه وتباركت
عند الطعان حصونه من معقل

ما زال طيف من (أمية) ماثلاً
يومى بمختضب ويغمز من عل
وأرى (صلاح الدين) فى ساحاتها
يختال مزهواً أمام القسطل
أعلامه بجناح نسر حلقت
وسيوفه شهب تضيء وتحتلى
وطنى وأمسك غير خافٍ مجده
عن منصفٍ نشد الهدى بتعقل
الأمس أمسك ليس ثم منازع
لك والغداة حصيلة المستقبل

ثم يقف الشاعر مبهوراً أمام جبل قاسيون ، خاشعاً ، يسرح الطرف فى صخوره العتيدة ، ويستقرأ الماضى المجيد بين أحجاره ، ثم تستحوذ الحيرة على نفس الشاعر .. فيروح يعجب من هذا المارد الذى صاول الدهر فأضجره .. وصارع الأيام ، فجدلها دونه .. وهو شامخ يهزأ بالحوادث والغير .. ثم يختتم قوله بهذه الصورة الجميلة :

مارد لم يثنِ من غلوائه
مقودُ الدهر وسوطُ القــدر
طاول الأنجم فى أفلاكها
ورنا مستعلياً من كبر
لبسَ الأحقاب ثوباً وكسا
عُريَــه منها بأبهى مئزر
فبدا وهو المعرّى طوقــه
بجــلال الرزه كالمؤتزر

مَثَلَ المـــاضى على أحجاره
خاشعاً فى ذلة المستغفر
وأطلت حقبٌ نـــاشرة
ما انطوى من عزة المندثر
فإذا التأريخ سطر مـــائل
دونه فى صفحة من حجر

ثم يختتم وصفه بهذه الصورة الجميلة:

يا نجىّ الدهر ما أنت لنا
غير محراب الزمان المدبر
كم على تربك من اقصوصة
حلوة كانت كبوحِ الوتر
قصص فاح شـذاها بالمـنى
وزكتْ أعرافها بالظفر
ضلّ من جاءك يبغى نزهة
طـامحاً فى متعةٍ للنظر
ورأى فيك للهـوِ مسرحاً
عازفاً عن سرّكَ المستتر
لم تكن غير كتابٍ جامع
حكم الدهر وسر الأعصر
وأرى التأريخ سطراً ماثلاً
دون أحجارك ملء البصر

ثم ننتقل مع الشاعر الى باب (الطبيعة).. ليمتعنا بمباهجها الساحرة.. ونملأ فراغ نفوسنا بجمال جنانها.. ورياضها.. وأفوافها الرفافة.. فالطبيعة قيثارة الشاعر.. وهى الصفة المتميزة فى شعر شاعرنا الاستاذ عدنان مردم

بك .. فقد ألقى بنفسه فى أحضانها .. وراح يناجى القمر الذى نسج الخيال .. وصاغ الصور . . وراح يخلع على الاناويه والقفار حلم الربيع . . بما راح ينظمه من درر .

وهاك - عزيزى القارئ - صوراً من وصفه للقمر :

نسجتَ الخيال وصغتَ الصورْ
حقـــائق تشرق ملء البصرْ
خلعتَ على القفر حلم الربيع
بما رحتَ تنظمه من درر
فأخصب قفر بسحر الخيـال
وفاض بدفء الحنان الحجر
وأيقظتَ غافى المنى فى الصدور
وحركـتَ فى كل قلبٍ وتر
تجليت تنظر من حالقٍ
كـأنك فى الأفق عين القدر
فقلب اليك تشـكى الحنين
وجفنٌ اليك تشـكى السهر
وأنت على الدهر لا تستجيب
لعين بكـتْ ولقلبٍ زفر
ترفعت من شمم فى السماء
وحلقت فى شاهق من كبر
بلغتَ الذى رمت من رفعةٍ
وهل رفعة عصمتْ من ضجر

ويثنى الشاعر بعدها ليصف لنا (أمطار كانون) وصفاً دقيقاً بإسلوب ساحر خلاب . . واليك شيئاً منها :

سالت بمقلةِ موجعٍ تجرى
منهلةً من لوعةٍ تفرى
وتدفقتْ تنساب ساكبة
بجفون ثاكلةٍ على قبر
هطلتْ وكل غمامة سنحتْ
عينٌ تفيض ومقلة تذرى
تنهلُ مغدقة بمنهمر
كالسيل فى مدّ وفى جزر
أو كالعباب جرى بمصطخب
تياره وانساح عن غمر
نشرتْ به الريحُ الهبوب بما
نسجته رايات من الذعر
فى موكبٍ الموج ملتطم
بجناح نسرٍ حطّ عن وكر

* * *

وتذكرنا (أمطار كانون) بقصيدة الشاعر الخليفة المقتول فى عام (٢٩٦ هـ) عبد الله بن المعتز فى وصفه لديمة منهلة :

وسارية لا تمل البكا
جرى دمعها فى خدود الثرى[١]

ولكن شاعرنا (مردم بك) يختلف بوصفه عن كل من وصف المطر من شعراء العرب القدامى . . والمحدثين معاً ، اختلافاً جوهرياً ، فشاعرنا القديم

(١) راجع ديوان عبد الله بن المعتز ، شرح وتحقيق المرحوم الشيخ محي الدين الخياط . وتقديم الاستاذ شفيق أجبرى ، والمطبوع في دمشق عام ١٣٧١ هـ .

يكتفى بوصف ما تقع عليه باصرته ، وصفاً سطحياً ، بينما نرى الشاعر (المردمى) يغوص فى أغوار موصوفه . . يستجلى بوصفه أغوار ما يصف ، فلا يترك المعنى الذى يطرقه إلا ويتمه . . وهذا المذهب فى الأدب شائع لدى شعراء الغرب فى العصر الحديث ، وأعنى به الدقة فى الوصف عند الشاعر ، وهو الميزة التى يتميز بها الأدب الغربى عن الأدب العربى ، وقد امتاز بهذه الميزة من شعراء العرب : ابن الرومى على بن العباس ٢٢١ هـ/٢٨٣ هـ ، فى القديم ، ومن المعاصرين : عباس محمود العقاد ومحمد بهجة الأثرى وحافظ جميل ، والمرحومان الخليلان ١٨٧٢م/١٩٤٩م ، مطران ، ومردم بك[١] .

وكأنى بالأستاذ عدنان مردم بك ينطبق عليه قول الشاعر الماجن شارل بودلير[٢] : « ان الأشياء تفكر خلالى كما أفكر خلالها » . . وقد أصابت الأديبة العربية الأستاذة وداد سكاكينى ، حين وصفت شاعرية الأستاذ عدنان مردم بك بقولها : « دقة الوصف ، وروعة التصوير فى شعر عدنان امتداد لنبوغ أبيه فى هذا الفن الذى كان الطابع الأول لشعره المعهود . . »

ثم يعرج الشاعر عدنان مردم الى « تأملاته » ، التى انتظمت عشر قصائد ، استجلى لنا فيها سريرة الإنسان ، وإنى لألمح وميضاً من فلسفة شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبى العلاء المعرى (٣٦٣ هـ — ٤٤٩ هـ) يشيع بين قصيد الأستاذ مردم ، وأظنه من المتأثرين بفلسفته . . إسمعه يلخص فلسفته فى الحياة بهذه الأبيات الأربعة من قصيدة (الوجود خطيئة) :

جئنا على كره وليس لنا
علم بما يجرى به القلم

(١) ولد الاستاذ خليل مردم بك في عام ١٨٩٥ م وتوفي في ٢١ تموز ١٩٥٩ م ، وقد ترجمناه في كتابنا المخطوط « شعراء العروبة في القرن العشرين » .
(٢) شارل بودلير ، ولد سنة ١٨٢٩ م . وتوفي سنة ١٨٦٧ م .

والمـــوت آخر ما تطالعنا
فيه الرواية حـين نختتم
صدق الألى بمزاعم سلفت
إذ أسرفوا بالشك واتهموا
زعموا الوجود خطيئة كبرت
يا صدق ما قالوا وما زعموا

ثم يمضى مصغياً (لربة شعره) وهى تقص عليه هذا الحديث :

ورنت إلىّ تشير فى جزع
والشمس نحو الغرب تنهزم
والليـــل خلف الافق متشح
بسواده أبـــداً وملتثم
قالت : أحـــتم ما نكابده
من ريب دهر حلوه الألم
ما يترك الانسان من خلف
يبق ، ومحصول الجهـــاد دم
ميراثنـــا الآلام نحملها
ووساوس فى الصدر تلتطم
صدق الألى بمزاعم سلفت
إذ أسرفوا بالشك واتهموا
زعموا الوجود خطيئة كبرت
يا صدقَ ما قالوا وما زعموا

وعلى هذا النسق الجميل ، والجرس الأخاذ .. ينبرى شاعرنا عدنان مردم بك مجيباً محدثته بقوله :

قلت : الحيــاة على تقلبها
مرموقــة ترجى وتحترمُ
آلامها كانت محببة
وعــذابها ما أوجعت نعم
تنعين قبح الليــل ناسية
آفاقـــه بالشهب تنتظم
والعين من رمد إذا عشيت
تستقبح الدنيــا وتتهم
كذب الألى بمزاعم سلفت
إذ أسرفوا بالشك واتهموا
ليس الوجود خطيئةً كبرت
يا سوءَ ما قالوا وما زعموا

واليك ومضاً من (صوره الفنية) قوله من قصيدة (الجدار المتصدع) :

أبصرته بيد البلى متصدعاً يتهــدم
فشهدت مأساة الحيـــاة حياله تتكلم
وقرأت من سير الزمان به صحائف تؤلم
ورأيت كيف رواية الأعمار كانت تختم
ألوى الزمان بأمسه وعداه خطب مظلم
فتماسكت مذعورة أحجاره تتبرم
سئمت مقارعة الردى فاستسلمت تتظلم
حجر يئن وآخر بهمومــه متلعثم
وأطــل من شعفاته شبح الردى يتبسم
والصمت أطبق مغمضاً جفناً وأغفى يحـلم

* * *

ولابد لنا من وقفة قصيرة على بابي الديوان الآخيرين . . « صور فنية » و « المراثى » . . والصور الفنية هى الطابع لشعر الأستاذ عدنان مردم بك . وقد ضمت إضمامة زاهية من الشعر المردمى الجميل . . . منها : مصارع الثيران ، الليث الجريح ، وقد أهداها الى أحرار الجزائر ، والمهرج ، والجدار المتصدع ، والندم ، بنيتى ، ذكرى حبيب بن أوس الطائى ، وهذه الصور الفنية تدل دلالة واضحة على ثقافة الشاعر ، ثقافة شعرية عالية ، وتضلعه من الأدبين : العربى ، والغربى ، وبخاصة : الأفرنسى ، وتجلت لنا فيها روعة تصويره ، ودقة وصفه ، وذوقه الفنى السامى فى التقاط الفاظه الشعرية . . وبمجمل القول نكاد أن نقول ان هذه « الصور الفنية » هى الميسم للروح الفنى فى شعر عدنان .

وانتظم باب (المراثى) ست قصائد . إثنتان فى رثاء شهداء العروبة الأبرار . . كانت الأولى « الشهيد العربى » وقد رفعها الى المجاهدة العربية البطلة جميلة بوحيرد . . والثانية فى رثاء شهداء القومية العربية الذين هدهدتهم حبال مشانق جمال باشا السفاح عام ١٩١٦ م .

وهاك شيئاً من نفاثته اللاهبة والمعنونة بـ (ذكرى يوم الشهداء) وقد القاها فى مهرجان شهداء القومية العربية المقام فى دمشق عام ١٩٤٤ م وقد استهلها بقوله :

يا فتية مهروا المعالىَ عن رضا
بدمائهم واسترخصوا المبذولا
هل بعد بذلكمُ الحياةَ لمن بغى
سبلَ المكارم ما يعدّ جليلا
قدرتم قيم المكارم حقها
لما طرقتم بابها المقفولا

فتباركت تلك الدماء على الثرى
مسفوحةً تسقى ربىً وطلولا
وتقدست أجسادكم منثورة
نشر الشقائق رقـةً ونحولا
لولا المشقة فى معاناة العلى
لرأيت كل الخاملين فحولا
إن رمتَ فى الدنيا حياة حرةً
فاسلل حساماً للطغاة صقيلا
وابسط يديك يبذل روحك عن رضا
فالمجد يأبى أن تكون بخيلا

ثم ينتقل بنا الشاعر معللاً تغلب الأشرار على الأخيار فيقول :

لكنها الأقدار تنصر ظالماً
شططاً وتخذل مرشداً ورسولا
وإذا نظرت الى الزمان وحكمه
طالعت من سخف الزمان فصولا
وأمضُّ أنواع المصائب أن ترى
حراً هوى بيد اللئام قتيلا

ثم يختمها بهذه الصرخة :

قل للذى يبغى حياة حرة
هلاَّ جلوتَ الصارم المصقولا
بين الكرامة والمذلة خطوة
إن تخطها تعش الحياة نبيلا

• • •

وللشاعر أخ إسمه (هيثم) اخترمه الموت وهو ما زال فى ميعة الصبا ، حيث لم يتجاوز العشرين ربيعاً ، وقد نبغ فى الشعر ونظم أروعه ، وله ديوان شعر مخطوط [1] . .

فلازمته لوعته وراح يندبه كلما ذرّ شارق والتمع بارق ، وكلما ناوح الحمام هديلا ، وكاكلت الذكر العذاب على آفاق مخيلته ، وفى كل شبر من المعمورة ذكرى ، فى البيت ، وفى الرياض الغن ، وفى السبل .

وإذا هبت النسام هدهدت اللوعة الغافية فى قلبه ، فيستحيل صداها شعراً أخاذاً ، يأخذ بمجامع القلوب اعجاباً واجلالاً . .

واليك نفثة من نفثاته الحرار ، مخاطباً بها شجرة اترج فى داره كان يستظل بظلها المرحوم شقيقه (هيثم) :

إن كنت ناسية لصرف حوادث
ما انبتّ من ماضٍ لنا وتصرما
فأنا المقيم على الوفاء فؤاده
إن بدّل الدهر الرجال وأسقما
هيهات يمحو الدهر فى حدثانه
صوراً لماضٍ لا يني متبسما
فى كل غصن من غصونك سيرة
عن غابرٍ تروى وأبصر (هيثما)
وأكاد أنشق من أخى أعرافه
فى كل غصن منك ماس مسلما
وأرى بعين الذكريات وخاطرى
صوراً أطاح بها الزمان وحطما
ورنّ فى اذنىّ سجع حمائم
كانت تنوء اليك من غصص الظما

(١) توجد نسخة الديوان الاصلية عند السيد تاج الدين خالد .

فقد بكى شاعرنا عدنان أخاه هيثماً فى شعره أحر بكاء ، ويمتاز رثاؤه بصدق التعبير ، وحرارة العاطفة ، ورهافة الإحساس ، ودقة الوصف ، بحيث يجسد هول الفاجعة أمام القارئ ، وقد انتظم (صفحة ذكرى) من جملة ما انتظمه قصيدتين فى رثاء (هيثم) الأولى « الذكرى » والثانية وعنوانها « الشباب الذاوى » وقد ألقاها فى الحفـلة التأبينية التى أقامتها ادارة الكلية العلمية للفقيد عام ١٩٤٢ م . ومنها :

أيقظتَ للحدث الجليل فؤادى
وغفوتَ تنعم فى طويل رقاد
أسمعت من دلفوا اليك ولم تفهْ
بعبارة وبذذتَ كلَّ مناد
وبلغت أقصى ما ينـال مفوه
من حسن إيجاز ومن إنشاد
لم ألق أبلغ من سكوتك ناطقاً
أغرى الدموعَ وفتَّ فى الأكباد
ساروا بنعشك والعيون شواخص
ينطقن عن هلعٍ وطول سهاد
أكبرن فقدك فارتددن حواسراً
ومن البلية أن يظلَّ الهادى

ويختتم عدنان مردم بك (مراثيه) بقصيدتين قالها فى رثاء والده العلامة المرحوم الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق . وهما : (السؤال الحائر) و (النجم الهاوى) .

وفى الختام نشكر للأخ الأستاذ عدنان مردم بك هديته الغالية ، ونبارك له « صفحة ذكراه » .

مُحاضَرات عَن الشِّعر العِراقي الحَديث

من منشورات جامعة الدول العربية لعام ١٩٥٩ م ، كتاب (محاضرات عن الشعر العراقى الحديث) وهو محاضرات كان الأستاذ عبد الكريم الدجيلى قـد ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية فى معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية ، أسوة بالأدباء الذين كان المعهد قدكلفهم لإلقاء محاضرات عرفوا بها التيارات الأدبية فى بلدانهم ، وهو ثانى كتاب يصدره المعهد المذكور عن العراق ، فقد سبق أن أصدر « التيارات الأدبية الحديثة فى العراق » للدكتور جميل سعيد[1] .

وجاء كتاب « محاضرات عن الشعر العراقى الحديث » فى ثلاث وعشرين ومئتين صفحة من القطع الكبير ، وقد انتظم ثلاثة عشر فصلاً ، عرض فيه مؤلفه لحركة الشعر العراقى الحديث خلال الفترة الممتدة من قبل إعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م .

ولم يكن المؤلف موفقاً فى عرضه للحركة الشعرية فى العراق . فقد جانف

---

(١) من الدراسات الادبية المهمة التي أصدرتها جامعة الدول العربية ، التيارات الادبية الحديثة في لبنان ـ المرحوم صلاح لبكى ١٩٠٦ م / ١٩٥٥ م والحركة الادبية والفكرية في تونس : لمحمد الفاضل بن عاشور ، (وأدبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية : لجورج صيدح ، والاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث) للدكتور جميل صليبا ، والاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والاردن : للدكتور ناصر الدين الأسد . والحركة الأدبية في حلب : لسامي الكيالي ، والتيارات الادبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية لصديقنا الاستاذ عبدالله عبدالجبار الاستاذ في معهد الدراسات العربية العالية نفسه ، والاتجاهات الشعرية في السودان : للدكتور محمد النويهي .

الحق ولم يلتزم الحياد فى كتابه آنف الذكر ، بل انساق بسوط التحيز وشايع الشعوبيين ، حينما كان تبيعاً لهم فى غفلة من الزمن ، ومن هنا أراد أن يبرهن على أصالة شعوبيته النكراء . حيث قد أشاح بوجهه عن أركان النهضة الأدبية فى العراق العربى ، وتخطى كثيراً من شوامخ الشعراء الذين أسهموا فى تشييد صرح الأدب العربى الحديث فى العراق لكونهم من الأدباء المؤمنين بالعروبة ، والعاملين فى سبيل قضيتها .. كما لم يف حق الذين سلكهم فى كتابه ، اللهم - إلا الذين كان لهم الفضل فى إرساله محاضراً الى معهد الدراسات العربية العليا .

و « هو الذى رافق هذه الحقبة من يوم ولادتها ، وسبر هذه النهضة الفكرية بعد أن وعى غالب ما قيل فيها ... » المقدمة من الكتاب المذكور .. !

فالعراق منجم للشعر منذ العصر الجاهلى حتى الساعة التى نحن فيها . وقد سجل التأريخ الأدبى له أنصع الصفحات فيه ، فقد أقلت مروجه الخضراء ، أبا محمد ، والشريف الرضى ، وأبا نواس ، وأبا العتاهية ، وأبا عبادة البحترى ، وأبا تمام الطائى ، الى عبد الغفار الأخرس (١٢٩١هـ) والشيخ كاظم الأزرى (١٢٠١هـ) (١) والفاروقى عبدالباقى (١٢٠٤هـ/١٢٨٨هـ) وما فحولة شعرائنا المعاصرين إلا امتداد لعمالقة الشعر العربى فى عصوره الذهبية . ومن هنا انبرى المرحوم الدكتور زكى مبارك قائلاً : « إن الشعر يزدهر بالعراق ، ويموت بمصر ، فى حين ان النثر يزدهر بمصر ويموت بالعراق ... » .

وكلام الدكتور زكى فيه شىء من الصحة ، وبصيص من الواقع ، كما فيه

---

(١) غير ان الشيخ الاستاذ محمد رضا المظفر (عميد كلية الفقه) في النجف الاشرف يذكر عام وفاة الازري في (١٢١١ هـ) غرة جادى الاولى . راجع ص ج من المقدمة ، تخميس الازرية ، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٩٥٠ م / ١٣٧٠ هـ .

مجانفة للحق ، وإلا كيف نبغ فى مصر محمود سامى البارودى (١٨٣٨م / ١٩٠٤ م) واسماعيل صبرى (١٩٢٣ م) وأحمد شوقى (١٩٣٢ م) وحافظ ابراهيم (١٩٣٢ م) وخليل مطران (١٩٤٩ م) والمرحوم على محمود طه المهندس (١٩٤٩ م) وابراهيم ناجى (١٩٥٣ م) . ومن المعاصرين الأحياء الاستاذ محمود حسن اسماعيل ، والصيرفى ، ومصطفى الماحى . . وغيرهم . .

فإحقاقاً للحق وإنصافاً للشعراء الذين صفح عنهم المؤلف ، ورغبتى فى إيقاف القارئ العربى على الحركة الشعرية فى العراق العربى ، أقدمت على نقد هذا الكتاب ، والتعليق على كل فصل احتواه . .

ففى الفصل الذى عقده المؤلف فى صدر كتابه والذى أسماه بـ « الشعر العراقى قبل الدستور العثمانى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى » استعرض فيه حركة الشعر العراقى ، فى أخريات القرن التاسع عشر ، مبيناً أغراضه وأساليبه ، كما عرض لجانب من حالة العراق السياسية فى عهد الحكم التركى ، وقد استشهد ببعض شعراء تلك الفترة من أمثال : السيد حيدر الحلى المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ[١] ، والشيخ صالح التميمى[٢] ١٢٦١ هـ ، والحاج هاشم الكعبى[٣] ، والمرحوم الشاعر العبقرى الفحل عبد الغفار الأخرس المتوفى فى سنة ١٢٩١ هـ ، والشيخ كاظم الأزرى المتوفى فى سنة ١٢٠١ هـ . .

والعجيب ان المؤلف قد أغفل فيمن أغفله . . شاعراً فحلاً من شعراء تلك الفترة ، يضاهى الحبوبى محمد سعيد ، ويبزه فى كثير من الأحايين ، وله موشحات لا تقل روعة عن موشحات الأندلسيين ، وقد أثبت بعضها

---

(١) له ديوان شعر كبير طبع مرات عديدة ، كما نشرت القسم الحسيني منه دار الكتب التجارية في النجف الأشرف .

(٢) له ديوان مطبوع ، طبعه صديقنا الاستاذ علي الخاقاني عام ١٣٦٧ هـ .

(٣) راجع شعراء الغري : ج ١٢ ص ٥١٣ ، ط . ١٩٥٦ م لعلي الخاقاني .

سهواً فى ديوان الحبوبى لرقتها وعذوبة ألفاظها[1] ألا وهو العلامة السيد موسى الطالقانى المتوفى فى سنة ١٢٩٨ هـ ، وديوانه ضخم مطبوع متيسر تحتضنه المكتبات .

وشعر السيد موسى الطالقانى يطفح بالأخيلة الرفافة ، والصور الحية ، ويكاد يقطر رقة وعذوبة ، فهو يرغمك على قراءته لطراوته ولينه .

وإذا قرأت له موشحة من موشحاته أو مقطعة من شعره الغزلى تجد نفسك بين رياض زاهية ، وخمائل غن رفافة الصور ، لجميل أخيلتها وروعة إسلوبها وطراوة ألفاظها :

أيها الساقى ومن خمر اللمى ... نشوتى فاذهب ببنت العنب
عدّها عنى كؤوساً كم سبتْ ؟ ... من نفوس وعقول سلبتْ
زعم النشوان : أن قد طربتْ ... نفسه لما احتساها وبما
أحتسى من ريق سلمى طربى

أين هذا الخمر من ذاك الرضاب ... وهو عذب للمعنّى وعذابْ
فاسقنيها من ثناياها العذاب ... واطف فيها من فؤادى الضرما
واقض هذا اليوم منها إربى

قد فدتها الغيد لما أن بدتْ ... ولها الأغصان طوعاً سجدتْ
وبها الأقمار فى الليل اهتدتْ ... مثلما عاد نهارى مُظلما
بأثيث الجعد يا للعجب

نسج الحسن لها برد الدلال ... فبدت تختال فى عز الجمال
غار منها الغصن إذ مالت فمال ... وقلوب الناس أضحت حوّما
فوق خديها وفيها الأشنب

(١) حققه وطبعه صديقنا الاستاذ محمد حسن الطالقاني ، في مطبعة الغري الحديثة ، النجف الأشرف ، ويقع في (٤٧٥) صفحة من القطع الـكبير ، وقد استغرقت مقدمته (٨٤) صفحة . وذلك عام ١٩٥٧ م / ١٣٧٦ هـ . وراجع ص ٢٧٠ من الديوان المذكور .

تعقد الزنار فى حل العهود　　　وصليب الحسن هاتيك النهود
ولها الأصنام قد خرّت سجود　　　مثل ما فيها عبدتُ الصنما

وهواها اليوم أضحى مذهبى

مالت النفس إليها فسلتْ　　　من به عينىَ للنوم قلتْ
وكؤوس الموت فيه قد حلتْ　　　وعليــــه لم أزل أبكى دما

وهو لاهٍ لم يزل فى لعب

فاسعدينى يا ابنة الدوح فقد　　　قطع الوجد لأحشائى وقد
ولهيب الشوق فى قلبي اتقد　　　وجفون العين تحكى الديما

وهى لا تطفىء بعض اللهب[1]

* * *

أما غزله فتقرأ فيه لوعة الهيام المتأجج ، وحرارة العاطفة ، وصدق التعبير ، فهو يصور لك هواجس النفس وأحاسيسها ونزعاتها أبرع تصوير ، قلما تجود بأمثاله ريشة مفن بارع .. كل ذلك بإسلوب مشرق والفاظ طرية منتقاة ، وحسن مبنى ، وجميل معنى :

حيي عنى مرابــع الزوراء
فهى أى والهوى كِناسُ الظباء
ليس فيها إلا غزال يصيد
الأسد لكن بمقلة دعجاء
كم قصور فيهن شِيدت نخلـ
ـناها بروجاً فيها بدور سماء
قـد نزلنا بها صُحاة فما زلنا
نشــاوى الغرام لا الصهباء

---

(١) راجع : ديوان موسى الطالقاني ص ٢٧٠ ، واثبتت هذه الموشحة سهواً في ديوان الحبوبي ص ٦٢ .

سكرة لا يفيق من خامرته
لا بعد ولا بيوم لقـــاء

خلياني والشوق فهو اعتقادي
واتركاني والسقم فهو ردائي

لا بميتٍ فأستريح من الوجد
ولا لي شخص مع الأحياء

جسد ناحــل تحمله الآلا
م والسقم أثقلَ الأعبـــاء

لم يجدني الضيف الذي زارني في
الليل لولا تنفس (الصعداء)

لا حنيني يشفي الفؤاد من الوجـ
ـد ولا يطفىء الغليل بكائي

لم تزدني الدموع إلا حريقاً
فيه ذابتْ بقية الأحشـاء

من مجيري من ناعسات جفون
لا أرى غيرهن صرفَ القضاء

ومنها :

فإلى م أشكو لناحلة الخصـ
ـر نحولي ولوعتي وعنـــائي ؟

وأنادي ذات الدلال فتلوي الـ
جيد عني ولا تجيب ندائي

فاسألاها بالله فيمَ أراقتْ
عـــذبة الريق أدمعي ودمائي

واسألانى عما أجنَّت ضلوعى
من زفير الأشواق بعد التنائى
أرسلت جعدها فتاةُ ضياء الـ
صبح منه بليلةٍ ليــلاء
وأماطت براقعاً عن محيا
يملأ الأرض والسما بالضياء
أقبلت والصبا ترنح عطفيها
كما تلعبُ الصبا بالمــاء
أوشكت أن تسيل لو لم تسل نفـ
سى فداءً ويا له من فداء
لا يغرَّنك لينها إن تثنت
يا أسير الأشواق والأهــواء
إن تحت النطاق قلباً أراه
أى وشوقى كالصخرة الصماء

ثم يطلب من مُنية نفسه الوصال وأن تجود له بالريق :

فاسمحى لى بالوصل يا مُنية النفس
وجودى بالريق فهو شفائى
واعلى والأنــام تشهد أنى
لست ممن يهمُّ بالفحشاء
قد أبى المجــد والفخار لمثلى
أن تمسَّ الآثام فضل ردائى (١)

---

(١) راجع ديوان السيد موسى الطالقاني ، ص ١٠٠ مطبعة الغري الحــديثة ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م ، النجف الأشرف .

ومن شعراء هذه الفترة ـ الذين أغفلهم الأستاذ الدجيلي فى كتابه ـ شعراء بارزون ، مثل السيد عمر رمضان الهيتى المتوفى فى سنة ١٨٨٦م ، وأحمد عزة الفاروقى[1] (١٢٤٤هـ/١٣١٠هـ) ومن شعره مهنئاً استاذه الإمام المفسر أبا الثناء الألوسى بعودته من فروق سنة ١٢٦٩هـ :

لا تقبلى ما قال فىَّ العاذل
كم من مقال ليس فيه طائل
قـــد زين الأقوال منه بحلية
جيدى كجيدك من حلاها عاطل
لابد أن تبدو حقيقة قوله
فالحق لا يعلو عليه البـــاطل

---

(١) السيد أحمد عزة الفاروقي : هو رب السيف والقلم كما يقال ، ولد في الموصل الحدباء عام ١٢٤٤هـ ، وتولى تربيته أبوه ، ولما شب عن الطوق تتلمذ للسيد عبدالرزاق الجبوري ، وفي سنة ١٢٥٤ هـ استدعاه عمه الشاعر الشهير عبد الباقي الفاروقي اليه في بغداد ، ومكث عنده نحو ستة أشهر أتم في أثنائها دراسة الفية بن مالك لجلال الدين السيوطي على بعض الشيوخ ، ثم رجع الى الموصل ودرس على رئيس العلماء السيد عبد الله الفاروقي (علوم الجادة) ثم استدعاه عمه عبد الباقي ثانية اليه في بغداد في أوائل سنة ١٢٦١ هـ ، فاتصل بأدبائها وثافن علماءها ، وتتلمذ للامام المفسر أبي الثناء الألوسي ، وللشيخ أحمد السندجي ، وابنه الشيخ طه الذي درس عليه اللغة الفارسية ، وتولى عدة مناصب في الدولة العثمانية آخرها منصب متصرفية (تعز) في بلاد اليمن ، وهو الذي جمع ديوان عبد الغفار الأخرس وسماه « الطراز الأنفس في شعر الأخرس » وطبعه في فروق عام ١٢٦٦ هـ . ولولاه لضاع شعر هذا الشاعر العبقري العظيم ، وله جملة آثار منها : ديوان شعر مخطوط ، وتوجد منه نسختان الأصلية في مكتبة الأستاذ كمال بهاء الدين والثانية في مكتبة الدكتور يوسف عزالدين ، راجع الشعر العراق ، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، للدكتور عزالدين ص ٢٣٦ ، مطبعة الزهراء — بغداد ١٩٥٨ م ، كما جمع قصائد مختارة من شعره المرحوم السيد علي علاء الدين الألوسي (١٢٧٧ هـ / ١٣٤٠ هـ) وهي موجودة في مكتبة الاوقاف تحت رقم (٥٧٥٨) ، راجع : الكشاف عن مخطوطات كتب الاوقاف للدكتور المرحوم محمد أسعد طلس ص ١٥٨ ، مطبعة العاني — بغداد ١٩٥٣م ، وراجع حول ترجمته : مجلة المعرض ، السنة الثانية ، ص ٢٦٩ ، الجزء الخامس ، الصادر في مارت من عام ١٩٢٧ م مقال للاستاذ محمد بهجة الأثري .

قد ظنه فصل الخطاب وانه
ما بيننا لهو المقال الفاصل
ما قال إلا وهو يزعم انه
ترضين يا سلمى بما هو ناقل
رام التباعد بيننا فسعى بما
لا يرتضيه فى الحقيقة عاطل
الى أن يقول :
شغلتنى الدنيا فلى فى حربها
عن ذكر أيام التصابى شاغل
ما ضرّ يا لميساء قلباً جائراً
لك لو يعلمه القوام العادل
لا تمنعى طيف الخيال فربما
تُقضى لديك على يديه وسائل
لا تجهلى شرفى العظيم وتحسبى
يا أخت سعدٍ ان سعدى آفل
ومن شعره أيضاً مادحاً السلطان الطاغية عبد الحميد :
أمير المؤمنين فدتك روحى
وروح العالمين لك الفداء
لأنت حياتنا وعماد دين
به الأرضون قامت والسماء
وأنت خليفة الرحمن فينا
تدبرنا كما شاء القضاء
وانك مالك منا رقاباً
غدت أطواقها منك الولاء

وفيك الوقت يزهو كل حين
وفيك الصبح يشرق والمساء
فبتنا آمنين بظل طود
بكفيه التكرم والسخاء
نشرت عدالة وطويت ظلماً
فهذا النشر فيه الإنطواء
محوت بنور عدلك كل ظلم
ودهم الظلم يمحوها الضياء
جعلت الحق منهاجاً سوياً
ففيه الناس كلهم سواء

الى أن يقول :

بك الإسلام أصبح فى سرور
وفى درج الكمال له ارتقال
حفظت سبيله فى سيف عزم
وسيفك لم يزل فيه انتضاء
فصرت بذلك الغازى بحق
وفى يدك السعادة والشقاء
إذا الرب الحميد أحبَّ عبداً
يكون له على الملك استواء (١)

والسيد عبد الحميد بك الشاوى الحميرى المتوفى فى سنة (١٣١٦ هـ) الذى يعتبر أول شاعر عربى فى العراق تغنى بالقومية العربية ، وراح يستنض الهمم الخابية ، ويستثير النفوس الخامدة ، وامتاز شعره بالمتانة وقوة الصياغة ،

---

(١) من مجموعة خطية للكاتب .

وكان ينزع فيه منزع البداوة بعيداً عن الصنعة والتكلف ، وهو أشبه بالبارودى محمود سامى (١٨٣٨ م / ١٩٠٤ م) فى فخولته ، وقوة ديباجته ..

ومن شعره :

تذكرت (بغداد) بعد الهدوء
ونحن (بنجد) وقيعانها
وما ذكر (بغداد) من حبها
ولا من مودة سكانها
ولكن تذكرتها إذ زهت
بمطعام (حمير) مطعانها
بسيدها وابن ساداتها
ملوك الورى حلى تيجانها(١)

الى أن يقول :

فقيم الإقامة فى بلدة
تناكرُنا بعد عرفانها
كأن لم نذد عن حماها الجيو
ش ناكصة نحو إيرانها
ببيض يعجّلُ تضرابها
فراق النفوس لأبدانها
وسمر يُزرن قلوب الـ
عداة خلف مضاعف أبدانها
وخيل إذا أقبلت فى الوغى
حسبتَ تتابع عقبانها

(٧) يعني به : أباه السيد أحمد بك عبد الحميد بك الشاوي ، وكان الشاعر قد بعث بهذه القصيدة اليه من نجد وقد انتدبته الحكومة لمهمة ..

عليها قســاورة غيلها
ليعرب لا غيل خفّـانها
حقنا دما أهلها بالدمــاء
وصُنا عقــائل نسوانها
ولو لم ندافعْ لظلت تباعُ
سبـايا بأبخس أثمــانها
ونحن تحاسدُ فينا البلادُ
ولا مثل صنعاء غُمـدانها
وبغداد نلق بها جفــوة
وضيماً لقــلة إنسانها
تضــام أفاضــل أشرافها
وتسمو أراذل عُبـدانها
تُدنسُ فيها صدور الندى
بُعور القرود وعُميـانها (١)

ومن شعره أيضاً هذه الأبيات من قصيدة عامرة بكى فيها بغداد موئل العلم ومنتجع العلماء والفلاسفة ، وقد رآها تتأخر عن ركب التمدن والحضارة ، قال :

أرقت وهل يهجع المقصد
وليس لليــل المعنّى غــد

ومنها :

سقى الله بغداد صوب الحيا
وطالعها الطالع الأسعد

(١) القصيدة عن كتاب « المدخل في تاريخ الأدب العربي » لمحمد بهجة الأثري ، ص ١٩٣ ، مطبعة الجزيرة — بغداد ١٣٥٠هـ .

وإن لم يكن لى فى شطها
وإن لج بى ظمأ مورد
ولكن تركت بها معشراً
لهم طارف المجد والأتلد
هم الناس إن عدَّ أهل العلا
وقد ذكر الأصل والمحتد

ويخلص من مدحه لأهل بغداد وتعداد فضائلهم ومكارمهم الى شكوى الدهر الذى آلم بغداد :

لقيت من الدهر ما بعضه
يذوب له الحجر الجلمد
ولست لأحداثه ضارعاً
ولا أنا مكتئب مكمد
ولكننى أنا جار على
مدهمة شأوها أبعد
ولى سيف عزم إذا النائبات
تفاقمن صممَ لا يغمد
ولست أبالى إذا الحادثات
عظمن الى أيها أعمد[1]

كما أغفل شاعراً يشكل الوتر الثالث فى قيثارة الشعر مع الرصافى والزهاوى فى حينه ، وهو السيد عبد القادر العبادى البغدادى ، والملقب بـ (شنون) ، ولقبه هذا لحقه من ظرافته ونكته المستملحة ، وهو من

(١) راجع : الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، للدكتور يوسف عز الدين ، ص ١٨٢ ، مطبعة الزهراء — بغداد ١٩٥٨ م .

شعراء العراق المجيدين والمغمورين أيضاً ، وممن أدركتهم حرفة الأدب ، عاش منسياً مشرداً ومات غريباً عن مسقط رأسه ، حيث قد ولد فى الكرخ من بغداد وتوفى فى البصرة بمرض الهيضة فى عام ۱۹۱۰ م . ودفن فى مقبرة الزبير ، ومن سوء طالعه انه لا يعرفه أحد ممن كتبوا فى التأريخ الأدبى فى العراق المعاصر اللهم إلا اسمه وأبيات من شعره تدور على ألسنة الشيوخ ممن عاصروه ولم يدركوه ، ونحن هنا أول من يثبت له تأريخ وفاته ، وقد جمعنا أخباراً جمة تتعلق به ، بعضها من ذويه وبعضها من معاصريه ، وانني لأشكر فضيلة الأستاذ عبد الرزاق الهاشمى الذى وضع بين يدى مجموعته الخطية النادرة والتى أفدت منها معلومات جمة تتعلق بشاعرنا العبادى ، والأستاذ عبدالرزاق الهاشمى من الذين عاصروه وأدركوه وله معه مساجلات شعرية كثيرة ، وشعره جيد متين ويمتاز بالرقة والعذوبة رحمه الله ، ورغبة منا فى ايقاف القارئ العربى على شىء من شعره ارتأينا أن نثبت له هنا شيئاً منه [1] . قال واصفاً الكتاب :

كتابى لا أروم سوى كتابى
فكم خففت فيه هموم ما بى
أجيل الطرف فيه فيجتلى لى
مخائل حكمة فى كل باب
إذا غمزت قناة الدهر قلبى
أداوى فى مباحثه مصابى
لأن أخطأت فى فكرى ببحث
ففيه قد هديت الى صوابى
وإن شاهدت من قومى جفاءً
يسلينى بأقوال عذاب

(١) درسناه بشيء من التفصيل في كتابنا المخطوط « شعراء العروبة في القرن العشرين ».

حوى خـبر الزمان بما أتاه
وما يأتى الى يوم الحساب
غدا عمن تقدم ترجماناً
يخـبرنا بأخبـار عجاب
أعاتبه اذا خطب دهانى
فليس يملُّ من كثر العتاب
تراه أخرساً وتراه يحكى
بأبلغ ما تريد من الخطاب
كتوم إن بثثت اليه سراً
وإن حابيت غيرك لا يحابى
فكم نادمته بالليل وحدى
فيغنينى عن الخود الكعاب
وكم فيه سكرت من المعانى
فعفت لطيبها طيب الشراب
تكفل بالعلوم فكل علم
حـواه لا يؤول الى ذهاب
فما حاسبته إلا تراه
خبيراً بالدقيق من الحساب
فمن والاه نال هدىً وفضلاً
ومن عاداه راح الى عذاب

وقال من قصيدة فى « إعلان الدستور العثمانى » عام ١٩٠٨م :

---

(١) من مجموعة شعره الخطية الموجودة في مكتبتي الخاصة والتي جمعتها من شتيت الجاميع والمظال . . والقصيدة منشورة أيضاً فى مجلة « المقتبس » للعلامة المرحوم محمد كرد علي ، المجلد الثاني الجزء الحادي عشر الصادر في كانون الاول عام ١٩٠٧ م ذي القعدة ١٣٢٥هـ ، ص ٦٠٢ .

تولى زمان كنا فيه نحقر

وأقبل عصر صرنا فيه نوقر

ولاحت بأفق المجد شمس عدالة

بها قد غدا وجه البسيطة يزهر

ألا ان عصراً جاء بالحق مشرقاً

هو العصر لا عصر من الظلم أغبر

رعى الله عصراً فيه للحر راحة

يقول فلا يخشى الأنام ويظهر

يبيت قرير العين غير مفكر

بما كان قبل اليوم فيه مفكر(١)

وله مهنئاً السيد محمود القشطيني مدير بلدية بغداد ونحن نثبت منها هذه المقدمة الغزلية :

أدر كأس الهنا فالوقت طابا

ونجم النحس والإدبار غابا

وناولها معتقة شمولا

تخال إذا انجلت تبراً مذابا

هي الراح التي إن حل هم

وجدت بها الى الأفراح بابا

فقم يا صاح فالواشون غابوا

ووقت الأنس ينتهب انتهابا

---

(٢) مجلة « المشرق » السنة الثانية عشرة ، العدد ٢ شباط الصادر في عام ١٩٠٩ م في باب (الحماسة الدستورية للأب لويس شيخو ص ٩٢ . ثم أعاد نشرها الأب شيخو في كتابه (الآداب العربية في القرن التاسع عشر) ، الملحق ص ١٦٤ المطبوع عام ١٩١٠ م مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت .

ودونك والمدام وعش خلياً
ولا تسمع لعاذلة خطابا
وخذها من يدى رشأ غرير
نرى من وجنتيه بها التهابا
إذا يرنو فكالظبي التفاتاً
وإن يبدو فكالرمح انتصابا
ويا خجل الغصون اذا تثنى
ويا ألم القلوب إذا أصابا
جلى من مقلتيه لنا عقاراً
وأعقبها مراشفه العذابا
فرحنا فيه فى سكر وشكر
ونشر محاسن كملت نصابا
وقد نسج الربيع بساط روض
بآونة الحيا من حيث صابا
اذا غنى الهزار به سروراً
سمعت له من الورقا جوابا
فبتنا بين تقبيل وضم
ورشف مراشف طابت رضابا
فيا لله من ساعات أنس
من اللذات قد ساغت شرابا
وقد عمت خواليها النواحى
وطبقت الأباطح والهضابا
بفضل القرم محمود السجايا
افتخار فخر من ركب العرابا

ثم يمضى فى تعداد سجايا ممدوحه ، وفواضله ويتغنى بشرف أرومته العربية حيث ان الممدوح ينتهى نسبه الى البطل العربى الخالد الأمير سيف الدولة الحمدانى (٣٠٣هـ - ٣٥٦هـ) ، فيصفه طوراً (بحديد الألمعية يوم يرجى) وطوراً بالكريم الذى طوق كرمه الرقاب ، وجزيل السيب الذى يزرى بالبحر العباب يوم جوده ، الى أن يقول :

فما أنا فى الثنـــاء عليك إلا
كمن أهدى الى الصبح الشهابا
وفز واسعد بعز كل عام
نؤمـــل بعد غيبته إيابا
ولا انفككت أياديكم غزاراً
ورمت الدهر مرجواً مهابا (١)

وقال مؤرخاً عام نصب جسر بغداد الذى نصب فى عهد الوالى نامق باشا الصغير وذلك فى عام ١٩٠٢ م .

هى الحضارة ما تعلو به الرتب
وما سوى العدل فى الدنيا هى السبب
واليوم أضحت بملك ساسه ملك
من آل عثمان مضروباً له الطنب
عبدالحميد الذى دامت فما اقتدرت
تحصى مناقبه الكتاب والكتب
هو المليك فلا تعدل به ملكاً
سواه إذ ما تساوى النبع والغرب

---

(١) من مجموعة خطية للمؤلف .

أيـــام دولته الغراء تحسبها
عقداً تحـلى بها أجيادها الحقب
ملك تود نزولاً عنـــد مربعه
لتلثم الكف منه سبعة الشهب
مؤيد بجنود من مهـابته
أسيافه الرأى لا الهندية القضب
تقلد العدل سيفاً فى الأنام وكم
له من الحزم فيهم عسكر لجب
أحسن به سيف عدل فى تقلده
دانت له الروم والأعجام والعرب
أدام سيب الندى حتى لقد حسدت
ندى يديه بحار الأرض والسحب
وكيف تنهل سحب قطرها مطر
وليس يحسدن سحباً قطرها ذهب
فأصبح الملك مطلول الرياض به
تود من أرضه الخضراء تقترب
هــذا العراق أجل طرفاً بخطته
يبدو لعينيك فيـه ما هو العجب
وانظر الى ساحة الزوراء تلق بها
لنامق هماً زالت بها الكرب
ذاك الوزير الذى دار السلام به
ماست من الفخر عطفاً هزه الطرب
كانت مريضة جسم قبله فأتى
وهو الطبيب وفيها الداء منتشب

حتى تتبع أقصى دائها فبدا
فيها الشفاء وزال السقم والوصب
فكم له من أيادٍ في مرابعها
وكم له من مساع شكرها يجب
سعى بتجديد جسر من تكرره
كانت سفائنه كالماء تضطرب
فعاد جسراً على الشعرى العبور لمن
رام العبور عليه التيه والعجب
كل البدائع جاءت في صنائعه
مستبدع الصنع مأموناً به العطب
كأنه ووضوح من طرائقه
مهند منتضى في متنه شطب
كأنه كل فلك من محاسنه
فريدة وشيت أثوابها القشب
تستوقف العابر العجلان صنعته
فيقصر الخطو فيه وهو مرتقب
إن قال واصفه فاق الحديد فلا
تعجب فرب حديد فاقه الخشب
فقلت إذ مد منصوباً أؤرخه
جسراً لدجلة في الزوراء قد نصبوا

١٣٢٠ هـ/١٩٠٢ م

---

(١) عن كتاب بغداد القديمة ، لعبد الكريم العلاف ، ص ١٤٨ مطبعة المعارف — عام ١٩٦٠م / ١٣٨٠ هـ .

وقال باكياً فيها ، المستنصرية ، الجامعة الأولى فى العالم فى حينها ، والتى ظلت تنفح الدنيا بأريج المعارف والعلوم . الجامعة التى تخرج فيها أساطين العلماء وجهابذتهم ، وأركان الأدب وأعلامه فى العالم الاسلامى يومئذ ، مفخرة الحضارة العربية :

يا دار ما بال ربع العلم ينعاك
فما دها فى الورى أعلا مزاياك
يا دار علم عفت منها معالمها
يد الخمول فمن أفتى فأغواك
يا دار مستنصر بالله ما دهمت
تلك الدروس التى أغنت بمغناك
أين الخزائن فيها الكتب قيمة
كانت لها منظراً يزهو بمرءاك
أين المشايخ أين الطالبون فقد
سرى لهم خبر عالٍ بمسراك
أين الطبيب وأين الطب ما نفعت
آلاته حين صرف الدهر فآجاك
وأين دائرة دارت على الفلك إلا
على الذى كان طول الدهو يرعاك
أين الشموس التى قد كان مطلعها
فى برجه هل زوت هذا زواياك
لهفى على ربعك المأنوس إذ خليت
منه أفاضل حلوا فى ثناياك

لهفى على حلقات العلم ما صنعت

أبحاث علمهو فى ظل جدواك[1]

والمرحوم الأديب الضليع العالم أحمد بك الشاوى الحميرى الذى هاجم الأتراك فى كثير من شعره حتى دعاهم بالمشركين وهو من الشعراء العرب المجيدين فى العصر الحديث وممن لا يعرف عنهم شيئاً الأستاذ الدجيلى . يقول المرحوم الشاوى فى الأتراك :

ألا ليت شعرى والأمانىّ ضلة

وعمر الفتى إن عاش ما عاش للهلك

أتخترمى ريب المنون ولم أكن

لأدرك للإسلام ثاراً من الشرك

وأبرد من صهب العثانين غلتى

وأشفى واستشفى غليلى من الترك[2]

ويقصد المرحوم الشاوى بالإسلام العرب ، الذين هم مادة الإسلام كما يقول عمر بن الخطاب (رض) ، وصهب العثانين الأتراك ، ومن شعره أيضاً هذه القصيدة العصماء التى بكى بها بغداد منار العلم والأدب ، وقد أثبتها الإمام المجاهد السيد محمود شكرى الألوسى (١٨٥٧ م/١٩٢٤م) فى كتابه المخطوط « أخبار بغداد » وكانت قد نشرت من قبل فى جريدة الزوراء[3]

(١) من مجموعة خطية للمؤلف .

(٢) الابيات الثلاثة من كتاب « الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه » للدكتور يوسف عزالدين ، ص ١٨٦ .

(٣) جريدة الزوراء : هي الجريدة الرسمية التي أنشأها الوالي مدحت باشا في عام ١٨٦٨ م لتكون لسان حال ولاية بغداد ، باللغتين العربية والتركية ، وهي أول صحيفة صدرت في العراق ، راجع : تأريخ الصحافة العربية ، الجزء الاول ص ٧٨ ، المطبعة الادبية — بيروت ١٩١٣ م ، للمرحوم الفيكونت دي طرازي (١٨٦٥ م / ٧ آب من =

البغدادية ونحن نثبتها هنا كاملة لندرتها ورغبة منا فى ايقاف القراء العرب على نتاج هذا الأديب الجهبذ . واسمها « عرصة الميدان فى بغداد » :

ألم تر كيف الأرض تشقى وتسعد
وتصلح طوراً بالولاة وتفسد
وتحيا كما تحيا الرجال ذليلة
مراراً وأحياناً تعز وتُنجد
وكم قد رأينا من بلاد مريضة
شفاها بترياق التدابير أصيد
ومن قطر صقع صح من بعد علة
فأمرضه والٍ من الجور أنكد
وحسبك فى ميدان بغداد عبرة
وشاهد عدل بالذى قلت يشهد
مضى ما مضى والريح تستن فوقه
وتتهم فيه الرامسات وتنجد
وتعلوه من وقع الحوافر عبرة
تكاد لها الشمس المنيرة ترمد
وكم قد تشكى واستغاث فلم يغث
ونادى فلم ينجده إذ ذاك منجد
فبينـاه فى حال تسوؤك حاله
غدا وهو من بين الميادين يحسد

= عام ١٩٥٦ م) . غير ان الاستاذ عبد الرزاق الحسني يقول في كتابه « تأريخ الصحافة العراقية » الجزء الاول ص ٤٧ ، مطبعة الغري — النجف ١٩٣٥ م « صدرت في عام ١٨٦٩ م وبرز العدد الاول منها في يوم ١٥ حزيران » .

فمن سطر صفصاف يروقك منظراً
وسطر فسيل حسنه يتجدد
ومن بين هاتيك السطور جداول
من الماء تجرى والحمام يغرد
وفى الحلة الفيحاء أبلغ حجة
متى هى قامت منكر الحق يقعد
تصدى لها والى الولاية باذلاً
لجاشته والنافر الجاش يرعد
وناء الى سد الفرات بنية
حميدية التوفيق للرشد ترشد
وفرق شمل المال فى جمع أهلها
ليكسب باقى الذكر والسيف مغمد
وليس بمغبون لعمرى من اشترى
بنافد عارى المال ما ليس ينفد
فألف ما بين الفرات وبينها
بعزم لدى التصميم لا يتردد
وقد كان عنها صدٌ لا عن ملالة
ولا عن قلىً فى سالف الدهر يعهد
وكان يصافيها المودة دائماً
ويسعى لها سعى المحب ويجهد
وينهلها من مائه ويعلها
وتصدر عنه بعد رىٍ وتورد
ولكنها الأيام تمنع تارة
وتفقد تارات وتدنى وتبعد

ولولا الهمام القرم سرّى تفرقوا
أيادى سبا سكانها وتبددوا
وأمست خلاءً بعد أنس وأصبحت
كأن لم تكن تلك المساكن توجد
وعادت أحاديثاً كأمثال غيرها
الى بابل فى الكتب تعزى وتسند
وزير أمير المؤمنين وسيفه
وناصحه إن غش أو خان ملحد
وناصره إن ناب لا ناب حادث
بيوم به الليث الهزبر يعربد
وما تليت فى سورة الحمد جملة
من الفضل إلا وهو بالمدح يفرد
وإن أطرَ أهل العلم قومٌ بمحفل
عليه من القوم الخناصر تعقد
وإن نشأت من أفق ثغر سحابة
تبارق غيضاً للعدو وترعد
كفاه بلا حرب غوائل أمرها
بعارض فكر برقه يتوقد
ضروب مساع طبق الأرض نفعها
سيشكرها المولى الجليل وأحمد
فلا زال فى كل الأمور موفقاً
الى الخير ما دامت علينا له يد
ولا برحت أيامه الغر فى الورى
بطاعة ظل الله فى الأرض تحمد

وإن إماماً كنت أنت سميره
لحقٌ بأن يهدى الأنام فيهتدوا
ويغمرهم في برّه ويعمهم
بإحسانه الجم الذي ليس يجحد
فدام على طول الزمان مظفراً
ودمت له ما لاح في الأفق فرقد (١)

وقال مادحاً الإمام المجاهد المرحوم السيد محمود شكرى الألوسى (١٩٢٤ م) وكان نائياً في إحدى البلاد :

معاتبتي - لو أعتب الدهر - للدهر
بما قد جرى لا تنقضى آخر العمر
وحربي مع الأيام لا صلحَ بعده
ولا هدنة حتى أوسد في القبر
وكيف وقد روّعتني بفراق من
عليّ فراقيه أمرّ من الصبر
أخ ماجد ما دنّس اللؤم عرضه
ولا خاط كشحيه على الغدر والمكر
ولا قلّب قلب المودة إن يغبْ
له صاحب يدنيه بالناب والظفر
ولكنه يعطى الأخوّة حقها
ويجمع للخل الوفاء مع النصر
ولا هو ممن همه لبس فروة
يباهى بها أقرانه من بني المصر

(١) مجلة « اليقين » لحمد الهاشمي ، السنة ٢ الجزء ٥ ، ص ٣٠٦ ، الصادر في عام ١٣٤٢ هـ .

وينفض تيهاً مذروَيه مفاخراً

ويدفع من فرط التكبر بالصدر

ويرفـــل فى أثوابه متبختراً

وينظر كيما يُرهب الناس عن شزر

ولو عدلت من ظالم الدهر قسمة

لعدلت بالصفح الذى فيه من صعر

وعلمته كيف السيادة عندنا

وكيف يسود المرء من حيث لايدرى

وعرّفته ان المعالىَ لم تكن

بأردية حمـــر وأردية صفر

وان الفتى لا يمتطى صهوة العلا

بأكل لباب البرّ يُلبك بالتمر

وما ذاق حلو المجد من لم تلدّه

ويغفر زلات الأخلاء بالمر

لعمرى لقد جربت أبناء دهرنا

برمتهم فى حالة الخـــير والشر

وقلبتهم ظهراً لبطن بأسرهم

مراراً لدى الحاجات فى العسر واليسر

فما سمعت أذناى ما سرّ فيهم

ولا أبصرت عيناى وجه فتى حر (١)

وما إن رأى إنسان عينىَ واحداً

كما شئت إنساناً يُعد سوى (شكرى)

---

(٢) يقول البديهي (٣٨٠ هـ) :

أتمنى على الزمان محالا   أن ترى مقلتاي طلعة حر

ولو لم يكن فى حاضر العصر مثله
لقلنا على الدنيا العفاء بذا العصر
فقل لغبيٍّ قاسه بسوائه
ولم يعرف التبر المصفى من التبر
عداك الحجى أين الثريا من الثرى
وأين حصى الحصباء من درر البحر
وهل يستوى لا درَّ درك عالم
وفهٌ جهول ناقص الدين والحجر(١)

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة بعنوان « اذا المرء لم تأب الدنيات نفسه » :

تذكرت ما بين الرصافة والجسر
عهود الصبا فاشتاق قلبي للذكر(٢)
وعاودنى الشوق الذى كنت ناسياً
لسعدى فزاد القلب جمراً على جمر
خليلى هل عصر الشبيبة راجعٌ
إلينا بكرخايا وناهيك من عصر
تركنا خيول الجهل فيه مغيرة
على اللهو واللذات من غير ما ستر
لكل فتىً يعطى الخلاعة حقها
بيوم به للكأس ما شئت من كر

---

(١) عن كتاب « أعلام العراق » ص ١١٦ ، لمحمد بهجة الأثري ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ـ ١٣٤٥ هـ .

(٢) لعله يريد بها معارضة قصيدة علي بن الجهم ٢٤٩ هـ المشهورة :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وكم قد شددنا شدة جاهليـــة
على ســاق الخمار فى طلب الخمر
فلم نغتنم منها كـبير غنيمة
سوى ما اقترفناه من الأثم والوزر
فرحنا نجر الأزر تيهاً كأننا
ملوك يجرُّون الذيول من الكبر
فيا لائمى إن كنت فى ذاك لائمى
رويداً فإن اللوم أعهده يزرى
حنانيك لا تكثر من اللوم اننى
كفتنى من اللوم الملامة لو تدرى
إذا المرء لم تأب الدنيات نفسه
فقل لى لماذا سمىَّ الحر بالحر
وإن لم يكن بالشيب للمرء زاجر
عن اللهو واللذات لا خير فى المر (١)
فقـد وأبيك الخير افتىء تاركاً
حياتى شراباً يشرب العقل بالسكر
وأصبح بين الناس سيد حمـــير
وأمسى سفيه القوم متضع القدر
فدع عنك ذا واصرف الى الملك شرها
وجوه القوافى من عوان ومن بكر
وقل وخيار القول ما قال سامع
صدقت به من ساكن البدو والحضر

---

(١) المر : مخففة عن المرء ، حذفت الهمزة لضرورة الشعر .

سلمت أمير المؤمنين ولم تزل
لك الراية العلياء تخفق بالنصر

ولا برحت أيام عدلك فى الورى
بحيث الليالى فيك باسمة الثغر (١)

ولو لم تغث أهل العراق بعزله
رغت بينهم بالشر راغية البكر

وأجلاهم عن أرضهم فتفرقوا
أيادى سبا فى موحش البر والبحر

وما ذاك إلا من مقادير قادر
ليبلوَ من قد ساد بالخير والشر

وكم من يدٍ أتبعت فى اثرها يداً
لها أثر باقٍ حميد مدى الدهر

بها الله قد أحيي الورى فكانها
يد الغيث بعد المحل فى البلد القفر

فلسنا نؤدى شكرها ولو اننا
ملأنا جميع الأرض بالنثر والشعر

ومنها :

بهم فتح الله الأقاليم عنوة
ودانت لهم بالسيف طاغية الكفر

لقد شملتنا من أياديك نعمة
عظيمة قدر فهى واجبة الشكر

فأضحك من قد كان بالأمس باكياً
ببغداد لا ينفك مدمعه يجرى

(١) يشير الى ممدوحه الوزير سري باشا والي بغداد ومعرضاً بأيام مصطفى عاصم باشا .

ولو طار إنسان من الناس قبلهم

لطاروا سروراً يعلم الله فى سرى[1]

وهناك شاعر ثائر من شعراء هذه الفترة والذين أغفلهم المؤلف - والأحرى بمن لا يعرف عنهم شيئاً - ألا وهو المرحوم السيد عبد الغنى جميل زاده (١١٩٤ هـ/١٧٨٠ م — ١٢٧٩ هـ/١٨٦٣ م) وشعر هذا الرجل طافح بالثورة - على قلته - على الأتراك عاج بالشكوى والألم المرير من اللئام الحاكمين ، وأشباه الرجال ، وما برح يهاجم الطغاة المتعنتين به - بالرغم من أنه كان موظفاً فى الدولة العلية[2] - فاستحالت شكواه وما جاش فى صدره من تذمر وتضجر شعراً صارخاً كان الصفحه البيضاء فى سجل النضال القومى فى العراق ، كما انه لم يدنس شعره بمديح سلطان أو والٍ ، واليك هذه النفثة المتأججة من نفثاته الحرار :

لهفى على بغداد من بلدة

قد عشعش العز بها ثم طار

كانت عروساً مثل شمس الضحى

لمستعير حليها لا يعار

كان بها للنفس ما تشتهى

كجنة الخلد ودار القرار

كانت لآساد الوغى منزلا

والخائف الجانى بها يستجار

---

(١) مجلة « اليقين » لمحمد الهاشمي ، السنة الثانية ، الجزء الثامن ص ٤٩٩ ، الصادر في شعبان من عام ١٣٤٢ هـ .

(٢) تولى منصب افتاء الحنفية ولم تدم مدته طويلا لاباء نفسه ويقظة (وجدانه) حيث قد ثارت ثائرته لتعسف السلطان وزح عن العراق ميمماً وجهه شطر الشام راجع ص ١٢ مجموعة عبد الغفار الاخرس ، نشره الأستاذ عباس العزاوي المحامي ، عام ١٩٤٩ م ، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة — بغداد .

كان يميطون الأذى أهلها
عن كل آت حيها مستطار[1]

واليوم لا مأوى لذى فاقة
فيها ولا فى أهلها مستجار

واليوم قد حل بها من ترى
فانفر وإلا بيديك الخيار

لم يرقبوا إلاً ولا ذمة
فينا ولا عذراً لذى اعتذار

حل بها قوم وهم فى عمى
ما ميزوا أشرارها والخيار

وأصبح القرد بها مقتدى
يلعب بالألباب لعب القمار

والليث قد غاب وفى غابه
قطباً غدا الثور عليه المدار

وللخنا لما غدت مربضاً
قد سجد الليث بها للحمار

بارت بها أسنى تجاراتها
وهكذا عادة دار البوار

وأهلها لا عيب فيهم سوى
أنهم يرعون حق الذمار[2]

(١) جرى الشاعر هنا على لغة (أكلونى البراغيث) .

(٢) فى البيت تأكيد مدح لما يشبه الذم ، كقول النابغة الذبيانى :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

راجع ديوان النابغة الذبيانى ص ١٥ ، طبعة مكتبة صادر — بيروت .

قد نعق البوم على جدرها
يصيح بالناس البوار البوار
والكرخ قد أقفر من أهله
من بعد ما كانوا كورد البهار
ما سميت زوراء إلا لما
فيها عن الرشد من الأزورار
قد حط فيها كل طود علا
وما علا إلا خفيف العيار
وكل من كان بها واثباً
الى العلا عادت خطاه قصار
قد خلع الناس عذار الحيا
فجار فيها الوغد والحر حار
والكل فيها قادح زنده
وأول الاحراق يبدو الشرار
لا يشتفي غيظ أخي نخوة
إلا إذا جرّد بيض الشفار
قد طال هجري وعتابي لها
والآن قد ملت الى الاحتضار[1]

ثم يخلص من هذه اللهفات الى مدح الإمام المفسر أبي الثناء شهاب الدين الألوسى .

(١) من كتاب مجموعة عبد الغفار الاخرس ص ١٢٣ ، نشره المحامي عباس العزاوي ، وأصل القصيدة في كتاب « غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والاقامة والاياب » للامام أبي الثناء الألوسي (١٨٠٢ م / ١٨٥٤ م) المطبوع في بغداد مطبعة الشابندر عام ١٣١١ هـ ، ص ٢١١ — ٢١٣ .

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة التي بكى مجد بغداد التالد ، وندب أبطال العرب الأماجد ، الحماة الكماة ، سراة بني هاشم ، وقد أنشدها لنفسه في عام ١٢٦٦ هـ .

علام الإقامـــة في بلدة
نعدُّ بها مثل حمـــر النعم

ويسأل عن عمره كل من
أقام بها من جميع الأمم

فهلا رحلنا الى غـــيرها
لنحظـــى بعز وعيش أتم

فلا بارك الله في بلـــدة
تعدُّ الأسود بها كالغنم

وفي كل يوم ترينا الخطوب
وتسطو علينا بعلج أغـــم

إذا بلدة أنكرت أهلها
فـــدعها فمرجعها للعـــدم

فصبراً فإن الليالي تحول
ويرجع للخيب من قد ظلم

وقد يورق الغصن بعد الذبول
وقد يسفر الصبح بعد الظلم

وقـــد تنجلي ظلم الحادثات
إذا ما ظـــلام الخطوب ادلهم

فـــلا تحزنن لأمر عرا
ولا تيأسن لخطب هجم

فقد خصص الله دار السلام
بلطف خفى إذا الخطب عم[1]
وعم الجميع بألطافه
فسبحانه من إله حكم
أهم وما لى من مسعد
وقومى كسالى ودانى الهرم
فأين سراة بنى هاشم
ومن لعظام الأعادى هشم
وأين الكماة الحماة الدعاة
إذا شب نار الوغى واضطرم[2]
فقوموا بنا نندب الظاعنين
ونرثى لمن حل فى ذى سلم
فإن الحزين يواسى الحزين
ويبكى السقيم على ذى السقم
أنادى ومالى من سامع
وهل يسمع القول من فى صمم
أقول وقومى أجابوا بلا
وما من مجيب لنا فى نعم
الى كم نراعى الخسيس الدنى
ونرعى له حرمة كالحرم
فما لى فى الكرخ من مسكن
ولا فى الرصافة مأوى العجم

---

(١) أراد بدار السلام : بغداد .

(٢) يجوز تأنيث النار وتذكيرها ، يقال : شب نار الوغى ، وشبت نار الوغى ، وطلع الشمس ، وطلعت الشمس .

وكيف وقد سار عنها الكرام
وقوض عنها حليف الشيم
وكل رفيع بها ضائع
وكل وضيع بها محترم
أأبق قذى فى عيون اللئام
وباعى طويل وأنفى أشم
وعما قليل نرى ما نرى
أموراً عظاماً تشيب اللحم
وكم لى على الدهر من سطوة
فما ضرنى إن سطا وانتقم
أميم ! دعينى أجوب الفلاة
فإنى وعينيك عالى الهمم
أما تعلمين بأنى امرؤ
أبى عن الضيم مهما ألم؟
وإنى الوفى الذى تعهدين
إذا ضيع العهد أهل الذمم
وكنت أظن بقومى الوفاء
فخابت ظنونى وحل الندم
وكم لى على الكرخ من وقفة
تسيل دموعى بها كالديم (١)

(١) يريد بهم (آل الشاوي) .. وهم أسرة بغدادية معروفة ذات مجد عريق ، تنتمي الى عشيرة (العبيد) الحميرية المعروفة ، وقد نبغ منهم غير واحد من فحولة الشعراء . ومنهم الشاعران المطبوعان ، عبد الحميد الشاوي ، وأحمد بك الشاوي ، وقد عرفت هذه الأسرة بجهادها الوطني والقومي ، ورعايتها للأدب والأدباء ، ومنهم المحسن الكبير المجاهد =

أسائل أين الرفاق الكرام
وأين الأعزة أهل الكرم؟
فلم أر لى من مجيب بها
وأنى تجيب العظام الرمم؟
خلا الربع منهم وأنى بهم
وهل راجع ما مضى وانصرم؟[1]

* * *

أليس عقوقاً للأدب العربى أن ينسى مثل هذا الشاعر الثائر ، ذو النفس الأبية ، والهمة الشماء ، الرجل الذى جهر بالحق وندد بالظلمة الجاحدين فى وقت لا يجرؤ أحد على التعرض بالسلطة ولو همساً .. وقد أهين ذووه واحرقت مكتبته العامرة بصنوف الآثار والأسفار ، وشعره وثيقة دامغة لظلم الأتراك فى العراق العربى .

ومن شعراء هذه الفترة المتأخرين الشاعر العلامة المرحوم على علاء الدين الألوسى (١٣٢٠هـ) وهو ابن عم الإمام المجاهد السيد محمود شكرى الألوسى ، وشاعرنا من أعلام العراق فى وقته ومن أدبائه المبرزين . فهو من رجال الدين الحنيف الذين جاهدوا فى سبيل إعلاء كلمة الحق والحرية ، فقد جمع بين العلم والأدب والسياسه ، وتوغل فى الأخيرة توغله فى العلوم والآداب ، وكان من المجاهرين بالحق ومن أشد أنصاره ولا يخشى فيه لومة لائم ، وقد

= المرحوم مظهر بك الشاوي (٢٥ تموز ١٩٥٨ م) الذي تولى أمر رعايـــة شاعر العرب المرحوم معروف الرصافي في أخريات أيامه ، حيث انه قد أجرى له مرتباً قدره (٤٠) ديناراً الى حين وفاته في صباح يوم الجمعة الموافق ١٦ آذار من عام ١٩٤٥ م .

راجع حول صلة الرصافي بمظهر الشاوي ، وترجمة الاخير : كتاب « صفحات من حياة الرصافي وأدبه » لهلال ناجي ، ص ١٣ ، و ص ١٨ ، نشر دار العرب ، القاهرة ١٩٦٢م .

(١) من مجموعة عبد الغفار الأخرس ، ص ٢٩ للمحامي الاستاذ عباس العزاوي .

جمع ديوان شعره تلميذه الأوفى الأستاذ محمد بهجة الأثرى ، وله جملة آثار فى الأدب واللغة والنحو والتأريخ [1] ، ومن جميل شعره واصفاً الحاكى (الفنوغراف):

أنا هذا الذى سمعتم خطابى
ورأيتم شكلى وحسن اكتسابى
أنا اعجوبة الزمان لأنى
صامت ناطق بما فى كتابى
أحكمتنى يد الحذاقة حتى
حار فى صنعتى أولو الألباب
لىَ اذن تعى الخطاب وأخرى
تحسن القول فى ضروب الخطاب
إننى (الفنوغراف) هذا لسانى
لم يكن ناطقاً بغير الصواب
أنا مرآة كل لفظ وصوت
غير انى بالسمع يدرك ما بى
وأعيد الأصوات حرفاً بحرف
فكأنى الصدى برد الجواب
وكأنى فى لهجتى ترجمان
وجميع اللغات ضمن إهابى
أودعونى بطابع الصوت ، يبدو
فىَّ تصويره بغير نقاب

---

(١) عن كتاب « أعلام العراق » لمحمد بهجة الأثري ص ٧٨ . وراجع ص ٧١ من الكتاب ذاته حول ترجمة السيد علي علاء الدين الألوسي ، المطبعة السلفية — القاهرة ١٣٤٥هـ .

فهو فى حالتيه طرداً وعكساً
ينقضى ثابتاً مدى الأحقاب
فقليـــل عندى إذا لقبونى
بيغاء الاعجـــاب والاغراب
وعجيب ولم تكن فىَّ روحٌ
كيف أملى رسائل الأحباب
وأجوب البـــلاد شرقاً وغرباً
أشرح القول حيث حطت ركابى
مرَّ حينٌ من الزمان وشخصى
يتوارى عن الورى فى حجاب
فأراد الإله إظهـــار شأنى
فى زمان موفر الأسباب
إن لله فىَّ سراً يراه
كل مستيقن بيوم الحساب
حيث ان الجلود تنطـــق فيه
شاهدات كما أتى فى الكتاب
تلك يا قوم عبرة لأولى الألـ
ـباب تجلو غياهب الإرتياب
فانظروا قدرة العليم الذى قـــد
أبدع الخلق كلهم من تراب

وفى الفصل الثانى الذى أسمـــاه المؤلف بـ « الشعر الحديث بين حربين ١٩١٤ م — ١٩٤٥ م » الذى استغرق ثمانى صفحات من صفحات الكتاب. حدثنا فيه عن الشعر العراقى خلال هذه الفترة المهمة بالنسبة لتأريخ العراق الحديث ، وقـــد عزز حديثه هذا بنصوص للشعراء : محمد سعيد الحبوبى

(١٩١٦ م) ، والشيخ على الشرقى ، والشيخ العلامة الجليل الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، واستشهد ببيت واحد لشاعر العرب المرحوم الشيخ جواد الشبيبي (١٩٤٣ م) ، ومن غريب ما جاء فى هذا الباب المقتضب قوله : « وطلاب مدرسته الأدبية - يعنى محمد سعيد الحبوبى - أمثال رضا الشبيبي ، وعلى الشرقى ، ومعروف الرصافى ومن لف لفهم . . . » اه[1] .

ولا أدرى كيف خرج الأستاذ عبد الكريم الدجيلى بهذه النتيجة ؟ وبم استدل على حكمه المفرط العريض هذا ؟؟ .

فمعروف الرصافى كان مدرسة أدبية قائمة بذاته ، ولم يلمس قارىء شعره أثراً لمحمد سعيد الحبوبى فيه أبداً . . والرصافى لم يتأثر شاعراً محدثاً سوى المعرى (٣٦٣هـ/٤٤٩هـ) ، والمتنبى (٣٠٣هـ/٣٥٤هـ) ، ومن القدامى النابغة الذبيانى وشعراء الشواهد كما يقول هو نفسه ، وقد امتاز عن شعراء عصره بشعره السيامى الصارخ ، ومن المعلوم ان الحبوبى محمد سعيد كان شاعراً معروفاً فى محيطه فقط !! وإن تعداه .. فلن تتعدى سمعته العراق .. حيث لم ينشر شيئاً من شعره فى الصحف آنذاك . . فى الوقت الذى كان الرصافى علماً من أعلام الشعر فى زمن الحبوبى ، ويعرفه العالم العربى بأسره ، حيث قد نشر ديوانه « الجزء الأول » فى عام (١٩١٠م) وطبعه فى بيروت . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى . . اننا نعلم ان الحبوبى كان قد عاصر الحكم التركى البغيض وخاض غمار الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ م ، مجاهداً وقت إعلان الجهاد فى العراق فى عام (١٩١٥ م) فى سبيل الله والوطن الغالى . . ولكننا لم نعثر له على بيت واحد نظمه فى السياسة ومقارعة الطغيان . . فديوانه الضخم الكبير يعج بالغزل ووصف الحميا والاخوانيات ووصف الطبيعة[2] ..

---

(١) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ٣٢ ، عبد الكريم الدجيلي ١٩٥٩ م .

(٢) كان السيد الحبوبي ، فنياً كبيراً ، ويعتبر من مجتهدي الشيعة في وقته ، وما وصفه =

فأين شعر الرصافى الصارخ ذو الالفاظ الحماسية العجاجة الصاخبة من شعر الحبوبى ذى الألفاظ الطرية الناعمة التى تشبه أوراق الورد فى الرياض الزاهية . .

أما الشيخ محمد رضا الشبيبي فلم يتأثر شاعراً قط من شعراء العربية فى جميع أدوارها كما يقول هو نفسه .. فشعره بعيد كل البعد عن شعر الحبوبى ، فى أغراضه وأساليبه ، وامتاز بديباجة متينة صاخبة من بين شعراء العراق المعاصرين له . وانى احيل القارىء الى ديوانه المطبوع [1] . .

أما قارىء شعر الشيخ على الشرقى والذى تسنى له الوقوف على ديوانه المطبوع [2] فيستبعد تأثر الشرقى بالحبوبى . وإن كان شعر الأول متميزاً بطابع الرقة والعذوبة . . فهذا لا ينهض دليلاً على تأثره بالحبوبى . . فأين أثر الحبوبى فى شعر تلاميذ مدرسته الشعرية كما تزعم يا أستاذ ؟؟ ! .

= للحيا الا من قبيل (الوصف التقليدي) كوصف المعري أبي العلاء لها ، وديوانه الكبير طبع مرتين . الاولى في صيدا ، لبنان ١٣٣١ هـ . بتحقيق الشيخ عبدالعزيز الجواهري ، والثانية في لبنان أيضاً ، وذلك في عام ١٩٥٥ م ، ومن منشورات مكتبة العرفان ، بتحقيق الشيخ عبدالعزيز الجواهري أيضاً ، ويقع في (٣١٦) صفحة من القطع الكبير .

(١) ديوان الشبيبي ـ ١٩٤٠م ، ويقع في (١٩٩) صفحة من القطع الكبير ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وللشيخ الشبيبي شعر كثير يعدل أضعافاً لديوانه المطبوع ، في مختلف الأغراض والمناسبات ، كالاخوانيات ورثاء الامام الشهيد الحسين (رض) . . لم يطبع بعد ، ونشر بعضه في كتاب « شعراء الغري » ج ٩ ص ٣ ، كما نشر قسماً منه الاستاذ علي الخاقاني في مجلته الملغاة « البيان » . ومجلة « البيان » من المجلات الأدبية التي خدمت الحركة الأدبية في العراق حيناً من الدهر ، وقد صدر عددها الاول في ١٥ شعبان من عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م وألغيت في عام ١٩٥١ م ، وقد صدر عددها الاخير في ١٥ حزيران من العام ذاته .

(٢) ديوان « عواطف وعواصف » لعلي الشرقي ، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٣م ويقع في (٢٣٧) صفحة من القطع الكبير .

إذن كان يقتضيك البحث العلمى الصحيح - يا أستاذ - أن تضع أمام القارىء الحجج التى تؤيد حكمك المفرط هذا . .

ثم نأتى هنا على فصل « الشعر الحديث والتغنى بالقومية العربية » الذى استهلك ست صفحات من صفحات الكتاب ، وهو فصل ممسوخ مبتسر . . مع العلم أن أبرز سمة يتميز بها الشعر العراقى الحديث هو التغنى بالقومية العربية ، والترنم بأمجادها ، والإشادة بمفاخرها التالدة ، وأبطالها الخالدين . أليس عقوقاً للأدب العربى أن يتخطى المؤلف شعراء شوامخ فى تاريخنا الأدبى الحديث ، ولا يلمح إليهم ولو عرضاً فى محاضراته . . أليس عقوقاً للأدب والمروءة والوفاء أن يتخطى المؤلف (الشاعر الثائر) شاعر العرب المرحوم عبد المحسن الكاظمى (١٨٧٠ م / ١٩٣٥ م) ولم يشر اليه من بعيد أو قريب !! .

وليس تنهض حجة للأستاذ الدجيلى دون سلكه الكاظمى الخالد فى كتابه . . ولا يقبل عذره اذا اعتذر بحجة ان الكاظمى قد هجر العراق عام (١٨٩٩ م) واستقر فى أرض الكنانة - قلعة العروبة - حتى اختاره الله سبحانه وتعالى الى جواره فى عام (١٩٣٥ م) ، واذا كان عذر المؤلف فى إغفاله الكاظمى هذا . . فمعنى ذلك انه يريد أن ينتزع الكاظمى من تاريخ الأدب العربى الحديث فى العراق العربى . . وهذا ليس بالعذر الذى يقره الواقع وتدين به الحقيقة . .

وهذا الشاعر الكبير السيد أحمد الصافى النجفى هو الآخر من شعرائنا (المهاجرين) والذى كان قد هجر العراق منذ مايقارب من اثنتين وثلاثين سنة أو ينيف ، وقد استشهد المؤلف ببعض النصوص له فى أثناء كتابه . .

ولو كتب المؤلف فصول كتابه بروح من التجرد والحيدة ، حسبما يقتضيه النهج العلمى الصحيح لما كان حظ الكاظمى الضياع والنسيان من

مطاويه !! . هذا الرجل الذى وقف عقله وقلبه فى خدمة الأمـــة العربية المجيدة ، الرجل الذى يقول :

سيروا بنـا عَنقاً وشدّا
سيروا بنـا ممسىً ومغدى
سيروا فرادى أو ثنىً
والجمع للغايات أجـــدى
لا يقعدُنْ بعزمنا
يوم يرينا الهزل جِدّا
ولئن تخلف من تخلف
واستحـال القرب بُعدا
فالسيف يقطع فى يدىْ
بطل وإن ثكل الفرندا
ما خاف يـوماً أن يرى
من أحكم الاهواء شدا
فلربمـا جاء المـــريب
وليس يدرى جاء إدّا
ولرب رأى ذى ســـداد
عارض الرأى الاســـدّا
من ذا رأى الحد المذرّب
أبطـــل الحد الأحدّا
لتسرْ وفودكم الى
تلك الربى وفداً فوفدا
ليرى الورى أين الورى
أهدى الورى وأضل قصدا

من لى بمن إن شاء أحيا
عزمه أو شاء أرْدى
يرقى المنابر واعظاً
أو أن يعود الغيُّ رشدا
من رام إدراك المرا
م سعى بلا مللٍ وجدَّا
من لم يُعزُّ بموطن
حرٍّ يكن للذل عبدا

* * *

سيروا الى الوطن المو
فى بالنقائب والمفدى
سيروا الى من سار ذكرُ
جماله فى الكون ندا
سيروا الى ذى طلعة
كالنجم للسارى وأهدى
سيروا الى ذى راحة
كالسحب لا بل تلك أندى
يا حبذا وطن يُغنى
باسمه أبداً ويحدى
وطن تقادم ذكره
عند المكارم واستجدا
وطن إذا نضب الروا
أولى عوارفه وأسدى

هو موطن القوم الألى
فضلوا الانام أباً وجدّا
حسب الى قحطان متّ
وعدٌ يعرُب حين عدا
وكفى به فخراً إذا
ما عدّ فِهراً أو مَعدا
نحن الكرام السابقو
ن الى العلا قبلاً وبعدا
من شامنا شام الحياة
وشام برق ردىً ورعدا
لما تـزل عزماتُنا
قدّاحةً زندا فزندا
من بات مرضىً للحوادث
صبر العزماتَ سَرْدا [1]

هذه نفثة من نفثات عبقرية الكاظمى ، أرأيت النفس الملحمى المتدفق فيها تدفق الأتى . . أرأيت هذا الافتخار بالعروبة والترنم بأمجادها الذين يشيع فى الأنفس عزة واباءً . . ويتدفق فى القلوب أسىً وأنيناً ، والقصيدة تنيف على المئة بيت ، وكلها على هذا النسق البديع ، وهذا الترسل الرائق ، وهى ـ بحق ـ أنشودة من أناشيد العروبة . . والقائل من قصيدته المشهورة (ذكرى الفتوح) [2] :

---

(١) راجع القصيدة في ديوان الكاظمي الجزء الاول ، ص ٢٣٣ ، وهي بعنوان : « سيروا بنا » مطبعة ابن زيدون — دمشق ١٩٣٩ م .

(٢) راجع ديوان الكاظمي ، الجزء الاول ، ص ١٢٨ ، مطبعة ابن زيدون — دمشق ١٩٣٩ م ، قصيدة « ذكرى الفتوح » .

عسى (بغـداد) يوقظها بيانى
فتقرأ فيه أبكار المعانى
مضى أمسى فلا يرجى لأمس
مآب أو يؤوب القارظان
فلا العهد الذميم له بباق
ولا الذكر الحميد لنا بفان
اذا ما راعنا الحدثان شدنا
على أنقاضه صرح الأمانى
عسى (بغداد) تدرك كيف أضحت
مجالاً للمراثى والتهانى
ورب مآتم قامت فكانت
قيامتها مواسم مهرجان

ومنها :

هـل الزوراء تعلم ما عراها
غداة دنا النفير وما عرانى
أبوح بما أكن وكنت دهراً
أحاذر أن أبوح بما أعانى
أصون لها المعوّز من ودادى
ولم أطلع على سر جنانى
أباعد من يباعد غير أنى
أرانى فى هواها من يدانى
إذا ما قيل (بغداد) كواها
بلاعجه الحنين فقد كوانى

أشاطرها الحنين ولا أبالى
ألأسعدنى المداجى أم لحانى
ومن شاء الوقوف على اعتقادى
فديني أولٌ (والكرخ) ثانى
أحب (الكرخ) أسمع أو أراه
وليت (الكرخ) يسمع أو يرانى
وأهوى فى (الرصافة) ما جنته
وما أهوى سوى غرر المجانى

ثم يخلص من هذا التلهف المشجى ، وهذا الحنين الصارخ الى الدعوة الى الوحدة العربية المنشودة . فيقول :

الى العرب الكرام بكل أرض
أمد يدى وأطلق من لسانى
وما أرض (العراق) لمن جناها
وأرض (الشام) إلا جنتان
هما الاختان ، والعليا مجال
إذا ما قيل فيها ضرتان
وأنهما ، متى لقحت بطون
وأنتجت المعالى ، توأمان
إن ائتلفا فقبلهما رأينا
تآلفَ فى السماء الفرقدان
أو اختلفا فإنهما يدان
على نصر الحقيقة تعملان
جميع العراب إخوان : فهذا
لهذا فى العلى أقوى ضمان

فلا هذاك نجدى ، ولا ذا
حجازى ، ولا هذا يمانى
لعل الله يدنينا جميعاً
ويجمعنا السرور على خوان
ويرجع مثل ما كنا وكانت
حواسدنا الأقاصى والأدانى
متى كنا جميعاً فى بناء
بلغنا الشامخات من المبانى
(أبغداد) أبشرى وثق بأنى
بحبك سالك سبل التفانى
ولو أعطيت ملك الأرض طراً
بغير هواك عيشى ما هنانى

والقائل من قصيدة أخرى « فلسطين إن القصد لا يتحول »[1] :

فلسطين إن القصد لا يتحوّل
وإن صعاب الأمر سوف تذلل
فلسطين لا تلوى عن القصد واعملى
فليس ينال القصد من ليس يعمل
فلسطين شاء الظلم أن تتحملى
فكيف وهذا الظلم لا يتحمل
فلسطين سارى وفدك اليوم نازل
له مربع فى كل قلب ومنزل

---

(١) راجع ديوان الكاظمي ، المجموعة الثانية ، مطبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ، ص ٧٣٣ ، حققها ونشرها : الاستاذ حكمة الجادرجي .

أوفد فلسطين نحييك كلما
زها محفل أوعن فى البال محفل
أوفد فلسطين الذى لست واحداً
فإن جميع العرب فيك تمثل
لأنت الذى تمشى لذكراه والذى
نكبر اجلالاً له ونهلل
إذا لم يكن أهل البلال حلىً لها
فجيد المعالى من فخار معطل
وكيف ترانا واقفين وقد مشت
بأعراقنا الآمال تحدى وترحل
عسى الدهر بعد اليوم يصبح قاضياً
بتحقيق ما نبغى وما نتأمل
وإن لم يكن حكم اليراع بعادل
فإن رجوع السيف فى الناس أعدل
بنى المجد إن شد الزمان عليكم
فشدوا واما يجهل الدهر فاجهلوا
أعدوا له ما استطعتموا وتأهبوا
وإن جلجل الخطب المريع فجلجلوا
وليس سواء والخطى تتبع الخطى
غداة الوغى شاكى السلاح وأعزل
فكم ليلة ألوى بأذنىَّ سمعها
صدى صارخ فيها يجد ويهزل
فقال بشير الخير هبوا الى العلا
وقال نذير الشر لا تتعجلوا

أمثل هذا الرجل يكون نصيبه الجحود والنكران .... الرجل الذى هجر بلده وطوى لوعة فراق لداته وذويه بين جنبيه من أجل الحق والعرب ، ولكن ليس غريباً هذا فى :

بلد يعيش الألمعى مضيَّعاً فيه ويرفل بالنعيم بليدُ

ثم أليس عقوقاً للأدب العربي ـ يا أستاذ ـ أن تلوى بوجهك الصفيق عن المرحوم الشاعر رشيد الهاشمى ، الذى قارع الطغيان التركى بصواعقه اللاهبة . .

وهذا الشاعر من أوائل الشباب العاملين فى سبيل القضية العربية ، فقد سجن وشرد ونفى وحكم عليه بالإعدام من أجل القضية العربية ، حيث قد اتهمه الأتراك بشتى التهم ، ففر الى البصرة ومنها الى الحجاز ليشارك فى الثورة العربية آنذاك عام ١٩١٦ . فأجج لهيبها بشعره الصارخ ، حتى لقب (بشاعر الثورة) وبعد أن انكشف زيفها رجع ادراجه الى ديار الشام ، وبعدها قفل راجعا الى بغداد ، بعد تأسيس الحكم المسمى بالوطنى فى العراق (١٩٢١ م) . فظل يمطر الحكام الظلمة الجاحدين بوابل من شعره اللاهب حتى فقد عقله فأدخل مستشفى المجاذيب ببغداد ومكث أسيرها ردحا من الزمن ينيف على العشرين سنة فاختاره البارى عز وجل الى جواره فى عام ١٩٤٣ م ومن شعره قصيدته المشهورة (أيها الليل) والتى ورد ذكرها فى مذكرات جمال باشا السفاح . وهى :

أيها الليـــل يا أبا الأسحار
أين زهر النجوم والأقمار (١)
كان للبدر فى سوادك ضوء
ملأ الخـــافقين بالأنوار

(١) يريد بالليل : الطغيان التركي ، والنهار العرب .

كنت ياليل عبده ولقد كا
ن مليكا له النجوم جوار
كان يوليك رحمة وحنانا
كان يكسوك حلة الأحرار
وبه صرت مسلما بعد أن كنـ
ـت من المشركين والكفار
كل هذا وأنت توعد مولا
ك بجيش من جحفل جرار
فترصدته الى أن غـدا البد
ر هلالا في ليلة من سرار
فتحفزت به الجنود عليـه
حين شـاهدته بلا أنصار
فترفق بقتله ان هـذا
سيد بارع كريم النجار
وارفع الغل عنه يكفيه ما كا
ن عليه من ذلةٍ وأسار
أيها المستبد كيف تجازى
قمراً كان هاديا للسارى ؟
أنت رب الفوضى وركن المخازى
وملاذ اللصوص والشطـار
أنت أوقعتنا بكل بوار
أنت ورطتنا بكل دمار
أنت ياليل باضطهادك ضيقـ
ـت على همتى .. على أفكارى

سيلوح الصبح المنير فيورى
وجهك المكفهر جذوة نار
انظر الفجر قد بدا كحسام
لاح للناظرين تحت الغبار
الفرار الفرار يا ليل ان الطع
ن ساق الجبان نحو الفرار
فزوى وجهه واعرض عنى
ظن قولى شعراً من الأشعار
كاد يرخى سدوله فأتته
طعنة الرمح من يد ابن النهار
قصدته فى قلبه فتردى
فعلى الأرض منه لون احمرار
ثم لاحت ذكاء تختال عجبا
فى حياء وهيبة ووقار
نشرت ضوءها على الأرض لما
أخذت من عدوها بالثار
وتوالت بشائر النصر تترى
معلنات بأحسن الاخبار
هى نور تمثلت فى سطور
طرزتها أنامل الأسرار
تتراءا لكل من يدرك المغزى
وتخفى عن أعين الأغرار [1]

---

(١) عن كتابنا المخطوط : « شعراء العروبة في القرن العشرين » .

استعمل لغة (الرمز) فى قصيدته هذه - كما ترى - والتى هى وثيقة دامغة على ظلم الاتراك الطغاة .. وختمها مصرحا بأن صرخته هذه نور يدركه اللبيب الزكن، ويجهله الغر البليد . . ومن شعره قصيدته المشهورة : « بغداد باكية » وقد قالها فى أشد أيام الحكم التركى وطغيانه :

لاحت بروق الأمانى أيها العرب
فلنشحذ البيض ولتجنب لها النجب
ولتنتبه أمة أخنى الزمان على
آثارها فهى لا علم ولا أدب
تحكم الخصم حتى فى دياناتها
فالعرض يهتك والأموال تنتهب
يا للرجال ويا للصيد من مضر
ضاع الكريمان دين الله والحسب
أين الحمية ؟ بل أين المروءة ؟ بل
أين الكتائب والهندية القضب
أين الألى تزأر الدنيا إذا زأروا
ويغضب الله فوق العرش إن غضبوا
قوم بنوا فوق هام النجم مجدهم
فظل يشدو بذكراهم ويضطرب
كأنه فاقـد إلفاً يحنّ له
حتى يكاد من الأشواق يلتهب
من بعد ما نهضوا فى عزة هبطوا
يغشاهم المهلكان اللهو والطرب
فى ذمة الله عهد العرب أن لهم
يوماً به تفخر الدنيا وتحتسب

يوماً به صارت الدنيا كخانية
في صدرها الزينتان العلم والأدب
إن تنسَ لا تنسَ من بغداد أولها
حيث المدارس في أبحاثها العجب
رأيت أطلالها لا سامعٌ فطنٌ
لما نطقت وليست تسمع الخطب
أشكو الى الله قومي انهم عكفوا
على التخاذل حتى عمهم غضب
فهم بحرب ضروس كان يسعرها
عدوهم بينهم يا بئس ما احتربوا
لا يصنع الخصم فيهم مثلما صنعوا
ما بينهم ، إن بدا ما بينهم لعب
وكل شعب اذا اشتد النزاع به
فانه عن صروح المجد ينقلب
قل للذى ضل عن نهج الرشاد أفق
لا يخدعنك مالٌ ضمنه العطب
مضى يحارب أهليه ، لينصر من
رشاه انك يا هـذا لمختلب
اليك ويلك عمن أنت خاذلهم
وليس ثمة في خذلانهم سبب
هذا الهوان وهذا الخزى تلبسه
ما دامت الأمتان الترك والعرب
لنا نفوس الى العلياء طامحة
والمجد أمٌّ لها والمكرمات أب

وهمه عن طلاب المجد ما ونيت

أمامها الموصلان الجد والتعب

فقم بنا اننا نحن الأباة وقل

إنا الى العرب والاسلام ننتسب

بغداد باكية والشام شاكية

والقدس مرتهب والنيل مرتقب

رحماك رحماك طال الإنتظار بنا

وكاد ينفد منا الصبر والأدب (١)

وقال راثياً الشهداء العرب الذين شنقهم جمال باشا السفاح فى عام ١٩١٦م واسمها « صرعوا بحب بلاديه » :

ذات القصور العاليه ... أمست قصورك خاليه
ما فى رباك سوى الأنين ... وكل عين جاريه
قيل الكرام تخلفوا ... فى كل بيت ناعيه
لم يبق لا الشيخ الكبير ولا العجوز الفانيه
ومخدرات قد نفين الى البلاد النائيه
هتك العلوج ستورهن وليس ثمة جانيه
ومكبل فى السجن ما ... ذاق الطعام ثمانيه
من بعدهم يا جنة الدنيا جنانك خاويه
تكسوك أثواب الأسى ... بعد الرياض الزاهيه
بردى وهل يجرى كما ... هو فى السنين الخاليه
والمسجد الأموئ هل ... فيه الصلاة علانيه
لا تحزنى لك أسوة ... بغداد أمست باكيه

(١) « شعراء العروبة في القرن العشرين » مخطوط .

أخـذ الزمان علیكما فرماكما فى هاويـه
وأسودَّ مبيض النهـار وغاب بدر الداجيه
وبكت نجوم الجـو بالدمع الهتون بكائيه
تبكى على الفتيان أرداهم جمال الطاغيـه
من كل مفتول الذراع أغر تحت الناصيـه
نصب ابن (قنطورا) مشانقه لهم فى عاليـه

ومنها :

إنا بحب العرب قـد بعنا نفوساً غاليـه
من ذا يبلغ قومنا ؟ أهل النفوس العاليـه
أن يأخذوا بالثار من تلك النفوس الباغيه
يا قوم ذوقوا الحتف فى نيل الحيـاة الراضيه
الموت أفضل عندنا من ذلة متماديه
إنا سنأخـذ ثأرنا بظبى السيوف الماضيه
نأتى العـدا بجحافل عنها تضيق الباديـه
سنشب نـيراناً بهـا نصلى الطغاة العاتيـه
ونثل عرش عصابة كانت علينا باغيه
سنكيل ما كالت لنا ولنسفعن بالناصيه
ونذيق أعداء السلا م شواظ نار حاميه (١)

ومن شعره أيضاً هذه النفثة الصارخة « لسان كل عربى » :

يا رائد الحرب هات الضمر القودا
أغر القنا والمنايا والصناديدا
آليت أن لا تنام الدهر عن ترة
ولا تنازل إلا السادة الصيدا

---

(١) عن المصدر السابق .

ولا تذوق شراباً غير ما عصرت
حمر الصفاح نقياً ليس مورودا

ومنها :

منا بدا النور لا من غيرنا أفقا
رأيتمونا ؟ حفظناه مذاويدا
وكل من يتصدى فى مدافعة
لنا عن المجد فنداه تفنيدا
دعوا التخاذل والتفريق واتحدوا
لا تفتحوا باب شر كان مسدودا
فقد غرسنا لكم فى أمس غرس علاً
فلا يكن فى يد الأعداء محصودا
يا فتية العرب هذا يوم نهضتكم
لا تقعدوا واحذروا من كاد أوكيدا
يا نائمين على جر الهوان كفى
ذل يغادر صدر الحر موقودا
هبوا وذبوا عن استقلالكم بظبىً
تغادر الدهر مضنى الجسم معمودا
لابد للعرب أن تحيا بوحدتها
وأن ترى أمرها بالصدق موعودا (١)

ومن شعره أيضا :

طمئن فؤادك لا تهتم بالمحن
واصبر ترَ الأمر يأتى لين الرسن

(١) من « شعراء العروبة في القرن العشرين » مخطوط .

من حاول المجد فليهدر له دمه
وليتنصب للقاء الهم والحزن
وليدرع لكفاح الخطب سابغة
من الشجاعة لا ثوباً من الجبن
أهلاً ببيض الأماني دونهن دمي
ومرحباً بالمعالي مهرها بدني
لو يعلم الدهر ماذا في مخيلتي
لنام وهو قرير العين وهو هني
ولو ترى النائبات السود ما كتمت
جوانحي ؟ لمضت بيضاء كاللبن
عليَّ للعرب عهد لست أنقضه
ولو تقطع أوصالي من البدن
فلا سقاني الحيا إن كنت مشتغلاً
عنكم بغير المعالي يا بني وطني
توغر الصدر مما قد ألمَّ بكم
هماً يفرق بين الجفن والوسن
وسحَّت العين دمعاً بتُّ أرسله
اليكم مثل صوب العارض الهتن
وبح صوتي في استنهاض همتكم
لهفي عليها من الشنآن والفتن
ودب في جسمها داء النزاع فلم
أقدر على جمع محسود ومضطغن
لو أنني أنا سحبان وأنكم
أنتم على ما عهدناكم من الزكن

لقمت فيكم خطيباً غير مرتبك

أصوغ نثراً وشعراً قرعة الأذن

لو تذكرون قيام الظالمين لكم

وقتلهم كل ندب بالعلى قمن

لما قعدتم عن الجلى ولا ركنت

نفوسكم للأماني شيمة اليفن

ولا استهنتم بما دس العدو لكم

دسائساً تركتكم عنه في الوهن

ليت الدماء التي ما بينكم سفكت

مسفوكة في سبيل الله والوطن

وليت هذا التعادي كان منقلباً

على الأعادي فباتوا منه في غبن

يا للرجال الى الإخلاص فاتجهوا

فانه نجوة من هذه المحن

الى الحسام شكونا أمركم وعسى

يزيل ما حلّ في الأذهان من درن

فكان ما كان من قتل البنين ومن

سبي البنات ومن تشريد كل غني

حتى بدت عرصات الدور خالية

فيها الأرامل تبكي دارس الدمن

كن الأوانس في أمن وفي دعة

واليوم للبؤس بين الغم والحزن

يلحن للعين كالأشباح ساهمة

وجوههن عليها سحنة الشجن

يصرخن يا لأباة الضيم مالكم
رضيتم بركوب الغارب الخشن ؟
نعم ، نعم ، قام هذا الشعب منتقماً
من العدو بعزم ليس عنه يني
تظنه فى الوغى نـاراً وتحسبه
فى السلم كالماء ماء الغيث والمزن
يريد عودة مُلك ذل ساكنه
بقوة الله ليست بالقنا اللدن
ملك به نطق الضاد الفصيح ولم
ينطق ذووه حروف العيّ واللكن
من الحجاز الى وادى دمشق الى
وادى الفرات الى نجد الى يمن (١)

وله هذه النفثة الحرّى ، وفيها يعرج الى القبلة الأولى (فلسطين) ليذرف فيها فيض مآقيه ، مستصرخاً البطـل الخالد صلاح الدين ، واسمها (الوطن واحد) . .

قامت بقيامكم العرب
وزهت بفعالكم الكتب

(١) من ديوان السيد رشيد الهاشمي — مخطوط .

وجاء في هامش الصفحة من الديوان بخط الشاعر نفسه ما صورته : « . . . أنشدت في عيد الفطر سنة ١٣٣٢ هـ . ونظمت في أول ما يسمونه بالثورة العربية والأحرى أن تسمى بالثورة الانجليزية في شمال الحجاز والقيت في احتفال اقيم في جبال « الوهيدة » بين وادي موسى وبطرة على الجيش العربي الذي كان يقوده الانجليز على الحقيقة ـ كذا ـ الشريف لورنس ، واللبني وينك ، وغيرهم وصمها الشريف فيصل والشريف زيد فكانت صاعقة عليهما وعلى من يتبعهما . . » اهـ .

غنت بكم الاقلام وقد
رقصت لأغانيها القضب
الشام بمكة متصل
لكن الساحل مغتصب
أوصال الملك مقطعة
وقلوب بنيه تضطرب
أسمعت حديث فلسطين ؟
قطر لعبت فيه النوب
هجم العبرىُّ عليه ضحىً
فرآه كغنم ينتهب
يا ليت صلاح الدين يرى
ملكاً يستلم ويستلب
لو كنا نتبع سيرته
لأعاد علاه كما يجب
القوم عرفت دسائسهم
نقضوا لك عهدك وانقلبوا
هذى بغداد ودجلتها
يعلوها الظلم فتنتحب
فيها من كل فتى بطل
بدماء عداه يختضب
قد علق فوق مناكبه
علماً حاكته له الحقب
يبدو لعيون عاشقة
ويرى الرقباء فيحتجب

أشباب العرب وقادتها
العرب اليكم ترتقب
وتطلعت الزوراء الى
ما يصنعه الجيش العجب
ويا أخت نزار تدعى
عبرات جفونك تنسكب
قد هاج نواحك لى شجناً
لا يبرده منك الشنب
رحماك بصبٍ مغترب
لعبت بحشاشته النوب
مطلوب النفس ومطلبه
وطن قد أدركه الطلب
هجر السمار وصدّ عن ال
خمار وفارقه الطرب (١)

أرأيت هذه النفثات الحرار .. التى تفجر فى النفوس الخامدة نور الأمل ، وتوقظ الهمم الخابية ، هذه الصرخات الاستنهاضية التى أقضت مضاجع الطغاة المستبدين من آل عثمان . . وأرهبت (الملوك الأرانب) فطورد صاحبها وسجن وحورب حتى فى مورد رزقه . . حتى أفقده الضغط والإرهاب من جانب السلطة الحاكمة عقله . . أمثل هذا المجاهد الثائر الذى ما عرف فى حياته مهادنة الظلم وأهله يكون نصيبه الإهمال . . لعمر الحق . . هذا منتهى العقوق والإنكار منك يا استاذ . .

وكيف جاز لك فى شرعة الأدب أن تلوى بوجهك عن الشعراء الذين

(١) عن « شعراء العروبة في القرن العشرين » مخطوط .

تغنوا بالقومية العربية ، وجاهدوا فى سبيلها . . . ومنهم : المرحوم السيد محمود الوادى ، ومفتى الموصل السيد محمد حبيب العبيدى الذى يعد ركناً من أركان النهضة الأدبية الحديثة ، وعموداً من أعمدة الأدب فى العراق العربى . . . فهو شاعر ناثر ذو أسلوب فى النثر معروف اختص به . . تغنى بالقومية العربية وأمجادها منذ ما ينيف على الثلاثة أرباع القرن (٧٥) سنة . وشعره منشور مشهور ، وتترنم به الأجيال . ومنه : قصيدته المشهورة (ألواح الحقائق) التى القاها فى المنتدى الأدبى فى الاستانة وهى ملحمة قومية رائعة . . حيث قد جاءت فى خمسمائة بيت من روى واحد ووزن واحد . . واليك مقطعة منها :

أنسام الهوان دون المنايا
إنما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحر داراً
إنما الحر داره الجوزاء
يا بنى الضاد ان للضاد حقاً
ناطحت دون هضمه الآباء
إن رضينا غير الكرامة ورداً
غص منا بشاربيه الماء
ليت شعرى ما ينقم القوم منا ؟
رب قوم أرض ونحن سماء
يشهد الله ان أول بيت
للعلى فينا شاده البنّاء
خيرة الله نحن فى الخلق مما
ولدت من أنسالها حواء

نحن شيء وغيرنا بعض شيء

نحن نور وغيرنا الظلماء

نحن بحر وما سوانا سراب

نحن درٌّ وغيرنا الحصباء

إنما ينكر الحقيقة غِرٌّ

أو لئيم أو حاسد مستاء

نحن في الحي مهبط الوحي قدماً

وإلينا المصير والإنتهاء

كل حر بقية السيف منا

يوم دانت لسيفنا الأنحاء

لا يرم بعضكم لبعض فخاراً

أيها القوم : كلكم عتقاء[1]

وله :

سلام عل العهد القديم وأهله

وما وجدت بعد البزاة صقورها

وقفنا على التأريخ وقفة ناقد

وقد أرشد العميان منا بصيرها

أهبنا ـ وما في الحي صوت ـ بأمة

طوتها يد للموت عز نشورها

جسسنا بكف الشعر نبض شعورها

فذاق به كأس الحياة شعورها

---

(١) راجع الأدب العصري في العراق العربي ، ص ١٥٢ لرفائيل بطي ، المطبعة السلفية — بمصر ١٩٢٣ م ، الجزء الاول .

إذا الشعر لم يوقظ من الشعب راقداً
فلا قذفت درّ القوافي بحورها
ورب قوافٍ من دموع نظمتها
فكانت عقوداً والأماني نحورها
يعزّ على عيني البكاء وإنما
على ذكر أوطاني يفيض غديرها
على مجد عدنان وسؤدد هاشم
وتاريخ قحطان يدر غديرها
حرام على عرق لنا دم يعرب
يجول به إن لم يحرر أسيرها
ونحن أباة الضيم من عهد تُبّع
إذا الناس غربان ونحن نسورها
بني يعرب يا خير من وطىء الثرى
ويحمى الثريا - لو شكت - وبحيرها (١)

ثم يمضي العبيدي على هذا النسق الرائق الجميل .. يتغنى بمفاخر الأمة العربية وأمجادها وبطولاتها ، فيجول فيها جولة تمتد من العصر الجاهلي ماراً على الفتوحات العربية والإنتصارات (المضرية) حتى العصر الحديث وهي معلقة - كبقية شعره - تنيف على المئة وأربعين بيتاً ، والعبيدي من الشعراء الموهوبين بطول النفس ، فقصائده تتعدى المئات عداً من الأبيات ، مما يذكرنا - طول نفسه - بابن الرومي (٢٢١ هـ / ٢٨٣ هـ) الذي كانت أبيات قصائده تنيف على المئات عداً . . .

(١) المصدر السابق ص ١٣٤ .

ومن شعره الذى يتغنى به الجيل المعاصر ، ويجول على كل لسان عربى ، قصيدته المشهورة (جزيرة العرب) :

لحصاها فضل على الشهُب
وثراها خير من الذهب
تتمنى السماء لو لبست
حلة من طرازها العجب
إن بدا الآل فى مفاوزها
قال لنهر المجرة احتجب
وإذا البرق شام مبسمها
أسكرته بخمرة العجب
عج بأرض الحجاز أشرفها
لتريك الأقمار من كثب
رضى الله عن نجوم هدىً
فوق سرج تضيء أو قتب
لست أرضى السماء لى وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

• • •

مهبط الوحى مهد حكمته
منبت الفضل معدن الأدب
مطلع النور وهى مظلمة
منبع الرشد وهى فى شغب
بسناها ضاء الوجود ولو
لا هداها لضل فى الحجب

يوم قـد الحسام آلهة
صنعتها الأكف من خشب
فاسئل الحجاز أقدسها
يوم جاء الأمى بالكتب

* * *

نحن أحفاد أمـة نصبت
علمـاً للهدى على النصب
نحن أحفـاد أمة سطرت
معجزات التاريخ بالقضب
نحن أحفـاد أمة خطبت
يوم قامت بأرفع الرتب
سوف نحى مجد الألى حطموا
عرش كسرى فى سالف الحقب
سوف نحى مجـد الألى لهم
لوت الأرض عنق مضطرب
فكسوها ثوب البهاء بما
أبدعوا من علم ومن أدب
لست أرضى الجوزاء لى وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

* * *

نحن يوم الحفـاظ قادتها
نحن أبطال جيشها اللجب
بشروها والله يكلؤها
ببـلوغ الآمال والأرب

بشروها والله يكلؤها
رغم أنف الزمان بالغلب
فسلام على رجال هدى
لا يضحون الجد باللعب
وسلام على كماة وغىً
يرجعون العدى على العقب
فبنفسى أفدى مضاربهم
وبأمى أفديهمُ وأبي
لست أرضى الفردوس لى وطناً
بدلاً من جزيرة العرب[1]

والسيد المرحوم محمد حسن أبو المحاسن ١٨٧٦ م — ١٩٢٥ م = ١٢٩٣ ه — ١٣٤٤ ه) وأبو المحاسن من شعرائنا المعدودين ، وشعره يمتاز بالجودة والإنسجام ، مع جزالة فى اللفظ ومتانة فى اللغة ، ورصانة فى الإسلوب ، وهو بالإضافة الى هذا شخصية مرموقة ومن شعراء الثورة العراقية ٣٠ حزيران ١٩٢٠ م ، وقد سجن بعد أن خبت جذوتها فى الحلة بضعة أسابيع ، وبعد تأسيس الحكم الوطنى الموهوم فى العراق (١٩٢١ م) بعامين أى فى عام (١٩٢٣ م) ٣ كانون أول أسند منصب وزارة المعارف إليه ضمن وزارة جعفر العسكرى ، غير أنه لم يلبث بها طويلاً حيث أنه انسحب منها فى ٢٧ أيار من عام ١٩٢٤ م ، لأسباب لا يهمنا عرضها الآن[2] وفى عام ١٩٢٥ م — ١٣٤٤ ه لبى نداء ربه على إثر سكتة قلبية ، وله شعر كثير فى القومية العربية والدعوة الى الوحدة ، والتغنى بالأمجاد

(١) الأدب العصري في العراق العربي ، الجزء الاول ص ١٥٣ ، لرفائيل بطي .

(٢) راجع حول انسحابه من الوزارة وترجمته كتاب « نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر » للدكتور محمد مهدي البصير ، ص ٣٤٨ ، وص ٣٤٩ .

العربية ، ومفاخر العرب وبطولاتهم ، مع العلم أنه كان قد وقف موقفاً سلبياً تجاه الحركة العربية بعد إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ م ومن شعره : راثياً بها البطل المرحوم محمود شوكة باشا صاحب الإنقــلاب المعروف ١٩٠٨م ، والذى أجبر الطاغية السلطان عبدالحميد على التخلى عن عرشه عام ١٩٠٩م ، وقد رأس الوزارة فى عام ١٩١٣م وقد أغتيل فى العام ذاته وهو فى دست الحكم[١] :

بكى الشرق يا خير الصدور الأعاظم
عليك بمنهــل الدموع السواجم
نعيت اليه فاستحالت ربوعــه
مصاباً ومادت أرضه بالمــآتم
ألا إن سيف الأمة اليوم غاله
حمــــام فلا ابتلت يمين بقائم
وقد غاب ذاك الليث عن غاب عزه
على حين أردى كل ليث ضبارم
لئن أوحشت منه عرينة مجــده
لقد رزئت منه بمردى الضراغم
أصــابوه فى سلم ، وأعظم آفة
على البطل المغوار غدر المسالم
يعدُون قتــل المصلحين غنيمة
وما هو إلا من أجلّ المغارم
فإن يك قد أودى فقد عاد فائزاً
بحسن مباديه وحسن الخواتم

(١) هو أحد أنجال المؤرخ المعروف السيد سليمان فائق بك ١٨٩٦ م وشقيق السيد حكمة سليمان .

تحمل أعبـاء الوزارة ناصحاً
يدبر أمر الملك تدبـير حازم
فنعم وزير السيف يعطيه حقه
إذا ارتعشت كف الزمان بصارم
ونعم وزير السيف والقلم الذى
تمج ثنـاياه سمام الأراقم
مضى اليوم من كانت تشير بنانهم
إليه فقـد عادوا بعضّ الأباهم
فيا أيها الناعى المعاتب من مضى
نعيت ولـكن بالقوافى الأثائم
وان مقاماً قـد نزوت لنيله
منيـع الذرى لا يرتقى بالسلالم
عتبت على (محمود شوكة) ناقماً
وما ضر محموداً مذمة ناقم ؟
تناسيت آثـاراً له ومساعياً
تضيء كأمثال النجوم العواتم
ألم يكشف الكرب الذى ضيق الفضا
على أمة باتت بقبضة ظـالم
فشيد صرح العدل مذ هدّ سيفه
على (يلدز) الشماء صرح المظالم [1]

ومن شعره فى القومية العربية قوله :

---

(١) نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ، ص ٣٥٨ ، للدكتور محمد مهدي البصير .

يا أيها الوطن العزيز لك الهنا
قد نلت أشرف بغية ومراد
سيعيد تأريخ العلى لك نفسه
ويعود مجد رجالك الأمجاد
آساد غاب ليس ينكر بأسهم
وبنوك نسل أولئك الآساد
أبناء يعرب يطلبون تراثهم
إن البنين أحق بالأجداد
لا يقنعون من الفخار بتالد
ما لم يضيفوا طارفاً لتلاد
يا ناطقاً بالضاد ما لفضيلة
معنى يتمّ لغير أهل الضاد
فافخر فانك من سلالة معشر
من طيب ذكرهم يضوع النادى
أوليس عصر النور من آثارهم
قبست لوامع نوره الوقاد
والعلم من ثمرات غرسهم الذى
عم الورى بفواضل وأياد
والعدل والإحسان من حسناتهم
وهى التى جلت عن التعداد
وعلى مبادينا الحضارة أسست
أيام ليست غيرهن مبادى
من عنصر الدين الحنيف اذا انتموا
للدين كانوا أشرف الأولاد

عرب تحنُّ الى الفخار سيوفها
وتصدُّ إعراضاً عن الأغماد
هم عودوها أن تسل فلم تمل
عن عادة التجريد للأغماد
من أسرة لهم الأسرَّة والذرى
من عهد (تبع) فى الزمان و (عاد)
لهم السيوف ومثلهن مقاول
لم ينتضوا منهن غير حداد
فكأنها فوق المغافر لقنت
منهم فصاحتهم على الأعواد

ومنها :

قومى الذين عرفتهم وبمجدهم
تم اعتراف مصادق ومعادى
أبلوا شباب الدهر ثم بناءهم
وعدت عليهم للزمان عوادى
غير الليالى لم تغير منهم
شيم الكرام الذادة الأنجاد
لم يرضخوا للضيم إلا ريثما
ناداهم للعز خير منادى (١)

---

(١) أراد الشاعر بـ (لم يرضخوا : لم يخضعوا ، وهو خطأ لغوى لأن الرضخ في اللغة هو الكسر ، يقال رضخ النواة : كسرها ، والرضخ أيضاً كسر رأس الحية . وفي الحديث : فرضخ رأس اليهودي قاتلها بين حجرين ، ولو قال (لم يخضعوا) لأصاب . راجع « لسان العرب » لابن منظور مادة (رضخ) . .

لبيك يا داعى الرشاد شعارهم
قدست من داعى هدى ورشاد
أنت الذى أنعشت من أرواحنا
أرماقها فنهضن بالأجساد
فمتى تؤلف وحدة عربية
وطنية الإصدار والايراد
ليس العراق بموطن هو وحده
فبلاد قومى كلهن بلادى
ويسرنى انى على ضعف القوى
كنت القوى بموقفى وجهادى
قالوا أما من باذل أو مفتدٍ
فبذلت نفسى حين عز الفادى (١)

أى افتخار بالعروبة وأمجادها ، وأى ترنم بمفاخر العرب الأكارم هذا ، هذه عروبة الرجل واضحة السمات بينة المعالم فى قصيده هذا ، الرجل الذى يعلل الفؤاد بذكر العرب الأماجد ، ويقول : ذكرهم رواء لقلبه الظامى .. هؤلاء القوم الألى ينزل المجد منهم متبوئاً بيتاً أشم على أشم عماد . فهل يستحق مثل هذا الرجل المجاهد الغيور الإنكار والجحود والعقوق ..؟؟ هذا الرجل الذى يقول :

أنا والنجم كلانا ساهر
غير انى مفرد بالشجن
لا أبالى والمعالى غايتى
وصل أشجانى وهجر الوسن

(١) الأدب العصري في العراق العربي ، الجزء الثاني ص ١٣٤ ، لرفائيل بطي .

في سبيل المجد منا أنفسٌ
رخصت وهي غوالي الثمن
ليس غير الشعب واستقلاله
ليَ شغل فهو أضحى ديدني
نحن للعلياء ، والعليا لنا
لو أقالتنا صروف الزمن
عُرف المعروف والعدل بنا
ولنا تأسيس تلك السنن
من مواضينا سنا البرق ومن
جود أيدينا انسجام المزن
مشرفيات دقاق رفعت
راية العدل بفتح المدن
كسرت (كسرى) وردت (قيصراً)
قاصر الباع عديم الجنن
عرب شيدت مباني عزهم
في الذرى من شاهقات القنن
عظموا الجرم وقالوا حاكم
وطنيٌّ ثائر ذو لسن
هيّج الشعب وأغراه بنا
لم يغب عن مشهد أو موطن
إن أكن أحسب فيكم مجرماً
فأنا المحسن عند الوطن
سيئات وضعتني عندكم
حسنات عنده ترفعني (١)

(١) راجع : الأدب العصري ، الجزء الثاني ، ص ١٣٦ .

ومنهم المرحوم الحاج عبدالحسين الأزرى (١٢٩٨ هـ - ١٣٧٤ هـ ١٨٨٠ م - ١٩٥٤ م) وهو شاعر مجيد معروف ، تعرفه النوادى الأدبية والمنابر الوطنية ، فلا تكاد تمر مناسبة وطنية إلا قال فيها شعراً ، وهو ممن حاربهم الطغيان التركى فنفى مع من نفى الى بلاد الاناضول إبان الحرب العالمية الاولى وفيها تعلم اللغة الفرنسية ومن رجال الثورة العراقية المعروفة بثورة العشرين (١٩٢٠ م) وممن نفى الى هنجام ، وله فيها شعر جيد ، وشعره يملأ المجلات والصحف العراقية ، وهو طافح بالثورة على الظلم وأهله ، والتنديد بالطغاة المتعسفين ، هذا بالإضافة الى خيال مجنح ، وعبارة رصينة ، ومتانة فى السبك ، وليس صحيحاً ما قاله عنه الدكتور ماهر حسن فهمى فى كتابه « حركة البعث فى الشعر العربي الحديث » ص ٨٠ ، حين سلكه ضمن الشعراء الشعوبيين فى العراق . وأقول جازماً إن اعتماد الدكتور ماهر كتاب (الأدب العصرى) لرفائيل بطى (١٩٠٠ م - ١٩٥٦ م) هو الذى جعله يطلق هذا الحكم المفرط العريض الذى تجنى به على شاعر هو من ألد أعداء الشعوبية ، حيث قد وقف الدكتور ماهر على قصيدة للمرحوم الأزرى بعنوان (يا علم)(١) وفيها بيت واحد فقط يشير فيه الى حضارة العراق فى زمن حمورابى وهو :

لك من عهد حمورابى على
سائر الأقطار فضل لا يسامى

ومن هنا حسب الدكتور الفاضل شاعرنا الأزرى شعوبياً ، وليس من السهل إطلاق حكم على شاعر لمجرد الوقوف على بيت واحد من شعره الكثير . .

ومما تجدر الإشارة اليه ان شاعرنا الأزرى لا ينتمى الى عائلة الشيخ كاظم

---

(٢) راجع : الأدب العصري ، الجزء الثاني ، ص ٦٩ « قصيدة يا علم » .

الازرى ، وإنما هو من عائلة أخرى تغلب عليهم هذا الإسم ، حيث إن الشاعر كاظم الازرى لم يترك له عقباً من الذكور ، وكذلك أخوه الشاعر العالم الشيخ محمد رضا [1] . .

وليس صحيحاً ما أشار اليه ملمحاً المرحوم الأستاذ رفائيل بطى فى كتابه (الأدب العصرى / الجزء الثانى ، أثناء ترجمته لعبد الحسين الازرى ص ٥١ . الى صلة الاخير ببيت الازرى الشيخ كاظم حيث قال : « بيت الازرى . بيت علم وأدب معروف ، اشتهر منه فى القرن الماضى علمان هما الشيخ كاظم والشيخ محمد رضا أخوه » . اهـ .

والقارىء يستشف من خلال هذا الكلام إن عبدالحسين الازرى من بيت الازرى المعروف ، والذى اشتهر منه فى القرن الماضى علمان هما الشيخ كاظم والشيخ محمد رضا أخوه . . وهذا وهم بيّن من المرحوم بطى .

ومن الشعراء العرب الذين أغفلهم - الدجيلي - العلامة الجليل الشيخ محمد جواد الشبيبي (١٨٦٤ م — ١٩٤٣ م [2]) والد الشاعرين الشيخين : محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي (١٨٨٩م — ١٩٦٠ م) .

---

(١) راجع : تخميس الأزرية للشيخ جابر الكاظمي (١٢٢٢ هـ / ١٣١٣ هـ) ، المقدمة بقلم العلامة الشيخ محمد رضا المظفر .

(٢) ذكر صديقنا العلامة الدكتور يوسف أسعد داغر في كتابه العظيم (مصادر الدراسة الأدبية) ج ٢ ص ٤٦٨ ، ان جواد الشبيبي توفي في عام ١٩٣٤م وهو وهم من المؤلف الفاضل وانما الصحيح هو توفي في عام (١٩٤٣ م) وان الذي توفي في ذات العام هو العالم الشيخ محمد جواد البلاغي ، وذكر في الصفحة ذاتها : ان « له ديوان شعر غير مطبوع ، ويعني به - جواد الشبيبي - جمعه محمد سعيد الحبوبي » اهـ . وهو خطأ . والصحيح هو : ان السيد محمود الحبوبي ابن أخي محمد سعيد الحبوبي هو الذي جمع مسودات الديوان (قصائد مبعثرة غير مرتبة ومنسقة) فقط . . وضم بعضها الى البعض الآخر ورتبه حسب الحروف الابجدية وكتب مقدمة له وخاتمة وعلق على بعض موضوعاته وشرح غريبه العلامة الشاعر الكبير الشيخ علي الصغير ، وهو موجود الآن لدى العلامة الجليل ولده الشيخ محمد رضا الشبيبي . وهذه ملاحظة أردت بها خدمة الحق وتبيان الحقيقة ليس الا . .

وشاعرنا (الجواد) ممن أكثروا من التغنى بالقومية العربية وأمجادها ، فشعره طافح بالمفاخر العربية ، يفيض بالثورة على الحكام الظلمة ، يعج بالروح الاستنهاضى لشباب الأمة العربية ، وقد جمع فى شعره ، بين المتانة والرقة ، والقوة والسلاسة ، مع سمو فى المعانى ، ونبل فى المقاصد ، حتى لقب (بشاعر العرب) وهو به جدير ومن شعره :

بلادُك إنها خير البقاع
فقم ثبت بها قدم الدفاع
بلادك أرضعتك العز فاحفظ
لها حق الأمومة والرضاع
بلادك أصبحت لحماً غريضاً
تمطقُ فيه أشداق السباع
فقل للضاريات ألا أقذفيه
ففى أوصاله سمُّ الأفاعى
أرى ضرماً وليس له لهيب
وهل نارٌ تكون بلا شعاع
وأنسمةً يسيل السمن منها
توزع بين أفواهٍ جياع
وقطعاناً تلاوذ وهى سغب
وتمنع عن مداناة المراعى
فما زالت على فزع ورعب
تفرُّ من الذئاب الى الضباع
نظرنا فى السياسة فاجتهدنا
وخضنا فى القياس وفى السماع

فألفينا بحيرتها سراباً
يحوم الوهم منه على التماع (١)

ومن شعره أيضاً من قصيدة بعنوان « وفى البلد الاقصى نفوس صحيحة »:

وفى البلد الأقصى نفوس صحيحة
يعز علينا أن تتألم
يؤرقها فوق الأداهم معرق
ويقلقها تحت المظالم مشأم
بكتها بذوب القلب أعين مصرها
وناح عليها نيلها والمقطم
متى يصلح المحتج عنها مدافعاً
وفى قبضة الخصم الغلاصم والغم
فيا جائراً عن غيه ليس يرعوى
ويا ظالماً من غيره يتظلم
تروم مصافاتى وسهمك قاتلى
متى اصطفيا يوماً سليم وأرقم
سل العربى المحض أين مناخه
ومثواه فى الأرض الفضاء مسهم
سرى موبؤ الداء الدفين بسهلها
فأرغمها والارض كالناس ترغم
وكيف شفاها والمجرب خائف
يلجلج وصفاً والطبيب مسقم

(١) الى ولدي ، لجواد شبر ، ص ١١٠ طبعة اولى ١٩٥٤ م ، مطبعة الغري الحديثة — النجف .

يعلل معتل البــلاد بشهده
وهل ينفع التعليل والشهد علقم
غدا الخبط فى تلك الموارد سارياً
فلا منجد منها يصافيه متهم
غدت لاعدت فى القوم نهبا ومغنماً
فلله نهب ما أعــزّ ومغنم
لإن سرنا منهـا مشـاع مورث
فقد ساءنا منها تراث مقسم
إذا حاججت أرض بنيها فإنـكم
أعق بنى أم عليهـا وأظلم
تخـالفتم فى أمرها وتوافقت
عليها قلوب لا ترق وترحم
فيا ليت شعرى من يؤاخذ غيركم
على الجرم والجانون للذنب أنتم .. [1]

ومن شعره قصيدته (الموت أولى بشعب غير متحد) التى يقول فيها :

لا أكثر الله من قومى ولا عددى
إن لم يكونوا لدى دفع الخطوب يدى

ومنها :

ألبس لخصمك إن لاقاك مفترساً
مطروقة الصبر لا منسوجة الزرد
فهاهى النثرة الحصداء تخرقها
يد القوى التى تعيا عن الجلد

(١) مجلة الاعتدال ، ص ٩٩ السنة الرابعة ، العدد الثاني ، الصادر في آذار من عام ١٩٣٦ م .

وقل لشعبك يجمع شمله لعلا
فلا تنال العلا فى شملة البدد
وينتفض من غبار الموت متحداً
فالموت أولى بشعب غير متحد
سرّ التقدم أن القوم سعيهم
لغاية وحّدوها سعى منفرد
إجعل لنفسك من معقولها عدداً
فعدة العقل كم تأتى على العدد
قد ضعّف الحق من تطوى طويته
على البغيضين سوء الخلق والحسد

ومنها :

كان الضعيف إذا مد القوىّ يداً
لظلمه ردّها مدفوعة بيد
واليوم ظل ضعيف القوم مضطهداً
وا رحمتاه لمظلوم ومضطهد
كم شجة أوضحته وهو معتدل
كما تعاقب طرّاق على وتد
يبيت مضطربا فى موطن قلق
كأنه زئبق فى كف مرتعد [1]

والشاعر الكبير الأستاذ محمد ناجى القشطينى أحد شعراء ثورة العشرين المبرزين ، والذين تعرفه المحافل الأدبية ، فهو فى الرعيل الاول من أدباء

(١) مجلة الاعتدال السنة الرابعة ، العدد الاول ص ٢١ ، الصادر في كانون الاول من عام ١٩٣٦ م .

العرب ، ومن أكابر شعرائنا المعاصرين ـ مد الله بعمره ـ ومن شعره منددا بالسفاح الطاغية جمال باشا . وذلك فى عام (١٩١٥ م) :

ويل لطاغية المغول من العذاب المنتظر
حاشا لأوطانى تضام وتستغيث من التتر
فى كل يوم نكبة وجريمة لا تغتفر
ومحاكم التفتيش فى بيروت تقذف بالشرر
ماذا يراد بنا وما ذا يبتغيه بنو الذور ؟
الله أكبر انه شيء يذوب له الحجر [١]

وله من قصيدة ألقاها فى حفلة أقيمت فى دار المعلمين الابتدائية فى عام ١٩٢٠ م . مستنهضاً بها النشء الطالع :

أيها النشء ادركوا أوطانكم
فهى حيرى بيد المغتصب
فإذا بالسلم لم ترجع لكم
فأعيدوها بحد القضب
واغسلوا العار بسيل من دم
فهو لم يغسل بماء السحب
آه قد شابت وذابت مهجتى
وبنفسى أمل لم يشب
آن لى بالنشء من مستقبل
أرب النفس ونفس الأرب
فبهم هذى الرزايا تنجلى
وتولى عن بلاد العرب [٢]

---

(١) عن كتاب « شعراء العروبة في القرن العشرين » — مخطوط .
(٢) المصدر السابق .

وقال راثياً أبطال العرب الذين أعدمهم الطاغية جمال باشا السفاح فى عام ١٩١٦ م :

أبيروت العزيزة ويك أنى
رأيت طلائع الخطر المبيد
نجمت بناهضيك وذاك خطب
أشاب وقوعه رأس الوليد
فهشّى للخطوب فرب أمرٍ
ذميم جاء بالأمر الحميد
وفى استهلاك بعض بنيك داع
الى استنهاضهم بعد الخمود
هى الفوضى نتيجتها نظام
فماشى سير دهرك واستفيدى
أرى الارهاق يدفع بالبرايا
الى ثوران مرجلها الهمود
وما هو ذنب قدر الماء تغلى
ولكن ذنب مذكية الوقود
تحاول أن ترق العرب قسراً
إذن فعلام تحرير الهنود
ويالك موقفاً روعت نفسى
فقلت لمقلتى بالدمع جودى
غداة تألب الأجناد حول (الم
فيد) فقام يرسف بالقيود
فيمشى والحديد بساعديه
وهم يمشون فى حلق الحديد

يؤمل عطف قلبهم عليه
وأين العطف من قلب الجنود؟
فلا عبد الغنيّ يرى سميعاً
الى الشكوى ولا عبد الحميد (١)

ومنها:

ولاح الأفق مربد الحواشي
يمثل صورة الخطب الشديد
كأن الشمس تمطل في التجلي
مخافة أن ترى نزع الشهيد
لنعم اليوم يوم يقوم فينا
رجال عقيدة تحيي وتودي
نسايرها الى ما ترتأيه
ولو أفضى المسير الى اللحود
أيبذل قومنا الأرواح حباً
بموطنهم ونبخل بالنقود
يبيحون الكبود لراشفيها
ونحن نضن حتى بالجلود
فقوموا من مقاعدكم فإني
رأيت الشعب ملّ من القعود (٢)

---

(١) عبد الغني العريسي صاحب جريدة « المفيد » ، وعبد الحميد الزهراوي (١٨٧١ م — ١٩١٦ م).

(٢) من ديوانه المخطوط « اللهفات » وقد خمسها الشاعر الاستقلالي المرحوم عبد الرحمن البناء (١٩٥٥م) ونشره مع الاصل في مجلة « لغة العرب » للأب انستاس ماري الكرملي (١٨٦٦ م — ١٩٤٧ م) في عام ١٩١٨ م .

والشاعر الكبير الأستاذ محمد الهاشمي ، الذى تعرفه النوادى الادبية فى الوطن العربي الكبير لا فى العراق فحسب ، فهو من فحولة شعراء العرب المعاصرين ، ومن أساطين الشعر فى العراق العربي ، ومعظم شعره منشور فى مختلف الصحف والمجلات العربية ، حيث قد نشر فى (الأهرام) و (المقتطف) و (المقطم) كما اشترك فى تحرير الاخيرتين . ومجلة (القبلة) التى أنشأت فى الحجاز إبان الثورة المسماة بالعربية . وذلك فى عام (١٣٣٤هـ) والتى ساهم فى تحريرها نخبة من صفوة أدباء العرب من أمثال : الشاعر النابغة المرحوم فؤاد الخطيب (١٨٨٠ م — ١٩٥٧ م) وأحمد شاكر الكرمى (شقيق الشاعر الفلسطيني المعروف : عبدالكريم الكرمى والمشهور بـ أبي سلمى) ومحب الدين الخطيب ، وحسين الصيان ، ومحمد الطيب الساسى ...[1]

كما نشر ديوانه فى عام ١٩٢١ م وطبع بدمشق واسمه « عبرات الغريب » ويقع فى (١٧٤) صفحة من القطع المتوسط[2] .. ومن شعره قصيدته (لغة العرب) وكان قد نشرها فى بغداد فى عام ١٩١٣ وقد سجنه الاتراك لمدة ثلاثة أشهر لافتخاره بلغة القرآن ، وتنديده بهم :

---

(١) راجع : التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، للاستاذ الكبير الأخ عبد الله عبد الجبار ، ص ١٥٦ ، منشورات الجامعة العربية لعام ١٩٥٩ م .
وراجع : من تاريخنا : للاديب الكبير الاستاذ الأخ محمد سعيد العامودي ، ص ١٠١ .

(٢) لأستاذنا الجليل السيد محمد الهاشمي آثار جليلة مطبوعة منها : « القضاء بين يديك » طبع في بغداد عام ١٩٥٧ م في (٥٦٠) صفحة من القطع الكبير ، ومسرحية شعرية اسمها « سميراميس بين الحقيقة والأسطورة » مطبوعة في مطبعة النجاح — بغداد في عام ١٩٥٩ م وجاءت في (١١٥) صفحة من القطع الكبير ، وديوان النعت طبع في بغداد عام ١٩٤٧ م ، كما نشر في القاهرة ديوان ابن الدمينة بالاشتراك مع السيد محي الدين رضا ، وذلك في عام ١٩١٩ م . وقد جاء في تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور العالم الفاضل عبد الحليم النجار ، الجزء الاول ص ٢٤٩ ، دار المعارف بمصر ما صورته : « ونشر ديوانه ـ يعني ابن الدمينة ـ عبد الله الهاشمي في القاهرة ١٩١٩م » . وهو خطأ والصحيح هو محمد الهاشمي البغدادي بالاشتراك مع محي الدين رضا . وقد منحه أخيراً المجمع العلمي العراقي مساعدة مالية لطبع ديوان شعره الكبير ، وسيدفع به قريباً الى المطبعة .

الجائرون بحكمهم أهلوكِ
ظلموك إذ خمدوا وما رحموك
كنت المليكة فى اللغات وإنما
كان الملوك على الأنام بنوكِ
ابكيك مما أنت فيه واننى
أبكى زمانهم كما ابكيك
بك أنزلت سور الكتاب فما لهم
جهلوا الكتاب وما لهم جهلوك ؟
كرهوك إذ نبذوك خلف ظهورهم
يا ليت شعرى فيم هم كرهوك
وكسوك كسوة عجمة فتغيرت
بك صورة التسكين والتحريك
لا تجزعى مما لقيت فإنما
أيام عبدالله قد تكفيك..
أذكرت أيام الرشيد أم انثنى
منك الفؤاد لعرشه المدكوك
لوى اوجهه الى العرب الألى
تركوك والترك الالى تركوك
جهلوك يا أم اللغات جميعهم
ما عذر أهلك حينما نبذوك
لو كان جرحك منهم لأسوته
لكن بنوك كجرحهم جرحوك
تركوك يا لغة النبى وآثروا
فى المسلمين سياسة التتريك

ظنوك قاصرة البيان ورجموا
في قومك العرب الظنون وفيك
ما بالهم أخذوا قلائد جمة
من بعض عسجد لفظك المسبوك
ظلموك فيما يحكمون وإنما
ظلموا كتاب الله إذ ظلموك
لغة البلاغة والفصاحة ما لهم
أنسوا البلاغة بعدما أنسوك

ومنها :

ونعتك مصر والشام وبعدها
أمسى العراق بدمعه يرثيك
بالله يا لغة السماء تجلدى
فلعل أهلك من أذى حاموك
نهضوا لادراك المكارم والعلى
لله ما نهضت اليه بنوك
نقضت لك الأيام عهداً موثقاً
فلعلهم بعهودهم موفوك
لم يغن عنك البدر عند طلوعه
كلا ولا الشمس التى تحكيك
كنت الشريفة والرجاء مساعد
لك فى الزمان بسوقه وملوك
ما من أعادينا تصاب بلادنا
لكن تصاب بجهلها والنوك

حتام يا شعب العراق أراك فى
لين الذليل وذلة المملوك
فى أمس فيك خلائف وعروشهم
كم فيك هذا اليوم من صعلوك
كم فيك من بؤس وفقر شامل
كم فيك من متمحك مهموك (١)

وله من قصيدة بعنوان (الى أبناء يعرب) :

دع التحاكم بالقرطاس والقلم
فليس غير السيوف البيض من حكم
يا ذائداً بأقاويل يبينها
ماذا يفيدك طول القول والكلم
أنا إذا حادثات الدهر قد طرقت
فلم نشمر ولم ننهض ولم نقم
لتنزل علينا كل جائحة
ينهد فيها الذى نبنيه من أطم
لم ننس يا دهر ما أودى بأندلس
لما تحاملت فى أيامك الدهم
نراك تفجعنا فى كل آونة
بهادمات عروش المجد فى القدم
يا أرض ميدى ومورى يا سماء ويا
جبال فرّى وغر يا طالع النجم
من مبلغ بث ذى حزن وذى ألم
الى بنى يعرب غيث الجود والكرم

(١) عبرات الغريب ، ص ١٣

ألا انهضوا يا اباة الضيم والتئموا
فليس يفلح شعب غـير ملتئم
تفاقم الخطب والأقوام راقـدة
ونامت القوم والأطماع لم تنم
لا يسمعون لمن يدعو لحـادثة
حتى كأنهم شاكون من صمم

ومنها :

أترتضون بما يستعبدونكم
حتى تكونوا لهم بالذل كالخدم
لتدركن الذى قد فات مطلبه
بالذبل السمر والمصقولة الخذم

وله من قصيدة اسمها « انذار وحماسة » وكان قـد نشرها فى بغداد فى عام ١٩١٢ م :

ما فى سوى البيض والخطية السمر
عز لذى العز أو فخر لمفتخر
ولا سواها إذا نابتك نائبـة
من ملجأ تحتمى فيه من الوزر
تجلى الهموم وتنفى الحزن إن سرقت
منها الصفائح فى بدو وفى حضر
إذا البقاع لغيث منه قد ظمئت
فإن فيهن ما يغنى عن المطر
هى الصفاء لمن شيبت معيشته
من الزمان بأنواع من الكدر

نفس الكريم اذا ما رابها وجع
شفاؤها بغرار الصارم الذكر
بمن يرفع أهل المجد مجدهم
فكم يخلدن فى الأيام من أثر
من الغرابة ان الذئب من سفه
أضحى يحاول بطش الضيغم الهصر
لقد تجسم أمراً لا يطيق له
عبأ ولو أنجدته الوحش بالحمر
ومنها :
يا نائماً وعيون الدهر ترقبه
كحل جفونك فى (ميل) من السهر
أمعن بمرآك ان الحال معسرة
والخبر يغنيك عما ثم من خبر
قد أنذروك بأمر ما هممت له
وقد تماريت بالأخبار والنذر
أصبحت حيران تخشى كل طارقة
تجول نفسك فى الأوهام والفكر
لقد أحاطت بنا الأعداء أجمعها
من كل ذى سطوة فى الحرب مقتدر
لغدوة فى سبيل الله خالصة
خير من العيش فى بؤس وفى ضرر (١)

وقال من قصيدة بعنوان « عبرة وذكرى » :

(١) عبرات الغريب ، ص ١٦٥

أطلبوا المجد وكونوا أمة
تأنف الظلم إذا ما نزلا
أخرجوا الأعداء من أوطانكم
وانشروا العلم بها والعملا
هذه أوطانكم أرواحكم
خصبت أرضاً وطابت منهلا
بيننا عتبي فإن لم تنصفوا
فسيأتى الخطب منها جللا
حرروه واتركوه وطناً
لبنيه فهو حق حولا
إن أبيتم فدماء سفكت
تجعل البأس علينا أملا
قبل أن يشهر سيف بيننا
يجعل المدبر منا مقبلا
قد مضى الوقت الذى كنتم به
ترهقون الناس ظلماً مثقلا
وحلا الموت فهل من طالب
يأخذ الثأر إذا الموت حلا
لهف نفسى لبلاد غصبت
من بنيها والشعب قتلا
ولشبان وشيب وردوا
من قذى ثم استطفوا السلسلا
أين أنتم انكم فى وطن
عظم الأعداء فيه منزلا

أيها الشعب أفق من رقدة
واملأ السهل معاً والجبلا
فحياة الذل موت واقع
فاطلب العز ومت مستبسلا
أنت بحر هادئ حتى إذا
هجت للظلم قلبت الدولا

ومنها :

أيها الشبان أنتم أمة
يبلغ الشعب بكم أوج العلى
أنتم الشعب وأنتم أهله
فإلى كم تألفون الوجلا
أين ما ترجونه من أمل
لبلاد ولشعب مبتلى
استفيقوا انكم فى غفلة
تجعل الأمر خفياً مشكلا
واسألوا أين المواعيد التى
هى كانت لشعوب شغلا
كذب والله خودعنا به
كان ضرباً من رياء فانجلا
هذه الأوطان تستنهضكم
فاذكروا الماضىَ والمستقبلا

ومنهم الشاعر العبقرى الحاج ابراهيم أدهم الزهاوى (ابن أخى الشاعر جميل صدقى الزهاوى) الذى تغنى بالعروبة وأمجادها عن عقيدة وايمان

راسخين ، قرابة ثلاثين عاماً ، وهو ممن لحقهم الجور والإرهاب فى العهد المندثر ، فطورد وعُذب ، وكُسر فكه الأسفل لتنديده بالبلاط ودُماه ، فأورثه الشلل فيه .. وكانت تلقبه الصحف والمجلات التى تنشر له منظوماته (بأمير شعراء الشباب) و (الشاعر الفحل الخنذيذ) .. وذلك فى عهد يعج العراق فيه بفطاحل الشعراء ، ويعدُّ من أزهى عهوده الأدبية فى العصر الحاضر ، ويكفى أن يكون فيه ، الرصافى ، والزهاوى .. ومن شعره ، من قصيدة اسمها (الى العرب) :

قعدنا ولكن عن طلاب المكارم
وسرنا ولكن فى طلاب المآثم
تمر علينا النائبات كأنها
طيوف كرى مرت على جفن نائم
فما توقظ العزمات فى مهجاتنا
على ما بها من موقظات العزائم
هم مزقوا الأوطان كل ممزق
فأمست بأهليها غنائم غانم
وهم حملوها ما تنوء بحمله
فها هى رزحى تحت عبء المظالم
وها هى تشكو ما تلاقى من العدى
الى كل وقاد القريحة حازم
إلى أنجم العرفان من آل يعرب
الى الذادة الأحرام أسد الملاحم
لعل رجالاً من بنيها أعزة
يجيرونها بالمرهفات الصوارم

فتضحى لها بعد التفسخ وحدة
تشاد على أشلائهم والجماجم
بنى العرب لا تلووا الرقاب على الاذى
وكونوا يداً تعلو رقاب الاعاجم
فكل دم أهريق فى حومة الوغى
كفيل بتشتيت الخطوب الغواشم
عهدناكم لا تخضعون لدولة
وان فاجأتكم بالجيوش الخضارم
فما لكم والسيل قد جاوز الزبى
قياماً على حكم الدخيل المزاحم
فويل أمهات أرضعتكم أهذه؟
حياة تجاريها نفوس الأعاظم؟
ظللتم على الفوضى فظلت بلادكم
تقاسمها الدولات أى تقاسم

ومنها:

اليكم بنى العرب الأباة اليكم
قصيدة محزون على الجور ناقم
يعز عليه أن يراكم أذلة
تعانون آلام الصروف الذمائم
دعوا زخرف الأقوال عنكم وقاوموا
فما يدرك الغايات من لم يقاوم
وشيدوا لكم من صادق العزم والنهى
مغانى مجد مؤبدات الدعائم

سبيلكم ألا تبالوا بأمة
تريد بكم شراً ولوذو بصارم

وكيدوا لها حتى تعاف دياركم
وان حكمت أسيافها فى الغلاصم

لخز ُطلى الأقوام أطهر سمعة
وأشرف من أن تستكين لغاشم[1]

وله من قصيدة بعنوان (الوحدة العربية) . .

أقصى زمان للولادة عام
فإلى متى بك تبخل الأعوام

يا وحـــدة عربية فى مهجتى
شوق الى استقبالها وغرام

أخشى الحمام فلا أفوز بنظرة
منها وذاك على الحمام حمام

لم تحجب الايام عنك وجوهنا
أرأت نظير وفائنا الايام

لو لم نكن عرباً يحاذرنا الخنا
لحمى ظهور خلالنا الاسلام

قد خادعتنا الحادثات بلينها
فطفى على سهد الجفون منام

ما تلكم العُصرُ التى مرت بنا
عصر الزمان وانما أحلام

---

(١) ديوان ابراهيم أدهم الزهاوي ، جمعه ومققه مؤلف الكتاب ـ مخطوط .

الآن صرحت الحوادث واستوت
في فهمهن فطاحل وعوام
وتبين العرب الأماجد أنهم
فانون حتى تفرد الأعلام
لحياة هذى العرب فى شد العرى
وحماتها أن يستمر فصام
تعنو المعالى للجميع قبيلهم
وظهورهن على الشتيت حرام

ومنها :

برزت الى الميدان أمة يعرب
فدعوا الطريق لها فليس تسام
ليست هى العشواء تخبط فى السرى
فيرى بمارنها الكريم .. خطام
برزت الى الميدان يحدوها الهوى
وتنير من طرقاتها الافهام
لا تعجبوا من أن تبرز واعجبوا
من أن يشق لها بذاك قتام
ما مثلها ان أبرقت أو أرعدت
من عارض يغريك وهو جهام
ذكر الجدود حوافز أبناءهم
أبداً الى ما شيدوا وأقاموا
وتلام أبناء الكرام إذا أرت
خوراً وليس على اللئام ملام

فتى ترى عينى العروبة سيفها
فوق السيوف وذكرها بسام
تجرى يداها فى أعنة أمرها
فى كل قطر مالها استسلام
ترمى بسهم واحد عن قوسها
فتطيش عنها للشعوب سهام
ان تضمر الحاجات أو تجهر بها
فقضاؤهن على الزمان لزام
يا أيها الذهب المصفى عرقه
وعروق أبناء الشعوب رغام
سر فى طريقك راشداً فلك العلا
خلقت فكيف تفوقك الأقوام
يكفيك فخراً ان جدك يعرب
خير الجدود ودينك الإسلام (١)

وقال منددا بالمعاهدة المبرمة بين العراق وبريطانيا والموقع عليها فى ٣٠ حزيران ١٩٣٠م ومحرضاً الشعب على الثورة واسترجاع حقوقه بقوة السلاح :

لنا مثلما للغاصبين سواعد
فما بالنا عن مجدنا لا نجالد
وأى حياة هذه فنلذها
لأيسر منها يشتهى الموت خالد
وانا لفى عصر تيقظ أهله
فأدرك معنى العيش حتى الخرائد

(١) من ديوان ابراهيم أدهم الزهاوي ـ مخطوط .

فلا تطمعن الغرب فينا فنونه
فما هى إلا رغبة وعوائد
لنا أصلها النامى وهل من عجيبة
إذا انتقلت منه الينا الزوائد
فنحن الالى لولا نتاج عقولنا
لما كانت الدنيا على ما نشاهد
لئن قابلونا بالأساءة والاذى
فما عرفت غير العضاض الأساود
جزى الله عنا الحادثات فإنها
تقارب ما بين الورى وتباعد
فيثبت ود بين شعبين خالص
ويمحق ود بين شعبين فاسد
فلا يرتجوا من بعد هذا ودادنا
لقد خابت الآمال والترك شاهد
خرجنا عليها وهى منا قريبة
إن اختلف الأصلان فالدين واحد
فهل وضعت اغلالها عن رقابنا
لتخلفها أغلالهم والمقاود
فأين ادعاءات لهم يدعونها
أتلك ثعابين وهذى قلائد

ومنها :

أتونا بها والغبن ملء بنودها
ولكن طرف القوم عنهن راقد

أرادوا لهم عذراً فأضحك قولهم :
قوى يداريه ضعيف يعاهد
وما ضرهم من أن يكون تعاهد
وما شأنهم أن لا يكون تعاقد
وهلا اكتفوا بالذود دون حقوقهم
ليظهر للناس الفريق المعاند
فلا يخدع الدنيا بأنصاف أهلها
فربتما راجت عليها المكايد
وكيف استقلت بالأمور ديارنا
وفيها لهم جند وفيها قواعد
توجه منها الطائرات وربما
الى أمة منا ونحن نعاضد
معاذاً أباة العرب ننضى سيوفنا
ونوردها والأقربون الموارد
لئن فرقوا ما بيننا باقتسامهم
فما افترقت غاياتنا والمقاصد
فغاية كل وحدة عربية
يدبرها حرٌ [1] من العرب راشد
فودع جهود الأجنبيين فإنها
مراض فما ترجو شفاها العوائد
حساب أناس فرطوا فى حقوقنا
وغداً وغد عما قريب لوارد [2]

(١) في الأصل بياض فوضعنا كلمة (حر) لاستقامة البيت .
(٢) من ديوان ابراهيم أدهم الزهاوي ـ مخطوط .

وفى عام (١٩٣٠ م) نفذ الاستعمار البريطانى حكم الإعدام فى ثلاثة من شباب العرب فى فلسطين بمناسبة وعد بلفور المشؤوم ، فهزت هذه الفعلة النكراء شاعرنا الثائر . . . وكيف لا تهزه وهو اللسان المترجم عن آمال وآلام العرب فى شتى ديارهم . . فقال من قصيدة بعنوان « ضحايا وعد بلفور لا تقل عن ضحايا جمال السفاح » :

ركبوها الى المعالى جيادا
لا وهاداً تطوى ولا انجادا
ركبوها فيا لهم من أباة
ليسوا والله ما لووا أجيادا
إن يروهم ميل الرقاب فبعض الـ
ـسير ينفى عن العيون السهادا
أو يروهم كدر الوجوه فهذى
ساعة عندها أتموا الجهادا
خرجوا ظافرين منه ولكن
تركوا فى مجاله الأجسادا
ما يشين البيض المواضى إذا ما
لم تصاحب فصولها الاغمادا
لا تخالوا الدما أميرت جباراً
ليس تشئوا ثاراتها الأحقادا
ليس تنشو جيلاً سيضحى اليه
كل صعب قياده منقادا
إنما يعرب ضراغم غاب
لا يذم الأنام منها جلادا

فانتظر بطشها إذا شامت الـ
فجر وألقت عن الجفون الرقادا

إن بكينا فإنما نحن نبكى
خير من هز فى الاكف الصعادا

أى عين لم تبك من فى سبيـ
ل الحق أودوا ويتموا الأولادا

فقدوا موطناً يعز عليهم
أن يروه يستعبد استعبادا

ومنها :

يا لقومى وللمظالم تترى
تارة جملة وأخرى فرادى

لا رعى الله معشراً فرقوهم
وأثاروا ما بينهم أحقادا

فسطا من لو استعانوا عليه
لأصاروه للقاء رمادا

اجمعوا أمركم فلستم بناجين
من الحيف ان تروا آحادا

كيف تحمى ممالك بصكوك
ما تساوى أثمانهن المدادا

يا فلسطين يا تراث الأوالى
كيف أصبحت للعلوج مهادا

خبرينا يوم النعوش تعالت
أتواروا أم شاهدوها تهادى

وهل اليوم مرّ كالأمس فيهم
بوقار أم أشبه الأعيادا
سكرة الموت ساعة ثم تمضى
فعلام العباد تخشى العبادا
وسواء على الفتى أسقاماً
لقى الحتف أم علا الأعوادا [1]

والشاعر الاستقلالى المرحوم عبد الرحمن البناء (١٩٥٥ م) له شعر كثير فى القومية العربية ، وله ديوانان مطبوعان فى بغداد الأول واسمه « ديوان البناء » ويقع فى (٢١٠) صفحات من القطع المتوسط عام ١٣٣١ هـ / مطبعة الرياض بغداد ، والثانى « ذكرى استقلال العراق » المطبوع فى عام ١٩٢٧م ، وفيهما شعر جيد فى المجالات العربية والوطنية . . والأستاذ الشاعر خضر الطائى ، وشعره منشور فى المجلات والصحف العراقية . . والأستاذ الكبير محمد بهجة الأثرى ، والشاعر المبدع خالد الشواف [2] الذى يمثل تيار الشعر القومى فى العراق العربى ، وله شاعرية متأججة عارمة ، تعتبر امتداداً أصيلاً لشاعرية أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى (١٨٨٨ م / ١٩٣٢ م) وهو شاعر قومى بأدق المعانى وأعنفها ، والشاعر المعروف الأستاذ عدنان الراوى [3] .

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن (الشعر الحديث فى ثورة ١٩٢٠ م) الذى استهلك ستاً وعشرين صفحة من صفحات الكتاب . . . فإن التعليق

---

(١) عن المصدر السابق .

(٢) له ديوان شعر سياسي اسمه « من لهيب الكفاح » وكله شعر قومي ، مطبوع في بغداد – مطبعة الرابطة – ١٩٥٨ م .

(٣) له دواوين شعر في القومية العربية منها « من العراق » مطابع دار الكشاف – بيروت – ١٩٤٩ م ، و « هذا الوطن » دار دجلة للطباعة والنشر – بغداد – ١٩٤٧ م .

عليه يطول ، ولا تسمح لنا هذه العجالة بالخوض فى وشله ، لذا آثرنا أن نمر عليه مر الكرام ولو أن المؤلف قد أسقط بعضاً من شعراء الثورة العراقية (١٩٢٠ م) حين عددهم . . . من أمثال : الشاعر المجاهد المرحوم عطاء الخطيب (١٨٨٥ م / ١٩٢٨ م) والسيد محمد سعيد الراوى ، وفى فصل (الفلاح فى الشعر العراقى الحديث) فقد تعامى المؤلف عن قصيدة بعنوان (أنين الفلاح) منشورة فى مجلة (المعرض) السنة الثانية ، العدد المزدوج ٩ ، ١٠ ، ص ٤٨٠ الصادر فى تموز ، آب من عام ١٩٢٧ ، ومنها :

تباً لأرباب الثراء المقترين عن ازدياد
وذوى البيوت وما بنوه وجمعوه من التلاد
جمعوه من كد الأرامل والفقير أبى زياد
وبنوا مآربهم على سلب الثراء من العباد
أثروا من الفلاح أو ممن يبيت بغير زاد
قد شاركوا الفلاح فى بقراته للإقتصاد
يبكى فيسق زرعه ويجوع فى يوم الحصاد

والقصيدة بتوقيع مستعار « ميمون قيس » وهو لفضيلة الأستاذ عبد الرزاق الهاشمى كما أخبرنى أخوه أستاذنا السيد محمد الهاشمى ، وقد ظن الدكتور الفاضل الأخ يوسف عز الدين (ميمون قيس) هو السيد خيرى الهنداوى فى كتابه القيم « الشعر العراقى الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، ص ٢٤٨ ، والصحيح هو ما ذكرنا[1] .

---

(١) للدكتور الأديب يوسف عز الدين دراستان في الشعر العراقي هما « الشعر العراقي أحداثه وخصائصه في القرن التاسع عشر » مطبعة الزهراء - بغداد - ١٩٥٨ م ، و « الشعر العراقي الحديث » مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٦٠ م . وهما دراستان جيدتان امتازتا بالروح العلمي الصحيح ، والتجرد من التعصب والحيدة في الحكم ، بالاضافة الى ذلك هما مرجعان مهمان من المراجع التي تفيد في دراسة الشعر العراقي من القرن التاسع عشر الى سنة ١٩٣٠ م .

ولنقف قليلا عند الفصل الذى سماه المؤلف (حرية الرأى من الشعر العراقى الحديث) . . وقد عرض - باقتضاب - كعادته لحرية الفكر فى الشعر العراقى الحديث منذ تأسيس الحكم الوطنى كما يسمى (١٩٢١ م) الى ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ م ، وموقف شعراء العراق منها . . فأورد نصوصاً لبعضهم وأغفل القسم الآخر - وبالأحرى - جهل ما قيل من الشعر فى حرية الفكر . . . فقد جهل قصيدة مشهورة للمرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزى المتوفى فى عام ١٩٥٨ م ، تطرق فيها الى موضوع الحرية والقوة وهى على غرار قصيدة الرصافى المشهورة (الحرية فى سياسة المستعمرين) :

يا قوم لا تتكلموا ... إن الكلام محرَّم
ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلا النوَّم
وتأخروا عن كل ما ... يقضى بأن تتقدموا
أما السياسة فاتركوا ... أبداً وإلا تندموا
إن السياسة سرُّها ... لو تعلمون مطلسم
والعدل لا تتوسموا ... والظلم لا تتجهموا
من شاء منكم أن يعيش اليومَ وهو مكرَّم
فليمس لا سمعٌ ولا ... بصرٌ لديه ولا فم
لا يستحق كرامة ... إلا الأصم الأبكم
إن قيل هذا شهدكم ... مرٌّ ، فقولوا : علقم
أو قيل ان بلادكم ... يا قوم سوف تُقسَّم
فتحمدوا ، وتشكروا ... وترنحوا ، وترنموا[1]

وقصيدة المرحوم عبد الحسين الحويزى من وزن وروى واحد ، وأظنه قد تعمد معارضة المرحوم الرصافى ، واسمها (الحرية تصف القوة) :

---

(١) ديوان الرصافي ، ص ٤٥٠ ، الطبعة الخامسة ١٩٥٦ م .

يا قوم إن تتكلموا بحقوقكم تتنعموا
فالبيض يأكلها الصدى في الغمد حين تكتم
وأرى السكوت يضيعها ان الحقوق لها فم
فعن الصغار تأخروا وإلى الفخار تقدموا
وعلى اللسان تحفظوا ومن البيان تعلموا
شتان من علم الأمور ذكى ومن لا يعلم
أبناء يعرب للعلى سيروا ولا تستسلموا
إن المفاخر بدؤها منكم وفيكم تختم
واذا المعالي فصلت عقداً ففيكم تنظم
فتطلبوا الفرص التى فيها يكون المغنم (١)

وعبد الحسين الحويزى من شعراء العراق المجيدين ، وممن أغفلهم المؤلف فيمن أغفله . . وللأستاذ الكبير محمد الهاشمي قصيدة بعنوان (أيتها الحرية) تعج بالصور الرفافة والمعاني السامية ، في عبارة متينة سلسة ، وأسلوب سهل ممتنع . .

اليك اتجه القلب وفيك تمكن الحب
فما غيرنى بعد ولا غيرنى قرب
وقد كنا شريكين كلانا عاشق صب
لماذا ضاع ميثاقك هل لى في الهوى ذنب
عرفت الحب ما فيه خداع لا ولا كذب
فؤادى شاهد فيك بما لا تشهد الكتب
شغلنا بك أياماً مرير شرابها عذب
سلى روحك عن روحي فبين كليهما جذب

---

(١) مجلة « الأقلام » لعلي الظريفي ، السنة الاولى ، العدد الثالث ١٩٢٨ م .

وهل تزعجك الذكرى اذا ما تلمع الشهب
طغى الوجد فى قلبي من آلامه ندب
لك الرأى وقد طال علينا العنف والغصب
أطلت وما بنا جلد جفاء سهله صعب
وأنت وكل ذا ظلم عليَّ مع الهوى ألب
على دمعى وأنفاسى حرار نبت العشب
هم حجبوك لكن ليس بين قلوبنا حجب
وقالوا فيك ما لم فيه للهوى رأب

ومنها :

غناء المجد نسمعه إذا أوحى لنا الرب
فقد صرنا بعيدين كأن سلامنا حرب
ولم يبق لنا سعيٌ سوى خطراتنا حسب
فإن حرمت أن أذكر أيامى وان أصبو
فبالرغم من السلوان أن يذكرك القلب
وبالرغم من الصبر فعندى فيكم خطب
لقد أسرفت فى حبك جداً أيها الشعب
ويا وطنى سقاك العدل لا الماء ولا السحب

ويختمها :

ويا حرية العرب تفانت دونك العرب
متى يجتمع الرأى متى يتفق السرب
أمدينا بنافحة فأنت لأنفس طب
إليك مضى من الأرواح ركب بعده ركب
ودونك تقطع الأعناق لا ربح ولا كسب
وكم مهتضم فيك كريم فعله ندب

وكم هانوك فانصاعوا على الأوجه وانكبوا
سلام لك فى الدنيا إذا ما مسك الكرب (١)

وللدكتور الشاعر عبد الرزاق محى الدين مقطعة جميلة ، عنوانها (الحرية) :

بك قد همت صبيا وتنشقتك طفلا
فعلى حبك أحيا وعلى حبك أبلى
أنت ليلاى إذا ما أنشد العاشق ليلى
بك قد آمن قلبي وإلى وجهك صلى
إن شعباً لم يسر يوماً على نورك ضلا
وزعيماً لم يفز منك بجند ما استقلا
تتساوى الناس فى شرعك أحساباً وفضلا
أطلعى للعلم شمساً وأقيمى العدل ظلا (٢)

ثم يطل علينا بعد ذلك فصل (المرأة فى الشعر العراقى الحديث) بوجهه الكالح ، وبخطوه (الحلزونى) .. وقد استغرق ثلاث عشرة صفحة من صحائف الكتاب . . وفيه قد عرض المؤلف للشعر العراقى الذى نادى فيه ناظموه بما يسمونه (حرية المرأة) . . ! فيقف فى أثناء هذا الفصل المقتضب (محامياً) ليدافع عن (زندقة) الشاعر جميل صدقى الزهاوى (١٨٦٣م - ١٩٣٦م) تحت ستار الدفاع عن حقوق المرأة كما يزعم المؤلف نفسه ! وإن بعضاً من شعر الزهاوى يصادف هوىً فى نفوس الملاحدة والعلمانيين والشعوبيين . . لذلك تراهم يكثرون من التمثل والاستشهاد به ، فالزهاوى ذو الأعصاب المشلولة ، والنفس المريضة ، والعقيدة الملحدة ، تراه ينظم فى كل موضوع

---

(١) مجلة « اليقين » الجزء المزدوج ٨ ، ٩ ، ١٠ ، السنة الثالثة ص ٣٨١ ، ١٣٤٤ هـ ، قصيدة « أيتها الحرية » بتوقيع « سهيل » وهو توقيع مستعار كان يستتر وراءه الاستاذ السيد محمد الهاشمي في نشر شعره الصارخ كما أخبرني هو نفسه . .
(٢) الى ولدي - جواد شبر ، ص ١٣٤ .

يستلذه الجمهور . . فهو مع الأميال والأهواء . . ومصداق كلامى هجاؤه للأتراك بعد أن تقلص ظلهم من العراق . .

ثم ينقلب مادحاً لهم ، باكياً على مجده فى أيامهم . . ثم يهجوهم ويمتدح الانكليز (الأمة العظمى) حيث قد وقف قسما من أدبه فى خدمتهم ، حتى لقبته (مس بل) بشاعر الانجليز ..!! (١)

ثم يورد المؤلف نصوصاً للشعراء / الرصافى ، الجواهرى ، صالح الجعفرى ، ومن هناك يعرج الى الشاعر الكبير الأستاذ حافظ جميل ليثبت له ثلاثة أبيات فقط ، من قصيدته المشهورة :

تبـــله النساء وذكرهنه شر الحديث حديثهنه . .

وكأنما حافظ جميل ما نظم شعراً سوى هذه الأبيات الثلاثة ، ليذكره المؤلف فى كتابه المسيخ . . حافظ جميل الذى يُعد من فحولة شعراء العرب فى العصر الحديث ، وامتداداً أصيلاً لشاعرية أبى نواس ، وابن الرومى ، وشوقى . . والقصيدة تمثل رأى الفريق الواقف من قضية (حقوق المرأة) موقفاً سلبياً . . وهى قصيدة عامرة بشتى الصور الرائعة ، والمعانى المبتكرة ، وقد أثارت ضجة كبرى فى الأوساط الادبية والاجتماعية ـ وبضمنها النسائية ـ فى حينها . . وهى طويلة تنيف على الخمسين بيتاً . . ومن بديع وصف الأستاذ حافظ لبنات حواء :

أشهى الحـديث لدى النسا ء حـديث خضر عهودهنه
والويـل كل الويل ان انـكرت حسن فتائهنه
يطوين أيـام الصبـا ويقفن عنـــد شبابهنه
ليس الزمان وان عتـا بمــزحزح أعمـارهنه
الـكل خــود كاعب لم أدر أين عجوزهنه

* * *

(١) انظر الزهاوي القلق للأخ الدكتور يوسف عز الدين ، مجلة المعلم الجديد ، م ٢٥ ج ١ ، ص ٢٦ ، ١٩٦٢ م .

خطب النساء وهل أشد فداحة من خطبهنه
دنياك أسوء ما تكو ن إذا علقت بحبلهنه
ما مرء نخاس العبيد بخانع كرقيقهنه
أبداً تكد وأنت لم تنهض ببعض حقوقهنه
لك جمّ أتعاب الحيا ة وطيب راحتها لهنه
ابعذرك الواهي تحا ول مطل ناجز وعدهنه
عبثا تروم ولو رهنت سواد عينك عندهنه
قل للذى خصّ الذكو ر بضعف ما قد خصهنه
لم نحظ حتى بالسوا ء فكيف نطلب ضعفهنه [1]

وهناك قصيدة مشهورة يحفظها الجيل المعاصر للمرحوم الحاج عبدالحسين الازرى ، عارض فيها قصيدة المرحوم معروف الرصافى (المرأة فى الشرق):

ألا ما لأهل الشرق فى بُرحاءِ يعيشون فى ذُل به وشقاء [2]

أغفلها المؤلف ـ جهلاً أو تعمدا ـ ولا نظنه يجهلها لانه « شاعر تعرفه الاندية الادبية . . وينظم الشعر ويجيد فهمه ويدرك مغازيه وسر الفن فيه »[3] . .

ونحن نأسف أسفا شديداً . . لأن المرحوم أرسطو طاليس لم يدرك الشاعر العبقرى ، النقادة ، الفهامة ، الدجيلى ، ليأخذ عنه « سر الفن فى الشعر » وأدراك مغازيه وحل أحاجيه . . ولبدّل كثيراً من آرائه فى كتابيه القيمين « فن الشعر » و « الخطابة » . والشعر فى نظر الاستاذ عبدالكريم الدجيلى ألغاز وأحاجى ..!

---

(١) ديوان « نبض الوجدان » لحافظ جميل ، ص ٥٥ ، مطبعة الرابطة ـ بغداد عام ١٩٥٧ م .

(٢) ديوان الرصافي ، ص ٣٤٤ ، « المرأة في الشرق » الطبعة الخامسة .

(٣) محاضرات في الشعر العراقي الحديث ، عبدالكريم الدجيلي ص ١٣١ ، ١٩٥٩م .

ورغبة منا فى إيقاف القارىء العربى على هذه القصيدة العصماء نثبتها كاملة هنا . .

أمنازل الخفرات بالزوراء / لا زعزعتك عواصف الأهواء
قرى فإنك للفتاة أريكة / ضربت سرادقها على النجباء
لا تحزنى مما رماك به الهوى / ظلما وظنك معقل الأسراء
أين الاسارة من عفاف طاهر / أين المعاقل من كناس ظباء
أكريمة الزوراء لا يذهب بك الـ / نهج المخالف بيئة الزوراء
أو يخدعنك شاعر بخياله ، / إن الخيال مطية الشعراء(١)
حصروا علاجك بالسفور وما دروا / إن الذى حصروه عين الداء
أولم يروا أن الفتاة بطبعها / كالماء لم يحفظ بغير إناء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها / مما يجيش بخاطر السفهاء
ومن الذى ينهى الفتى بشبابه / عن خدع كل خريدة حسناء
ليس الحجاب بمانع تهذيبها / فالعلم لم يرفع على الأزياء
أو لم يسغ تعليمهن بدون أن / يملأن بالأعطاف عين الرائى
ويجلن ما بين الرجال سوافراً / بتجاذب الأرداف والأثداء
فكأنما التهذيب ليس بممكن / إلا اذا برزت بدون غطاء
وكأنما الاصلاح عزّ بناؤه / ما لم يشيد مسرح بنساء
إن المسارح لا تدير شئونها / من كلفت برعاية الأبناء
مثل بها دور الفضيلة انها / تغنيك عن تمثيل دور إباء
وانظر الى شأن المحيط وأهله / كيلا تفوتك حكمة الحكماء
نص الكتاب على الحجاب ولم يبح / للمسلمين تبرج العذراء

---

(١) اشارة الى بيت الرصافي من قصيدته « المرأة في الشرق » :
وما أنا في وادي الخيال بهائم / وان كنت معدوداً من الشعراء

قل لى فماذا يصنع العلماء لو نزهتهم من سيرة الجهلاء
ماذا يريبك من حجاب ساتر جيد المهاة وطلعة الذلفاء
ماذا يريبك من إزار مانع وزر الفؤاد وضلة الأهواء
شيد مدارسهن وارفع مستوى أخلاقهن لصالح الأبناء
وافحص عن الاخلاق قبل حجابها أو ما سمعت بطائر العنقاء
هلا اختبرت الاقوياء خلاقهم لو كنت تأمن عفة الضعفاء
أسفينة البلد العزيز تبصرى بالقاع لا يغررك سطح الماء
وحديقة الثمر الجنى ترصدى عبث اللصوص بليلة ليلاء[1]

ولعل أعنف رد على الرصافى حينما نشر قصيدته (المرأة فى الشرق) هو رد الشاعر النابغة المرحوم الشيخ حمزة قفطان . فقد رد عليه بقصيدة عصماء من نفس الوزن والقافية . وهى عامرة بالأخيلة الجميلة ، والافكار السامية والمعانى النبيلة ، وقد حاججه حجاجا منطقيا متينا . . وعنوان قصيدته (العلم والحجاب) . .

ألا عادل حكما من الحكماء فيكسر عنا سورة الجهلاء
طغى بيننا تيارهم حين اهملوا فسال لجرف العلم والعلماء
أهابوا بنا يدعوننا نحو مورد نراهم بورد منه جد ظماء
رويدكم ما النصح منكم سجية فنصغى وهل فى النار جرعة ماء
قفوا نبؤونا ما أردتم فإننا واياكم فى الحكم غير سواء
حكمتم على الشرق احتساء دوائكم وأنتم على ذا الشرق أكبر داء
هو الداء داء الجهل كل يقوله ويطلب فى الافكار كل دواء
ولكن من المرضى ومن هو عارف بهم فينالوا منه خير شفاء
وماذا هو الجهل الذى تصفونه لأهليه حتى تبرموا بقضاء

---

(١) الأدب العصري ، الجزء الثاني ص ٥٥ ، المطبعة السلفية – القاهرة ١٩٢٣ م .

تبصر هديت الرشد إن كنت مبصراً
بعين وإلا ضاع كل ضياء

سمعناك تنعى اليوم للشرق أهله … وتدعو بنى الدنيا نعاء نعاء
نقمت على العادات فيه وانها … بزعمك كالأغلال للأسراء
نعم ان فى العادات بعضا يمجه … فم العقل فاسأل عنه ملعقلاء[1]

ومنها :

أيمنع أن تمشى الى العلم حرة … محجبة فى برقع ورداء
وهل سد مجرى الماء فى الغصن يرتوى به انه فى قرفة ولحاء
تروح وتغدو ما الحجاب بمانع … طلاب العلى عنها صباح مساء
تغربت لا تدرى لأية غاية … لنصح لأهل الشرق أو لوفاء
لو ان ابتذالاً أصل كل سعادة … وان حجابا أصل كل شقاء
لما فات بعض القوم علم وقد مشوا … بغير حجاب مشية الخيلاء

ويختتمها :

نعم نحن للأوطان ندعو جميعنا … نهضة مجد وارتقاء سناء
ولكن كلا يدعى ان رأيه … لورد قليب الفضل خير رشاء
الى أن دجا صبح الحقائق بيننا … وغابت شخوص الحق تحت ضراء
وأمست مراعاة الحقائق فى الورى … خيالاً ضئيلاً سابحاً بفضاء
فقد همت فى وادى الخيال مفكراً … لذا كنت معدوداً من الشعراء[2]

---

(١) ملعقلاء : من العقلاء ، أدغمت نون « من » في « اللام » على لغة بلحارث . وشاعرنا ينتمي الى المدرسة الشعرية الرصينة التي تعتمد التركيز والتعمق في ثقافتها اللغوية والأدبية ، وللشاعر ديوان شعر كبير مخطوط ـ حافل بالقصائد السياسية والاجتماعية والقومية ـ ومما يحز في النفس فقدان هذا الديوان العامر .

(٢) مجلة « اليقين » لمحمد الهاشمي ، ص ٣٩٣ ، الجزء الثالث عشر ، السنة الاولى • تشرين الثاني الصادر في عام ١٩٢٢ م .

وللأستاذ خضر الطائى قصيدة لطيفة بيَّن فى أثنائها رأيه فى حقوق المرأة ، ورمى الداعين الى ما يسمونه بـ (تحرير المرأة) بالتآمر والنزق والطيش الصبيانى تارة ، وأخرى بالإباحية المنكرة ..

يتآمرون على الناس لينفذوا — من طيشهن الى لذائذ تستفل
قالوا : لقد أسر الرجال نساءهم — فجنى عليهن الحجاب المسبل
صانوا الجمال عن العيون تعففاً — ماذا عليهم لو يباح ويبذل !
وألذ ما يصبي الطيور لروضها — فى كل غصن ناضر تتنقل
يأبون أن تسمو الفتاة عن الخنا — ويصان عرض أو يشرف منزل
يا ويحهم حسبوا لذاذات الهوى — هى كل ما ترجو النفوس وتأمل
أفنسقط الشرف الرفيع لأنه — عن لذة الدنيا يحول ويفصل
ويحى أأهدر يا فتاة كرامتى — وأعود فى الأفواه لحماً يؤكل
يا خير من صانته فى الدنيا يدى — عرضى بعرضك وافر لا يثلل
صونى جمالك عن قبيح دعاوة — جاءت بها فئة الضلال تحجل
أعقيلة الشرف المدل بخدرها — لا يسمعنك غيه المستبذل
لا تعبئى بكرامة هى كل ما — يزكو به الشرف الرفيع ويحفل
أم البنين لأنت مدرسة لهم — ربى بنيك على الفضيلة ينبلوا
يا ويح طائفة تخالك متعة — شهواتهم فيها تعيث وتوغل

ومنها هذه القطعة الرائعة التى يصور فيها (الكواعب) فى المجلس البرلمانى وهى لا تخلو من الظرافة المحببة ، كما سيرى القارىء :

ماذا يراد من انتخاب كواعب — (للمجلسين) سوى نوائب تعجل [1]
أيراد مجلس أمة ! أم مجلس — فيه العواطف باللذائذ تسفل
فإذا دعا للخير شيخ أشيب — قال الغوانى : إنه لمضلل

(١) يريد بالمجلسين : مجلس الأعيان ، ومجلس النواب اللذين كان يتكون منهما مجلس الأمة .

وإذا دعا للشر أمرد أهيف | هتفت أكف الغانيات تهلل
خُطب (النيابة) تستحيل تناجياً | بنقاشها يتغزل المتغزل
ليس الغوانى فى المجامع كلها | إلا حبالاً بالصبابة توصل
أومن ينشأ بالحلى مرفهاً | يرجى ليوم كريهة ويؤمل؟[1]
فدعوا السفاسف وانظروا فى حالة | من شرها لا يعرف المستقبل[2]

ثم ينتقل بنا المؤلف الى الأدب النسوى فى العراق الحديث ليعرف بشواعره المعروفات، مستشهداً بشىء من شعرهن ـ وقد حشر متشاعرتين ـ ظلماً ونفاقاً ـ ضمن فصله آنف الذكر.. وإحداهما ـ متشاعرة لا أود ذكر إسمها لتفاهتها ـ لم تكتمل لها بعد أداة الشعر، من: عروض، ونحو، ولغة، وصرف.. الخ. وقد قدمها المؤلف على شواعر مبدعات يفقن ـ حقاً ـ بنتاجهن الشعرى بعض الشعراء من الرجال، من أمثال: الشاعرة المبدعة: نازك الملائكة التى تشكل الوتر الثانى مع فدوى طوقان، فى قيثارة الشعر النسوى فى العصر الحديث. وفى طليعة شاعرات العراق..!

وإنى أستحلف القارئ الكريم بما يقدسه، أن يحكم على القطعة التى أثبتها المؤلف فى كتابه، ص ١٠٠ «تحية الثورة» لهذه المتشاعرة:

قم حيّها، حى الأشاوس ثاروا | قم حيّها تقودها الأحرار

الأبيات على أساس انها من بحر الكامل، متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن وإذا وضعنا هذا البيت فى (الميزان العروضى) لوجدنا الشطر الأول مستقيما، والعجز لا وزن له، غير مستقيم.. فهل يميل لهذا (القىء) ذوق شاعر..

(١) قال الشاعر الخالد عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

كتب القتل والقتال علينا | وعلى المحصنات جر الذيول

راجع ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح وتحقيق العلامة الجليل الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ـ القاهرة، ص ٤٩٠، رقم المقطوعة ٤١٢.

(٢) ديوان خضر الطائي ـ مخطوط ـ نسخة في مكتبتي الخاصة..

يجيد فهم الشعر ويدرك مغازيه وسر الفن . . . ونحن نطلب من المؤلف أن يبرز للقارئ ـ سر الفن فى هذا الشعر . .

والمتشاعرة الأخرى التى حشرها عبد الكريم الدجيلى بين (شواعر العراق) أتفه من (رفيقتها) وقد جعلها مسك الختام لفصل (المرأة فى الشعر العراقى) وأثبت لها فى ص ١٠١ أبيات تفوقها بكثير منظومات (أبى الفجل) التى ينادى بها لتنفيق بجله . . وقد أغفل شاعرة مبدعة من شواعر العراق المبرزات ، هى المرحومة أم نزار الملائكة ـ المتوفاة فى عام ١٩٥٣ م ، و (أم نازك الملائكة) . . ومن شعرها ، من قصيدة لها بعنوان « أيتها العروبة » :

رددى نغمة العلى والخلود ... فى ديار الإسراء أرض الجدود
رددى فى ذرى الفخار نشيداً ... ان لحن الفخار فخر النشيد
رددى للبقاء لحن الأمانى ... أنت أولى الشادين بالتغريد
جددى نغمة لقد طالما سر ... نا على وقعها لفتح جديد
وانثرى أجمل الزهور على تر ... ب فلسطين ساعة التوحيد
واذكرى إذ بنوك فيها تواصوا ... أن يضنوا بعزك المعهود
اقسموا لا ترى فلسطين ذلاً ... أو تكونُ الاشلاء ملء البيد
ايه يا راية العروبة ضحى ... شملنا تنقذيه من تبديد
قد سئمنا مهازلاً موحشات ... كم أقرت سهامها فى الوريد
ويئسنا وربما أعقب اليأ ... س رجاءً يزيل حر الكبود
هز يا شعر بالنداء شعوباً ... رضيت بارتداء ثوب الجمود
وانتعش يا حماس فينا دواما ... وأعد تالداً زها كالورود
من هم تلكم الجموع التى سا ... لت دماها وأنتم فى ركود ؟
وهم قلة دعتهم الى المجـ ... ـد دواعى الإيمان والتمجيد

عزمات تنيل أسنى الامانى وثبات يفل صلب الحديد
قلة فى الهدى تفوق لدى الحرب جيوشا تعج ملء النجود
فئة الحق شأنها السبق دوما وفئات الضلال فى تبديد

* * *

يا رسول الهدى أجر قدسك السامى وأنقذ مسراك من تهديد
آدنا الضيم فاغتدينا حيارى ورمانا الأسى بيأس كؤود
فلكم فى ديار مسراك بؤس وشهيد يروح إثر شهيد
واستحالت أرض السلام ميادين حروب بين الهدى واليهود
ايه أرض السلام فلابدَّ لصرح الفخار من تشييد
لن تكونى ضحيه الظلم إلا أن ترى العرب غيبت فى اللحود
اهدئى فالأسود حولك تشتد زئيراً ، ظمآنة للورود
إن غيظ النفوس يزداد يوماً بعد يوم ينبي بهول شديد
امنحينا يا روح أحمد عوناً واكلئينا بنصرك الموعود
أرسلى من شعاع نصرك برقا نيراً فى طريقنا للنجود
بشريات يلوح لمع سناها باتحاد العرب الأباة الصيد
أمل أفعم الفؤاد بقرب النصر يزهو بخافقات البنود(١)

والدكتورة رباب الكاظمى - كريمة شاعر العرب المرحوم عبد المحسن الكاظمى - ومقبولة الحلى ، وصبيحة المدرس .

ثم يخرج بنا المؤلف الى فصل « فلسطين فى الشعر العراقى الحديث » . فنرى كيف أضفى برود الثناء الفضفاضة على (نظامين) مغمورين ، لا حظ لهم من الإبداع والجودة والشهرة معا . . لقربهم من قلبه - الطيب - وأغفل

(١) مجلة « الآداب » اللبنانية ، السنة الاولى ، العدد التاسع ، الصادر في ايلول من عام ١٩٥٣ م ، ص ٢٤ .

شوامخ مبرزين أعلام فى تأريخ أدبنا العربى الحديث . . . لبعدهم من قلبه النابض بالحقد على الأمة العربية وتراثها . . ولعل له عذراً ونحن نلوم .. !!

وقد شحذت نكبة فلسطين قرائح الشعراء العرب فى شتى ديارهم وبقاعهم .. ومنهم شعراء العراق العربى ، فلسطين ذات التأريخ السياسى الحافل بالمآسى والآلام ، والمفعم بالفواجع والمصائب الدهم . . نكبة فلسطين الاصبع الذى يُشير الى أبشع جريمة نفذها الثالوث الإستعمارى ـ الانكلو الامريكى ، الفرنسى ، ومن خلفه (الكرملين) والصهيونية ، فى حق الامة العربية فى القرن العشرين .. ومن شعرائنا المبرزين الذين أثارتهم هذه النكبة المرة ، وهزت شعورهم المرهف ، فنظموا فيها أروع للشعر وأجوده ، الأستاذ المرحوم الحاج ابراهيم أدهم الزهاوى[1] الذى يقول من قصيدته المشهورة «لبوا فلسطين» محرضا على الثورة ضد الدخلاء ، فالنار هى التى تمحق الظلم والطغيان وليس الكلام . . وشاعرنا ابراهيم أدهم ذو شاعرية متأججة عارمة ، تجرى فى عروقه قدسية النار ، لا لعنتها كما يقال . .

حرض على الثورة الكبرى فما رجل ... من كان فى قلبه من خصمه وجل
أرى العراق ونجداً لا يهمهما ... ما فى فلسطين والانباء تتصل
جاء الصريخ فلم تزأر ليوثهما ... تحت العجاجة فى انيابها الاجل
ويا شام ويا مصر غياثكما ... من ينصر الله لا تقعد به السبل
وأنت يا كل من أدى الشهادة لا ... تفخر بها وبوجه المصطفى خجل
لبوا فلسطين لبوها فكلكم ... آت الى الله عن خذلانها يسل
وهل يعز عليكم ما تجود به ... فتحجموا (ولأم المحجم الهبل)

---

(١) انتقل الى جوار ربه هذا الشاعر العبقري الكبير في ظهر يوم الأربعاء الموافق ١٤ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢/٨/١٥ م . وقد ترجمناه في كتابنا المخطوط « شعراء العروبة في القرن العشرين » . ومن آثاره المطبوعة (ابطال اللانهاية) ١٩٤٧ م . مطبعة ـ السعادة بمصر ، (في الفلسفة) .

يا شرَّ مهزلة راحت تمثلها   سياسة ضج منها السهل والجبل
جاءت تصافحنا تمشى على قدم   أثيمة بدماء العرب تنتعل
مدت الينا يداً خطت أناملها   صكا لصهيون حتى استذأب الحمل
أهانت الحنفاء الغر إذ جلبت   لمقدس الله رجساً ليس تحتمل
عادت صليبية دمع المسيح بها   دأماء قد غرقت فى لجها الملل

ومنها مخاطبا اليهود ، شذاذ الآفاق :

أأنتم شعبه المختار ضلَّ إذن   من لم يقل ذلك التخليط والخطل
ألم يجد غيركم شعباً فينتخبه   حتى يعود وفى أحضانه جمل
بل أنتم لعنة فى الأرض ينظرها   من فى طريقته زيغ فيعتدل
أسمعت (لندن) لو ألقت مسامعها   لكن بآذانها من تيهها شغل
إن الأعاريب بعد اليوم لا لجم   تلم من رأسها الحامى ولا شكل
قد أقسموا ويمين الله لازمة   أن لا يناموا وفى استقلالهم دخل
أبناء من ملكوا الدنيا وما ملكت   لا يقنعون بما لا يقنع الخول
كم يصبرون على جور العدو ولو   أتى بوجه عدو لانجلت علل
سينصف السيف ممن رامهم خولاً   إن السيوف لتحرير الورى رسل
هى نزار وسيرى تحت ألوية   من تحتها جندل من فوقها وهل
ما تستحين من الأقوام جنيهم   ورد الربى وجناك الشوك والبصل

ومنها يخاطب العربى ويذكره بماضيه التالد ، ولا حاضر لأمة بدون ماضى ، فبشعاع الماضى تهتدى الأمة فى بناء مستقبلها :

فلفتة منك للماضى وروعته   تشب فيك حياة ما لها طفل
كيف استحالت الى عمياء حائرة   من كان فى مقلتيها يضرب المثل
ترى الحوادث فى أرحام أزمنها   وقبل يظهر فى أرحامها حبل
لا تغرب الشمس عن أقطار دولتها   ولا تطول على تيجانها زحل

لسنا ليعرب إن مست أيامننا يدأ بنيرانها اخواننا اشتعلوا

وللشاعر الفحل السيد محمد الهاشمى ، قصيدة بعنوان (ابتهال) يقول منها :

انقذيها يا قوة فى السماء قوة الأرض أسرفت فى القضاء
قوة الأرض خفضى من غرور تتحداك قوة فى السماء
فدعى الناس يعملون على ما وجدوا من سعادة وشقاء
هذه الأرض أرثنا من أبينا آدم أو من أمنا حواء
كل شعب له عليها مكان لجهادٍ وعيشة وثواء

ومنها :

أسكنينا بلادنا وأجعليها وطناً للآباء والأبناء
واسمعى الصوت فى جوانب بغداد معاداً صداه فى ايلياء
ليس عرس بل مأتم فى فلسطين وليس النداء صوت غناء
كانا آرمياً ولكننا نتلو رثاء العروبة العرباء
أنقذوها فإنها القبلة الأولى أهينت وقبلة الأنبياء
روع المسجد المقدس فارتاعت عليه مساجد الزوراء
نقصت سنة العروبة منها ان تسل الحسام عند الدعاء
وكذا يرفع الضعاف أكفاً باسطات الى عنان السماء[1]

وللشاعر العبقرى الكبير الأستاذ حافظ جميل شعر كثير فى قضية فلسطين ، منشور فى الصحف والمجلات العراقية والعربية . وقد تضمنه ديوانه المطبوع فى عام ١٩٥٧ م « نبض الوجدان » الذى يزخر بالشعر العالى الجيد ، وفيه قلائد وأعلاق تفرض وقوفها الى جانب قلائد المتنبى ، وأبى تمام الطائى ، والبحترى ، وشوقى من شعراء العرب الخالدين ، كما يضم نفائس تشرف اللغة العربية بوقوفها الى جنب روائع شكسبير ، ولامرتين ،

---

(١) « شعراء العروبة في القرن العشرين » ـ مخطوط .

وهيجو ، ومن شعره فى قضية فلسطين قصيدته الرائعة (صرخة الشريد) :

أشكوى ما رفعتَ أم احتجاجا   وحدُّ السيف خيرهما علاجا
تحلم قبلك المطبوع جهلا   فزاد جهالة الباغى لجاجا
وهل ترك التحلم منك أخذى   وأكثر منك للشر احتياجا
كفى باللين فى معوج طبع   يظل يزيده اللين اعوجاجا
حدبت على اللئيم طويل دهر   فلم تصقل حواشيه السماجا
وهل يتأثم الشرير طبعاً   وهل تتبدل الأفعى مزاجا
يظلُّ الصاب حيث غرست صابا   وكيف سقيت عذبا أم أجاجا
أبى الذمىُّ بعد اليوم كبتا   لنزعته وقد دارى وداجا
مضى يبنى لعنصره كيانا   وكنتَ ظننته انصهر اندماجا
وكان كهامد الموتى سكونا   فماذا جدَّ فاستشرى وهاجا
جرى لم يثنه فى البغى عرف   ولا سألته ذمتـه انعراجا
أكبٌّ يريك أى لئيم غدر   تتيه له ضحاياك ابتهاجا

ثم يستمر شاعرنا المبدع حافظ جميل على هذا النسق الرائع ، وهذه المعانى السامية ، وهذا الإسلوب الساحر الأخاذ ، ذو الديباجة العربية المتينة التى تذكرنا بديباجة المتنبي وشوقى . . الى أن يقول :

كتبنا الصك يا (صهيون) مأوى   ولم نكتبه كرسيا وتاجا
وكان النقض يا (صهيون) لحماً   تخذ أضعافه َعلقا مجاجا
دفعنا بالمزيد جديد دَين   ستبقى الدهر ُتطفؤه َخراجا
وهل كالثأر نحسبه ادكاراً   ونجعله لمن يأتى سراجا
بلوتَ طرائق الإجرام شتى   فلم تعبأ بأفظعها انتهاجا
ورب جريمة لم تجن منها   سوى شبح يطاردك انزعاجا

ومنها :

خبأت لملجئيك جحيم غدر   تنزّق منه أحلمهم وماجا

وزجج من عزيمته سنانا يحطم فيه مملكة زجاجا
بأيمان يدك الشمس دكا ويترك فى النجوم لها عجاجا
حلفتُ بمُنزِل الكلمات عشراً وبالطهر الكليم غداة ناجى
لتختمنّ دهرك فى شقاء ولن نلقى لغمتك انفراجا(١)

وله قصيدة رائعة أخرى فى نكبة فلسطين بعنوان (الجميل الضائع) يقول منها :

آويت أفعى وازدهاك رجاء أرأيت كيف أثابت الرقطاء
آويت موتوراً أسوت جراحه زمنا فلم يُكتب له استشفاء
آويت أرقم لا الجميل بمطفىء حرّى سخيمته ولا الإيواء
أوكلما لاذت بعطفك شرّة مرت عليها كفك السمحاء
نهض الذليل على يديك فما استوى حتى أطار فؤاده الخيلاء
أنحى يجازيك الجميل بمثله فإذا به المسنونة السمراء
والمرء جوهره جبلة نفسه لا الضرّ يمسخه ولا النعماء
فالأم تبتعث الشكاة بعالم لم يبق فيه لأعزل إصغاء
أهضيم حق ما تناضل دونه أم ذمة عصفت بها الأهواء
الحق كان ولم يزل صمصامة بيد القوىّ يخافها الضعفاء
النار والفولاذ من أسمائه والقتل والتدمير والإفناء

ومنها :

صبراً (فلسطين) العزيزة انها غمّاء تزلف خلفها سرّاء
زعم الذين تقاسموك ذبيحة أن ليس ينفع ميتا أحياء
هل عاق (ابراهيم) روحُ مقطّع أن يُستردّ وتجمعَ الأجزاء
ما للطغاة تضرمت أحقادهم وتملكتهم نزوة رعناء

---

(١) نبض الوجدان ، ص ٨٠ ، مطبعة الرابطة ـ بغداد ١٩٥٧ م .

رفعوا عقيرتهم وملء عيونهم شرٌ وملء قلوبهم بغضاء
ودعا بهم داعي الخنا فتجاوبوا اليوم لا روح ولا اسراء
خير لمن دهم المدجج نائما أن لا يكون سلاحه الضوضاء
واضيعة الإحسان أية خسة جازاك عن شكر بها اللؤماء

ثم يختمها بهذه الصرخة :

والشر أخبثه كمين مودة لا الزيُ يفضحه ولا السيماء
ما خطب هذا القوم ان تأخذ به يأخذك منه الشر والإيذاء
نامت مكائدهم فأيقظ شرُها حلمٌ وراء بلوغه بلواء
فلينسخوا حكم القضاء تشبثا برجائهم إن كان ثم رجاء
وليركبوا متن السماء تطاولاً وليصعدوا بغرورهم ما شاؤا
لابد من يوم لنصرك عاجل تأتيك عاطرة بها الأنباء
يوم يخرُ به الشقيُ مجدلاً أو تفتديه الراية البيضاء
يوم تميد له الرؤوس كرامة وتنام ملء جفونها الشهداء

وللأستاذ الكبير محمد بهجة الأثرى شعر كثير فى قضية فلسطين ، وهو من شعرائنا المجيدين ومن أوائل من غنى على وتر القضية الفلسطينية ، وشعره منشور فى أمهات الصحف والمجلات العربية الذائعة الإنتشار ، كالرسالة لأديب العربية الأول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، والاعتصام الحلبية ، والزهراء القاهرية ، ومجلة (العالم الإسلامى) البغدادية التى كان يرأس تحريرها .. ومنه قصيدته التى أنشدها فى حفلة افتتاح المؤتمر الإسلامى العام ، ليلة الإسراء ، ٢٧ رجب من عام ١٣٥٠ هـ ، فى المسجد الاقصى ـ القدس ، ونشرها فى (العالم الاسلامى)[١] .

---

(١) العدد الخاص بفلسطين ، ص ٣٢٨ ، العدد الخامس والسادس ، السنة الاولى ، عام ١٩٣٩ م .

لمن الوفود تفيض فيض الوادى ملء الحمى منها وغص النادى ؟
القت بثالثة العواصم[1] رحلها لجهاد عادية ورم فساد
نسلت اليها عند أول دعوة مثل السيوف تسل من أغماد
من كل فج فوق كل طمرة[2] تدنى بلحظ شاسع الابعاد
لبيك بيت الله انا معشر يقظ الغرار مجرد لجلاد
خذنا بكفك ثم جربنا تجد أين السيوف بأى يوم جهاد
إن الذى أعلى سماءك اشحذت يده شبانا لايد الحداد
خسئت صهاينة تريدك عنوة والحارسوك مضعضعو الانجاد
طاشت عقول الطامعين فإنه لا شيء دونك غير ضرب الهادى
لا تبغوها يا لئام ذميمة شنعاء تكشف عن عوار البادى

وعلى هذا النسق الجميل ، وهذا الأسلوب الفخم العالى ، وهذه الثورة العارمة ، يستمر شاعرنا الأثرى الى أن يقول :

وطنى بلاد الضاد حيث هضابه نطق وان ادعى الفتى البغدادى
آه على حرية مسلوبة عزت اعادتها على المرتاد
ما بال من أنف الهوان نريغها[3] فيردها ويفت فى الأعضاد
يشجى بها شرقاً ويجهل إنه مأخوذ أى غواية وكياد

والقصيدة جاءت فى سبعين بيتاً وكلها على هذا النسق الرائع ، وهذا النفس المتدفق تدفق الأتى العارم ، بهذا الاسلوب الذى يجعل المرء يحرق الارم على الطغيان وأهله ، ويفجر فى النفوس الثورة ، ويشيع فى القلوب الأمل بالنصر . . وقال من قصيدة عصماء تنيف على المئة بيت :

---

(١) بيت المقدس .

(٢) طمرة : الفرس الوثابة ، واستعيرت هنا للسيارة .

(٣) نريغها : (الحرية) : أي نريدها ونطلبها .

يا ليلُ ، هل لبياض الصبح إيماء   سُمرت أم ذهبت بالصبح عنقاءُ ؟
طال اشتياقى الى الاضواء ألمحها   وأين من بصرى للصبح أضواء

ومنها :

اصخ الى الوطن المرزوء اهله   فثم منه مناحات وأصداء
هنا دم للشباب الحر مضطرم   على الثرى ، وهنا دمع ولأواء

ثم يعود متسائلاً هل الصهاينة أهلوها وسادتها ، والعربيون فيها اليوم طُرّاء (طارئون) ومنها ينثني الى بنى أيوب :

ذكرت صنع بنى أيوب ملء فمى   وهزنى من صلاح الدين أنباء
فتح من الله فى حطين سجله   بالفخر آباؤنا الصيد الأجلاء
إن لم تعد صبحه الابناء مبتسماً   فى تل أبيب ، فما الأبناء أبناء
غدُ العروبة إن لم تعل رايتها   مضيع ، وغد الإسلام إفناء

ثم يخاطب رسول الحق ، النبى العربى الأكرم :

اشرق على الارض يا خير الورى قمراً
كأمس لما ازدهى رضوى وسيناء

وابعث سراياك بالحق الذى امتلأت   بنوره منك خضراء وغبراء
الى فلسطين حيث الملك منتهب   والمجد مهتضم ، والاهل أنضاء
حتى اذا شارفت سيناء من كثب   أو طالعتها من البلقاء سحناء
أمرتها بأذان الفتح فانبعثت   كأنها عاصف عاتٍ وأنواء
تنهار تحت مواطيها العدا بدداً   كما تناثر بوغاء وحصباء
لا ينجلى الليل عن افاقها أبداً   حتى تلوح عليها منك أضواء[1]

وله قصيدة مشهورة تناقلتها فى حينها أمهات المجلات والصحف العربية متوجة بها جباهها ، ومنها مجلة (الزهراء) القاهرية ، والاعتصام الحلبية ،

---

(١) ديوان محمد بهجة الأثري ، الجزء الثاني ، مخطوط .

وكان قد نظمها فى عام ١٣٤٨ هـ ، واسمها (فلسطين) وهى عامرة بشتى المعانى السامية ، والصور الرائعة الرفافة :

خطب ألمّ فعمّ حتى اطبقا ... دوّى له نبأ فهز المشرقا
ملأ النفوس أسى ولولا صبرها ... فى النائبات لأوشكت أن تزهقا
ما كان أثقل وقعه من حادث ... لولا تواتر أمره ما صُدّقا
أترى اليهود تروغاً فى دارنا ... هذا لعمرك منتهى حد الشقا
شذاذ آفاق ترامـوا نحونا ... كالسيل طم على القرى وغرّقا
ومضوا وسكسون تعزز شأنهم ... وسكوتنا ترك المجال وأطلقا
يبنون فى أرض العروبة موطناً ... للمجد ان المجد صعب المرتقى
حتى إذا بلغوا المراد نزت بهم ... فى الرأس نزوة غاشم أو أخرقا
أنا لا ألوم الواغلين ، وإنما ... لومى لمن ترك الحذار وأطرقا
ماذا عليهم أن يكونوا سادة ... يبنون من شرر علينا خندقا
نمنا كأصحاب الرقيم ولم نفق ... ولقد أفاقوا ثم كانوا السُّبقا

ومنها :

لسنا ليعرب ان قعدنا حيثما ... نرضى الصغار لنا ونرضى الموبقا
فلنحملن على البغاة بغارة ... شعواء تفتح بالسيوف المغلقا
لا يعلق الحق الصريح سوى الشبا ... فلنعملن شبا السيوف لنعلقا
عارٌ على العربى يُضحى سوقة ... طوع القيادة وكان قبلاً يُتقى[1]

وله من قصيدة أخرى :

اصبرى فى الحادث المستفحل ... إنما العزة أن تستقلى
واسألى (نيرون) يذكى ناره ... فى سواد اليأس نور الأمل
وانهدى ، ما قارع الحق هوى ... باطلاً يوماً ولم ينخذل
لا تراعى من كمى بطل ... قوة الحق سلاح الأعزل

---

(١) ديوان محمد بهجة الأثري ، الجزء الأول ، مخطوط .

ومنها :

أيه (جونبول) وما شئت نخذ فيه من مكر عويص الحيل
قد كشفنا كل كيد محتف وحللنا كل عقد معضل
الصهايين ؟ فمن هم فى الملا أو ليسوا خولاً من خول ؟
إنما أنت الذى ينصرهم يا عدواً جاء فى زى ولى
لن يكونوا الدهر من اكفائنا أبداً فى هين أو جلل[1]

والشاعر خضر الطائى ، الذى يعج شعره بالتغنى بأمجاد العروبة ، وقضية فلسطين لها حصة الأسد فيه ، وقلما تخلو نكبة فلسطين من ذكر فى قصائده التى نظمها من عام ١٩٤٧ م الى يومنا هذا .. ففى كل قصيدة تراه يندب هذا المجد الذى أوشك أن يضيع ، الأندلس الثانية ، الفردوس المفقود ، مستحثا العرب ، الى الثورة الكبرى لتحريرها ، وله من قصيدة بعنوان (يوم فلسطين الأغر) ..

وغانية رف الجمال بسحره عليها وطاف الطهر حول سناها
اذا انتسبت كانت (فلسطين) دارها وكان أبو العرب الآباء أباها
ولم تدر ما هول الخطوب ولم تكن لتبصر منها ما يروع صفاها
فبينا ترى فى امنها فإذا بها وقد عقد الروع المفاجئ فاها
رأت أذئبا تعدو على حين غرة وتلقى جحيما لا تطاق لظاها
ففرت من الذعر الشديد فأبصرت على الارض قتلى خضبت بدماها
وقد شاهدت فوق الرمال معفراً أباها ، وبين الدارعين أخاها
فنادت بأعلى صوتها : من لحرة يغار عليها أن تنال أذاها
وهل من (صلاح الدين) فيكم اذا رأى (فلسطين) تدعوه أجاب دعاها

---

(١) المصدر السابق .

أتدرون ان الغادر العهد باعها ... وان أذل العالمين شراها
أتدرون ان الغيد فيها تعرضت ... الى شر أخلاق الشعوب سفاها
جرت خلفها أعداؤها يا حماتها ... يريدون رشفا من رحيق لماها
حماة (الحمى) مالى أراكم تركتمو ... (فلسطينكم) تدعو حماة حماها
أخي قم وسل السيف واحم طريدة ... اتتك وحاشا أن يخيب رجاها
أبي أين أزمعت الرحيل ألا ترى ... فتاتك أضحت عرضة لعداها ؟
سقاك الردى سيف من البغي صارم ... ألا ليته لما سقاك سقاها

ومنها :

(فلسطين) مهلا ان لله بطشة ... لها فى الأمانى ما يجيش وراها
وما الله عما يصنعون بغافل ... ولا قوة قامت وطال مداها
فلابد من يوم أغر محجل ... يعيد الى تلك الرؤوس نهاها
وما هى إلا غضبة عربية ... يردد فى الآفاق رجع صداها
هنالك لا عزم يحدُّ أتيها ... ولا أمل يرجى لصد قواها
وتمتلىء الأرجاء منها بعيلم ... يموج بأشبال الوغى وإباها
تعود (بحطينية) (عمرية) ... تعيد الى الأخلاق نور هداها
وتستذكر الأيام منها كتائباً ... بنت فوق أشلاء الطغاة علاها(١)

وله قصيدة بعنوان (بعد هدنة فلسطين) يقول فيها :

جنحنا على رغم الكرامة للسلم ... ركوناً الى ذل الإهانة بالرغم
فهل ندعيها منة وتحلماً ... فنضحك أهل العقل من ذلك الحلم
وما الحلم أن نغشى الهوان ونتقى ... بما يصم النفس الأبية أو يصمى
جرنا الى خسف يجر وراءه ... سلاسل من شر تجر الى الغرم
فيا ليتنا لم نطرح الحزم جانبا ... إذاً لانتزعنا النصر من قبضة الحزم

---

(١) ديوان خضر الطائي ـ مخطوط ـ نسخة في مكتبتي الخاصة .

وما (مجلس الأمن) العتيد بعادل — وقد ضم فى أحشائه معشر الظلم
وما الحكم إلا للصوارم والقنا — اذا كانت الدولات جائرة الحكم

ومنها :

صفحنا عن العادين حيناً وهل لنا
سبيل سوى الشكوى الى مسمع الصم ؟

رأوا حملة لابد أن تدرك المنى — وتحمى من أوطان يعرب ما تحمى
فدسوا إلينا ثعلبا متنمراً — تردى رداء الراغبين عن الجرم
(وسيط) يرى عدوانهم متوقعا — ولابد من فى التهادن للخصم
فإن نحن قابلنا العداء بمثله — فذلك خرق للسلام الذى يرمى
فيا للنهى للحكم تنكره النهى — وهل بعد هذا الظلم فى الحكم من ظلم(١)

وللشاعر العبقرى الأستاذ خالد الشواف شعر كثير جيد فى نكبة فلسطين ، منه ، يقول من قصيدة بعنوان (الوليد المسخ) :

لصوص الأرض ، ما عقر الصباحا — قرار مدّ دون الشمس راحا
لئن أجمعتمو والليل داج — فكيف عقدتمو والليل راحا ؟
لقد أعشى النضار لكم عيونا — فلم تر فى الضحى الحق الصراحا
ذئاب الليل .. ما باركتموها — مغلفة أبت إلا افتضاحا
لقد حملت ، كما لقحت ، بغياً — وقد وضعت ، كما حملت ، سفاحا
فكان وليدها (التقسيم) مسخاً — وكان الكافلون له وقاحا
سنبعثها مخضبة تلظى — لتكبح من خيالهم الجماحا
فيصبح مهده الموعود لحداً — ويصبح روضة المومق ساحا
رعاة الشر .. كيف أسمتموهم — ربى الوطن المقدس والبطاحا
أمنتم بطشة الآساد لما — رأيتم من خرافكم النطاحا

---

(١) ديوان خضر الطائي ـ مخطوط ـ نسخة في مكتبتي الخاصة .

فقلتم دونكم وارعوا .. فهلا   متى كانت مآسدنا مراحا ؟
سكتنا عنهم أنفاً فقالوا   لقد ألقت لنا العرب السلاحا
ولسنا فى خصومتنا سواء   يرون خديعة ونرى كفاحا
وقد يدع الزئير الليث كبراً   إذا ما الكلب لم يدع النباحا

ومنها :

ألا بلغ عبيد العجل عنا   بأن لنا حمىً لن يستباحا
سنبطش بطش فدائيين فيه   وننزع من دمائهم البراحا
وإنا بائعو الأرواح بيعا   ، وإن سيمت بذرتهم ، سماحا
وإنا الناهدون الى المعالى   ، وإن عبست لنا الدنيا ، صباحا
وإن حياتنا فى القدس تأبى   فما تطفى لشذاذ لواحا
لخوض الغيل للاسد الضوارى   وليس لغيرها ورداً مباحا[1]

وله قصيدة أخرى بعنوان (الوتر والثأر) وكان قد نظمها بعد قرار التقسيم عام ١٩٤٧ م :

بشرى فى تربك الغالى الجدودا   زمجر الغاب لباءً وأسودا
هذه الأحقاد فى أعراقنا   أفعمتها شرة الغرب وقودا
فتلظت حمماً وانفجرت   صاعقات ، لا بروقا ورعودا
ظمئت حينا .. فلما سُقيت   أكؤس الذل أبت أن تستزيدا
ودعت ساقى الوغى هاتفة   بجر الكرم وريداً فوريدا
الكؤوس الحمر .. ما أعذبها   كلما أذكت يد الضيم الحقودا
قبلة المجد .. غداً يعرفنا   حرم البيت ركوعا وسجودا
كعبة المجد .. غداً تعرفنا   أرضك الطهر نجيداً فنجيدا
كلما صال عليها بطل   هتفت : إن صلاحا قد أعيدا

(١) من لهيب الكفاح ، ص ٨ ، مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٨ م .

شرفا يا موطن المجد . . غداً نزحم الأفق رجالا وحديدا
قد بعثناها كما شئت لظى ستحيل الحدث المشؤوم عيدا

ومنها :

يا لها مهزلة إيماننا بضمير ما رأى بعد الوجودا
مثلتها هيئة البغى فما أحكم التلقين فانثال شديدا
أسدل الستر عليها عندما طعنوا فى قلبه الحق الشهيدا
يالجنبول الذى أخرجها وانتحى عن مسرح الظلم بعيدا
ياله من خاتل مستلئم نسى الوعد ولم ينس الوعيدا
العهود الكثر لن نطلبها خاب من يطلب من نذل عهودا
الظباء البيض ان روّيتها خير من ينجز للحر الوعودا
أيها المنسل من غمرتها سوف تطويك وشيكا أو وئيدا
ما نسيناك وقد أضرمتها وطرحت البلد القدس وقودا
أحكم القيد فصكته يد زعموها حررت أمس العبيدا
والمناحات على الحق انطوت فانشروا فى الارض للباطل عبيدا
أيها الباكون فى ندوتهم للذى طوّف فى الارض شريدا
سوف نؤويه ونؤويكم فلا تتوانوا . نحن أعددنا اللحودا
اللظى ، الدم ، والوتر الذى قد حملنا تجعل النحس سعودا [1]

ونظم الشاعر المعروف المرحوم عبدالقادر رشيد الناصرى (١٩٢٠ م — ١٩٦٢ م) بمجموعة شعرية لطيفة فى نكبة فلسطين أسماها (صوت فلسطين) وجاءت فى اثنتين وسبعين صفحة من القطع الصغير وطبعها فى بغداد مطبعة الجامعة ١٩٤٨ م انتظمت قصائد ومقطعات فى الشعر السياسى الجيد ، وان كان شعر الناصرى السياسى لا يرتفع الى مستوى شعره

(١) من لهيب الكفاح ، ص ١١ ، مطبعة الرابطة ـ بغداد ١٩٥٨ م .

الغنائي[1] ، فلا يمكن الإستغناء عن هذه المجموعة - التي تمثل شعره السياسي خير تمثيل - بأية حال من الأحوال .. فالناصري من شعراء العراق المجيدين ، وممن ملأت شهرتهم الآفاق العربية وقد امتاز شعره بغنائية يفتقر اليها الشعر العراقي المعاصر . . وهو ذو أسلوب مشرق ساحر ، ولفظة موسيقية عذبة ، وديباجة عربية سليمة ، ومعانٍ سامية ، وعاطفة جياشة ، فبموت هذا الشاعر[2] الغرّيد طويت صفحة مشرقة من صفحات الأدب الرفيع في العالم العربي وليس في العراق وحده . . ومن شعره في فلسطين :

خذي حقك المسلوب بالنار والدما وصبي على هام الطغاة جهنما
ولا تستكيني للمواعيد انها ستار خداع خلفه الذل والعمى
فإن مات (بلفور) ففي كل أمة نشاهد أدهى منه بأساً وأعظما
ولا تحسبي (بلفور) أجرم وحده غدا كل غربي (كبلفور) مجرما
وثوري بوجه الظلم ثورة حانق تصير معمور الحياة مهدما
فما ينفع التهريج في زمن به غدا الظلم فيه أمراً متحكما
اذا المدفع الهدام خاطب أمة فليس لغير (الذر) أن يتكلما
ومن لم يحطم ظالميه ببطشه وطاب له ذل القيود تحطما
ولا عز للأحرار إلا بثورة تهب فلا تبقى دخيلاً منعما

(1) أنظر قضايا الشعر المعاصر ص ٢٠٤ للمرحوم الدكتور أحمد زكي أبي شادي (١٨٩٢ م — ١٩٥٥ م) مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٩ م .

(2) كانت حياة هذا الشاعر العظيم مأساة مفجعة دامية الأدوار . . ألفها القدر وقام هو نفسه بتمثيل أدوارها فابتدأت بمأساة وأنتهت بمأساة . . وتوفي في اليوم الثاني من عيد الأضحى المصادف ١٩٦٢/٥/١٥ م متسمماً اثر سكرة شديدة . . في المستشفى الجمهوري ببغداد ، ودفن في يوم الخميس الموافق ١٩٦٢/٥/٢٣ م في مقبرة الغرباء . (مقبرة باب المعظم) . . وقد شيعه الى مثواه الأخير خمسة أشخاص فقط من معارفه . . فتأمل . . . ! ! أية مأساة تماثل مأساة شاعرنا الناصري . . ! ! ومن آثاره المطبوعة : ديوان (ألحان الألم) ويقع في (٥٦) صفحة من القطع الصغير في بغداد - مطبعة الاهالي ١٩٣٩ م . وديوان (صوت فلسطين) ١٩٤٨ م . . فقط . .

فمن يعشق العليا ويبغى مناهلها يسيّر لها الجيش اللهام عرمرما
سلي كتب التاريخ عن كل أمة بنت فى سماء العز صرحا معظما
تجبك بأن المجد قامت أصوله على جثث الأحرار حتى تقوما
وليس ينال المجد بالسلم طالب ولكن ببذل الروح أو سفكه الدما
أيا أمة ضجت بأحرارها فدى على مذبح العلياء لا تطبق الفما
وضجي ، ونادي بالثبور ، واطلقي على كل غربي سعيراً مضرما
كفى ما أصاب القدس من كف جائر سقاها مع الماذى صابا وعلقما
أحال بلاد العرب من أرض بابل الى حلب الشهباء نهبا مقسما
أيا درة الإسلام فى تاج يعرب عليك سلام الله يا درة الحمى
سنحميك بالأرواح عن كل ظالم يهون عليه أن تموتي ليسلما
وعيشي برغم القاسطين طليقة ولا ترتقي إلا الى العز سلما(١)

فشعر الناصري السياسي يطفح بالثورة والعاطفة المتأججة .. وتراه ـ عزيزي القارىء ـ فيه يدعو دائما الى الثورة ضد الطغاة ـ وتحقيق الإستقلال بقوة السلاح والنار فهو ممن يؤمنون بمبدأ القوة فى الحياة ..

بالضحايا وبالدم المسفوك تستقل الشعوب لا بالصكوك
فاعلن الحرب لا تهابي الصهايين وسوقي الى الجهاد بنيك
نحن أبناء خالد هل نسينا بأسنا يوم وقعة اليرموك
سنعيد التاريخ جذلان يروى فخر أمجادنا بثغر ضحوك(٢)

فالمرحوم الناصري ممن يؤمنون بالعروبة مبدأ وعقيدة ، ومن الداعين اليها ، فهو شاعر قومي ـ بالرغم من الدم الكردي المتدفق فى عروقه . هاك نفثة أخرى من نفثاته الحرار فى فلسطين ..

واها (فلسطين) لا ندب ولا بطل يحمي حماك كأن القوم ما نسلوا

---

(١) صوت فلسطين ص ١٣ مطبعة الجامعة ـ بغداد ١٩٤٨ م .
(٢) صوت فلسطين ، ص ١٨ « بالضحايا لا بالصكوك » ، مطبعة الجامعة بغداد .

أين الغزاة الألى دان الزمان لهم   وراح يصدح فى ذكراهم المثل
من كل أروع لا يرضى بمنزلة   تكون دون التى ترضى بها زحل
لو كان بين كماة الفتح (معتصم)   ما داس قدسك من شذاذهم رجل
من لى بضارب أعناق الملوك لكى   يرى اليهود بأرض القدس ما فعلوا
فينثنى يملأ الدنيا بقتلهمو   لعل اصلابهم تمحى اذا قتلوا
لا يغسل العار إلا بالدماء فإن   سالت تطهرت الأمصار والدول
نار البطولات زند الفتح اضرمها   لم يبق منها لنا ومض ولا شعل
قد اطفأ الخوف فى الاعراق جذوتها
وقد خبت نارها عاثت بنا السفل
أهكذا فنت منا عزائمنا   انا إذاً أمة أحرى بها الأجل
فالجرح والقيد والآلام مسكننا   والخزى ملبسنا والعار والخجل
ما زال يلهب سوط الذل جلدتنا   كأنما نحن ما بين الورى همل
فليعلمن المجد والتأريخ سيرتنا   فإن تأريخنا من فعلنا خجل
لقد اضعنا من الخذلان اندلسا   فهل نضيع فلسطينا ونتخذل
تلفت المجد يدعونا لنصرته   ما بال دعوته فى السمع لا تصل[1]

* * *

والمرحوم (الناصرى) ممن أغفلهم الأستاذ عبدالكريم الدجيلى فى (محاضراته) . الناصرى الشاعر الغنائى الفذ ، وأحد شعراء العربية فى العصر الحديث . والذى قلما تجود بمثله الأزمان . وله أيضا فى فلسطين :

دعى قتلاك صرعى فى الوهاد   ولا ترضى بتقسيم البلاد
فإن الموت أطيب من حياة   تقضى بالصغار وبالحداد

---

(١) صوت فلسطين ، ص ٦٧ « يا فلسطين » .

وسوقى للجهاد كماة حرب   أبوا أن يرضخوا للاضطهاد (1)
أباة ما استطابوا حكم باغ   رما ألفوا مهادنة المعادى
شباب من بنى قحطان صيد   بهم تزدان أروقة النوادى
أعاريب اذا ما الحرب شبت   ونادتهم يلبون المنادى
هم الأحرار كم وردوا المنايا   وهل يرد المنية غير صادى
فلسطين الأبيــة أى جرح   نداويه وهن على ازدياد
وهل تلتام فى جسد جروح   بغير السيف أو كرّ الجياد
سبيل تحرر الأقـوام وعرٌ   يسار له على شوك القتـــاد
فهبي للنضـال ولا تهـــابى   من الباغين والكرب الشداد
وضحّى بالشـباب وبالصبايا   وبالغالى الى نيـل المراد
وإن لم تحم جانبك الضحايا   فمن يحميك من كيد الأعادى ؟
فـكونى فى الـكفاح يداً وسيفاً   اذا افترقت لدى الجلى الأيادى (2)

وللشاعر الشيخ على الصغير قصيدة يبكى فيها (فلسطين) ويستحث العرب على الثورة . لتداركها من الضياع والسلب ، مذكراً إياهم سلب الأندلس الفردوس المفقود . . التى سلبها الأسبانيون فى عام (١٤٩٢ م) . .

طف فى بلاد العرب واهتف بالعرب
وقل طغى الخطب وما تجدى الخطب
بالأمس منكم سُلبت أندلس   واليوم يجرى فى فلسطين السلب
غاب (بنو الأحمر) عن غرناطة   وقد خلت من (آل حمدان) حلب
فكونوا الوحدة يا دعاتها   متينة العرى قـوية السبب

---

(٢) أن يرضخوا : أراد بها الشاعر : أن يخضعوا ، وهو خطأ ، لأن الرضخ هو الكسر ، يقال رضخ النواة : كسرها . ولو استعمل : أن يخضعوا لوفى بالقصد المروم .

(٢) صوت فلسطين ، ص ٢٣ ، « الجهاد الخالد » مطبعة الجامعة — بغداد ١٩٤٨ م ، لعبد القادر رشيد الناصري .

شعارها من مشرق الشمس الى مغربها رغم العدى (يحيا العرب)
لعلنا نستطيع أن نوصلها ببعضها بعضاً بسلك من ذهب

وللشاعر نعمان ماهر فى نكبة فلسطين قصيدة بعنوان (يا فلسطين) يقول فيها :

اشهرى السيف ففى السيف سلام يوم لا يجدى ذوى الحق كلام
واحرصى أن لا تنالى راحة وسلاما قبل أن يرضى الحسام
يا فلسطين وكم أرخصتها أنفساً أكرمها الموت الزؤام
هذه الجلى وهذا يومها قادها الغدر كما شاء اللئام
فارتضيها جهمة عابسة إذ بها يجلو فناء أو مقام
سجلى كيد الذين استعذبوا باطل الكيد جهاداً لا يضام
سجلى الحق وصايا بدم فوصايا غدرهم ذل وذام
واصرخى صرختك الكبرى فقد آن أن يجلو سما القدس القتام
آن أن يستنفر الوعى وأن يغصب الحقد وأن يحلوا الحمام
يا فلسطين أريتها كما رغب الجور فللعدل ذمام
لأراك المسف إلا دوحة نبتها الزاكى دماء وعظام

ومنها :

يا حليف الأمس مهلاً لا تخل أمة الضاد على الحيف تنام
لحديث الثورة الحمراء ما زال يمليه علينا الاعتصام
ودماء الأمس ما زال لها أرج يعبق منه الانتقام
وقبور القوم فى البيد صوى لطريق المجد ما ساد الظلام
والبطولات التى تعهدها فى ربوع العرب ما انفكت ترام [1]

---

(١) جريدة « لواء الاستقلال » العدد ١٨٩ ، السنة الثانية ، الصادر في يوم الاثنين ٢٢ ايلول ١٩٤٧ م .

وله من قصيدة أخرى بعنوان (صفعة الخسر) .. يقول :

كاذبَ العزم والوغى والسلاح ... قد حشدنا، وإذلة الافتضاحِ
ما صدقناك وعدنا إذ مشينا ... وكتمنا عنك انخذال الصفاحِ
وعقدنا لك اللواء ولكن ... ما عقدنا عزائم النفاحِ

ومنها :

وتوالت على العروبة تترى ... زمر البغى والشقا المجتاح
يا فلسطين ، يا سجلَّ الضحايا ... والضِراب المستقتل المسماح
لا تهونى عزماً ، وإن طال رزء ... كل ليل مصيره لصباح
أوسعى النازلات صبراً ، وصونى ... آهة الخسر ، وابسمى للجراح
قد يطول السرى ، ويستكلب البغىُ ، ويشجيك منه طاغى النباح
كل هذا ، وفوق هذا ، ستلقين من الحيف والظلام المتاح
فليكن قلبك الكبير كبيراً ... رب اتى تأتى العلى بـ(صلاح)[1]

وللمرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزى (١٨٦٥م/١٩٥٨م) فى نكبة فلسطين شعر كثير . يقول من قصيدة له :

أبت عزاً ظبا البيض الذكور ... تذل حمية الشهم الغيور
وكيف العرب وهى حمى البرايا ... تناظرها علوج بنى النضير
وتملك أهلها وتقيم منها ... بأعلى دارة وأعز دور
وعنها العرب تقصر بالمبانى ... سمواً وهى سامية القصور

ومنها :

بنى العرب الكرام الى المعالى ... سراع الخطو جدوا بالمسير
وشبوا فى الوغى ناراً توارت ... بها الأعدا رماداً بالسعير

---

(١) ديوان « المعازف » ، نعمان ماهر الكنعاني ، المطبعة الخيرية ـ بغداد ١٩٥٠ م
وله من الآثار الشعرية المطبوعة : ديوان « في يقظة الوجدان » مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد ١٩٤٣ م .

أتنتجع اليهود مراح عيش روافل بالدمقس وبالحرير
فلا تبقوا لجمع القوم ذكراً يردد بالغيـاب وبالحضور
فيا أبناء يعرب كم صرفتم مقادير الصروف من العصور
اذا غارت جياد العرب قالت صواهلها لأرض الخصم غورى
وتفتح بيضهم باب المنـايا وقد طبعت على سد الثغور
تشق بكم بمرهفة المواضى غداة الروع أجداث القبور

ومنها :

أفرسان الملاحم من تردت دروع الحتف محكمة القتير
دعوا الأجسام من جيش الأعادى مطاعم للوحوش وللطيور
وحربكمو اتركوها كل يوم يشابه وقعه يوم الهرير
ومن أين اليهود لكم أعدت ممـاثلة بسالفة الدهور
أرجع صهيل مقربة المذاكى يقابلها النهيق من الحمير
لقد خدعت نفوسهم الأمانى فأبدت خفق أجنحة الغرور (١)

وللشاعر المبدع المرحوم عبد الحسين الملا أحمد (١٩٠٠ م/١٩٥٨ م) شعر جيد كثير فى هذه النكبة المرة . فمن قصيدة له يقول فيها :

دعوا الفخر بالماضى بنى العرب واندبوا
مصير فتى فى القدس قد ساء حاضره
فعادت عليه من بنى الشر عصبة تضايقه فى داره وتحاصره
أتحتل أولى القبلتين شراذم تجسّم فيها الخبث وهى عناصره
فأين (صلاح الدين) عنها وليته يعود لتروى من دماها خناجره
حنانيك يا حامى الحقيقة لو ترى لساءك وضع لا تروق مصائره

---

(١) جريدة لواء الاستقلال ، العدد ٢٥٨ ، السنة الثانية ، الخميس ١٨ كانون الاول ١٩٤٧ م .

تجد أمماً من يعرب ساء حالها وإن حسنت للناظرين مظاهره
يشق عليها جيبه الحر من أسىً ومن عجب أن لا تشق مرائره
تعيث بها الأطماع من كل مارق تباع بأسواق النفاق ضمائره
فشر بنى صهيون باقٍ بأرضنا إذا لم يُقطع بالمهند دابره
وهل يستقر السلم فى ظل موطن إذا ما التقى الموتور فيه وواتره
فلسطين صبراً لا يروعك باطل أرى الحق لم يغلب وإن قل ناصره
فلا تيأسى إن طال للظلم ليله فعما قليل عنك تجلى دياجره
ولا حكم بعد اليوم فينا لغالب طبعن على نكث العهود سرائره
فلم نرض إلا بالجلاء عن الحمى وعار علينا إن بقينا نسايره (١)

وقد حسب المؤلف انه أدى الأمانة الأدبية الملقاة فى (عنقه) بإثباته نصوصاً للمدعو بـ (شاعر الشعب) ـ ظلماً وبهتانا ـ ، وشعر هذا الرجل يفيض بالركة ويطفح (بالنثرية) فهو نظم مفكك الأجزاء ميت لا روح فيه ولا رواء ، ولا يمت الى الشعر بصلة اللهم إلا بصلة الوزن والقافية ، وكلما أجيل الطرف فيه يحضرنى القىء ، فسرعان ما التى به مترحما على الشعر الذى (صُلب) على خشبة (اتحاد الأدباء العتيد) . . ! وإلا أى شعر هذا :

فلسطين لك المجد وللمجــــد فلسطين
من الشرق الى الغرب تحييدك المــــلايين

* * *

فلسطين تجرعتِ من التعذيب ألوانا
وناضلت عن استقلا لك المغصوب أزمانا
وعانى المسجد الأقصى من الأرجاس ما عانا
فسفر القوم فيه اتخذ العدوان عنوانا

---

(١) جريدة لواء الاستقلال ١٢ أيلول ١٩٤٧ م .

فبربكم أيها الناس هل هذا النظم الركيك يستحق أن يرفع الى مرتبة الشعر وكيف يتفق ومنزلة (شاعر شعب) إذن . . !! (شاعر الشعب) الذى يقول فى مدح (المجرم عبد الإله) . . وعنوان القصيدة (تحية الى سمو الوصى المعظم) التى نظمها أثناء المظاهرات الصاخبة فى كانون الثانى ١٩٤٨ م :

أحيك باسم الشعب والشعب عارف
إنى ما حييت حياً من الناس
ولكنك استوليت نفسى بموقف
من النبل أجرى فى فمى وحى أنفاسى
فشجبك للعهد (السحيق) أبان لى
وللشعب نور الخير من خير نبراس
فعشت وعاش الشعب حراً معوذاً
بأبنائه الأحرار من كل وسواس (١)

ولنأت الآن على فصل (الشعر العراقى الحديث فى الانتخابات البرلمانية) وفصل (الزيت فى الشعر العراقى الحديث) وفصل (الشعر العراقى الحديث من ١٩٤٥ م — ١٩٥٨ م) وليس لنا تعليق على هذه الفصول لضيق المجال . . غير أن المؤلف قد أسقط إسم الشاعرين بلند الحيدرى والأستاذ شاذل طاقة ، الذى يعد فى طليعة شعراء شباب العرب ، ومن شعراء العربية المجيدين ، وان له شعراً يأتى فى الغرر والعيون ، وله سابقة محمودة فى مختلف الأغراض والألوان . . كما يقول عنه الدكتور الشاعر عبد الرزاق محى الدين (٢) . .

---

(١) جريدة الاخبار ٢٩ /١/ ١٩٤٨ م وثبة كانون الثاني . وجاء في أعلاها ما نصه : « لشاعر الشعب . . . وقد نظمها أثناء المظاهرات الصاخبة التي جرت أمس . وهي من وحي بيان سمو الوصي وولي العهد المعظم » اهـ .

(٢) راجع : « مجلة التضامن الملفاة » العدد الثالث الصادر في كانون الاول من عام ١٩٦٠ م ، ص ٤١ .

وله ديوان شعر مطبوع فى بغداد عام ١٩٥٠ م إسمه (المساء الأخير) . . من قائمة الشعراء الذين ينظمون على طريقة الشعر الحر . . وأعجب ما جاء فى هذا الكتاب قول المؤلف : « والأستاذ البياتى ـ يعنى عبد الوهاب البياتى ـ يعتبر أحسن شاعر وأبرز أديب فى مجال الشعر الحر . . »[١] وليت شعرى بم استدل المؤلف فى حكمه العريض المفرط هذا على جعله البياتى (شاعر الرايات الحمر)[٢] . . رائداً للشعر العراقى الحديث . . . فغفرانك اللهم ـ غفرانك من هذه الاحكام البهلوانية ـ وسلام على الشعر والأدب فى دار السلام ، إذا كان رائده هذا المخلوق !!..

ومن يتحرَّ الحقيقة يجد ان أحسن شاعر وأبرز أديب فى مجال الشعر الحر هو الشاعر العبقرى الأستاذ بدر شاكر السياب فى الوطن العربى الكبير وليس فى العراق وحده . . وهو ـ بحق ـ رائد الشعر العراقى المعاصر بلا منازع . .

كما أقحم الشعراء الدكتور الأديب يوسف عز الدين[٣] ، وعبد العزيز القديفى[٤] ، وسالم علوان الجلبى ، والشاعر اليهودى الانكد ابراهيم يعقوب عوبديا[٥] ، والساكن حالاً فى (تل أبيب) فى قائمة الشعراء الذين

(١) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ، ص ١٣٣ .

(٢) يقول عبد الوهاب البياتي في كتابه « عشرون قصيدة من برلين » المطبوع عام ١٩٥٩ م ، ص ٢٠ : « . . أموت من أجلك ، تحت الراية الحمراء ، يا مدينة الأحلام » . قصيدة ـ برلين في الفجر ـ فتأمل هذه الوطنية التي يحملها دعاة السلم والديمقراطية . .

(٣) للدكتور يوسف عز الدين ثلاثة دواوين شعرية مطبوعة ، الاول « في ضمير الزمن » دار الطباعة والنشر ـ الاسكندرية ١٩٥٠ م ، و « ألحـــان » دار الطباعة الحديثة ـ الاسكندرية ١٩٥٣ م ، و « لهات الحياة » بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٠ م .

(٤ و ٥) راجع : « مأساة حزين » لعبد العزيز القديفي ، مطبوع ، و « زهرة في خريف » بغداد ١٩٥٠ م ، و « في سكون الليل » القاهرة ١٩٤٧ م ، و « خفقات قلب ووابل وطل » (مجموع واحد) القاهرة ١٩٤٩ م ، ثم أعيد طبع « خفقات قلب » على حدة في بغداد لابراهيم عوبديا .

ينظمون على طريقة الشعر الحر ، والدكتور يوسف من ألد أعداء الشعر الحر .. ولا يؤمن به .. لأنه « فى أكثره تافهاً لا يقدر على تصوير المعانى الدقيقة والخواطر والافكار الهامة وسيموت الضعيف منه إذا لم تقو جذوره ويستمد العون من الثقافة العميقة والإطلاع الواسع على اللغة العربية »[1] . أما الشاعران الآخران عبد العزيز وابراهيم عوبديا فلم يكونا من دعاته ولا ممن ينظمانه ..

وقد ختم المؤلف (محاضراته) بفصلين ، أولهما (الشعر العراقى الحديث مع الانتفاضات الشعبية) الذى أغفل الشوامخ من شعراء العراق ممن نظموا فى هذه (الانتفاضات) ..

١ - حركة ٢ مايس ١٩٤١م :

فللمرحوم شاعر العرب معروف الرصافى (١٨٧٥م/١٩٤٥م) قصائد مشهورة فى ثورة ٢ مايس ١٩٤١م التى استهدفت الاطاحة بالحكم الاسود ودماه ، فى العهد الهاشمى المندثر .. فمن قصيدته المشهورة (وثبة العراق الوطنية) التى القيت من دار الإذاعة اللاسلكية فى حينها .. وهى من شعره الذى لم يحتضنه ديوانه المطبوع ..

اليوم قرّى يا مواطن أعينا   وتطربى بالحمد منك الألسنا
فلقد وفاك الجيش حقك سابغاً   إذ قام فيك على البلاد مهيمناً

ومنها :

إنا لمن قوم أبت أحسابهم   إلا ذرى العز المؤثل مسكنا
غرسوا الفخار على مسيل دمائهم   وتفيئوا الشرف الشهىّ المجتنى
وفوا المواطن حقها وتسنموا   أعلى المفاخر بالصوارم والقنا
قد أخلصوا لله حب بلادهم   فتسربلوا أبهى البرود من الثنا

---

(١) المكتبة ، قائمة شهرية تصدرها مكتبة المثنى ، العدد ٨ شباط ١٩٦١م ، ص ١٢

كفروا بأنعمها وهم أبناؤها فلذاك باؤوا بالفضيحة فى الدنا
نشأوا بها مثل العقارب دأبها نفث السموم فمن هناك ومن هنا
وإذا شممت بناشقيك طباعهم أعطتك طينتهم شميماً منتنا
وغدوا لهم عوناً علينا ظاهراً يتحينون لنا الشقاق تحينا
تركوا مواطنهم تنوه بعبئهم وتقولوا بالمين عنها والخنا
فليرجفوا بعد النزوح فما هم إلا الذباب قد استطار مطنطنا

وللأستاذ الكبير محمد بهجة الأثرى ، شعر كثير فى هذه الانتفاضة . وهو ممن سجن وفصل من وظيفته بعد فشلها . . فقد سجن ثلاث سنوات مع القوميين الاحرار قضاها فى معتقلى (العمارة) و (الفاو) . وفصل من وظيفته لمدة سبع سنوات . ومن شعره قصيدة بعنوان (تحية الوطن الثائر) :

غمزوا إباءك فاضطرمت إباءا وحشدت جوك والثرى والماءا
راموك بالذل المقيم كأنهم حسبوك عبداً قد شروه فداءا
يا ويحهم . غُلبوا على أعصابهم فتحرشوا بك سكرة وغباءا
نزل القضاء عليهم بمسلط أخنى على أعصابهم ما شاءا
أخذ السبيل على النزيل وراعهم بالمشرقين إبادة وفناءا
فى كل مطلع وكل ثنية نكصوا على أعقابهم جبناءا
الله يقضى فى الممالك أمره ويديل منها الظالمين جزاءا

ومنها :

شيعت يا وطنى العظيم جنازة صنعوا بأيديهم لها الحدباءا
أنا لا أقول (الى الجحيم) فما اهتدت
إلا إليها مسلكاً وثواءا
لله درك : أى حر أنبتت منك المنابت فاكتسبت ثناءا
خذ من نصيبك فى الخلود فإنما صحب الخلود العزة القعساءا

يا ساعة التحرير : غرسك قد أتى إن البشائر لحن والبشراء
سقياً ليومك فى الزمان فإنه عن ليلة القدر الرجيّة ضاء(١)

والقصيدة تنيف على الخمسين بيتاً وكلها على هذا النسق البديع الرائق .. وهذا الإسلوب الخلاب ذو الديباجة العباسية المتينة .. فى أطار عاطفى فضفاض .. ومعنى سام جميل ..

وللشاعر المرحوم ابراهيم أدهم الزهاوى قصيدة القيت من دار الاذاعة اللاسلكية فى هذه الانتفاضة الميمونة ..

ولى الدجى متعثراً بذيوله مستيئساً من جمعه لفلوله
متحيراً مترددداً لم يدر من بلد يمد له يمين قبوله
إن الجناح المستظل بظله لعب المقص بعرضه وبطوله
لم يبق منه غير دارس رسمه وتناوح النكبات بين طلوله
يا معشر السفهاء بعض حيائكم أنزلتم الإسلام عن تنزيله
ما كنتم العالين عن تحكيمه لكن علمتم حكمه بدخيله
القاتل الأحرار من أبنائه برواحه ومجيئه ومقيله
ما إن يقر قراره حتى يرى دم ماجد متسربل بأصيله
أفمثلكم يلقى على أمثالنا خطباً تندد بالشرى وشبوله
أبكيتم عين الهدى - أبكيتم - لما حشرتم نفسكم برعيله
فزعمتم ان التحرر فى الورى عطل وان الخير فى تعطيله
والمنطى ما زال فى استقلاله فإباؤه الاذعان من تطفيله
وإذا رمى أوطانه بجهنم فهو الزميل قضى حقوق زميله

ومنها :

المجد للوطن العزيز بجيشه وطناً تفيأ فى ظلال نصوله

---

(١) ديوان محمد بهجة الأثري - مخطوط - الجزء الثاني .

قد شد أزرك يا مؤيد فانتقم　　للحق ممن أظلموا لسبيله
فك النفوس من الأسار فإنها　　تحت الأروض السبع من تذليله
لا حكم بعد اليوم إلا بالذى　　ترضى به وتعز فى تنويله
حررته من رقة وجعلته　　يطأ السموات العلا بخيوله
فأقمت معجزة الزمان ولم يزل　　هذا الحسام يقيمها بصليله
لا تسمعن الى لسان غيره　　أبداً ولا تقنع بغير دليله
عرش أقمت علاه فوق دعائم　　هن الجبال الشم من تأثيله
ومنعته من كل لص لم يخف　　ألق الضحى بصعوده ونزوله
جعل السياسة جنة فضربتها　　وضربته وشفيت حر غليله [1]

والخضر الطائى قصيدة رائعة بعنوان (نوح الحمائم) رثى بها أبطال القومية العربية الأحرار . . العقيد صلاح الدين الصباغ ، والمرحوم الوزير يونس السبعاوى ، وفهمى سعيد ، وكامل شبيب ، ومحمود سلمان . .

أقيمت عليكم فى الصدور الكواتم　　مآتم لا تنفك إثر مآتم

ومنها :

ألا يا بغاة الشر ما ضر لو مشت　　سياستكم فى غير طرق المآثم
قتلتم حماة الأرض والعرض والهدى　　وقيدتمو أنصارهم بالأداهم
فتحتم بهاتيك المشانق فتنة　　تعود عليكم بالخطوب الجسائم
لئن ركبوا أعوادهن منابراً　　لقد أنهضوا فيهن حر العزائم
وقد خلفوا فى ذمة الشعب مبدأ　　سيبنى عليه الشعب أقوى الدعائم
وقد خيروا بالذل أن يتقوا الردى　　فلم يرتضوا إلا سبيل الضراغم
فجاؤا الى جلادهم وهو عابس　　ولاقوا المنايا فى ثغور بواسم

---

(١) ديوان ابراهيم أدهم الزهاوي ـ مخطوط .

إذا شيد الأحرار بالدم مجدهم فذلك باق عالما بعد عالم (١)

٢ - وثبة ١٩٤٨ م

إن معاهدة (بورتسموث) التى أُتفق على ابرامها بين الحكومة العميلة فى العهد الأسود المندثر وبين الاستعمار .. قد اطفئت بفيض من دم الأحرار من أبناء الشعب العراقى النجباء .. وأثارت مشاعر الشعراء الأحرار وهزتهم هزاً .. فقد نظم فيها كثير من شعراء العراق المعروفين .. فمن نظم فيها الشاعر الملهم الاستاذ حافظ جميل .. فله فيها قصيدة عصماء تزخر بالنقمة على الحكام الأشرار من ركائز الاستعمار فى العهد المندثر .. وتطفح بالحماس والشعور المتأجج .. فى اسلوب سام متين .. وعبارة رصينة ، هذا بالاضافة الى عاطفة جياشة ، وصور رائعة شفافة .. وهى بعنوان : (إكليل الأربعين) ..

رشأ بغيهبـــة أغار ســلم المغيرُ من العثار
صدع الزحام بمنكبيه وهز راسخه فهار
ومضى فلم يمسك به روح التهيب والحذار
بغت القريع بهمة لا يستكنُّ لها أوار
يصليه خرطوم الحديد فلا يزيد سوى استعار
ينحو له أنى نحـــا يدور من حيث استدار
فكأنما انهمر الرصاص عليه فى وهج النضار

وعلى هذا النسق الرائع يجرى الاستاذ حافظ جميل حتى يقول :

أمثير ذكرى الأربعين أثرت أوجع ما يثار
زرت الشهيد معفراً ماذا خلعت على المزار
أوضعت إكليل المنو ن عليه أم إكليل غار

(١) ديوان خضر الطائي ـ مخطوط ـ نسخة في مكتبتي الخاصة .

أغمرته بالورد أم بسخين أدمعك الغزار
حق الشهيد عليك أكثر من طواف واعتمار
نمّق اغض شبابه ورداً كمهجته ازدهار
نمّق له زُهر الأماني لفّ ضاحكها السرار
نمّق له ثكل الأمومة والعشيرة والديار
نمّق له شعبا تخبط بالضحايا فاستثار
أسياسة هي أن يُعنّف بالوديع فيستثار
عُجب المدلّ اذا طغى جرّ الحياة الى دمار
حمم الجبال زحامها والضغط آخره انفجار
يتعلل المظلوم أن له مع الظلام ثار (١)

ولابراهيم ادهم الزهاوي قصيدة عامرة بالعواطف الثائرة . والأحاسيس الجياشة . . وهي بعنوان (شهداء الحق) . .

شهداء الحق والحق عليّ ظهر الأمر بكم وهو خفيّ
لم تزل ايدي العدا مطلقة مالنا منهم نصير ووليّ
رب نفس شهدت انفسهم حيث لا حفل ولا لحن شجي
يا لثارات ليوث جدّلوا علم النصر عليهم سرمديّ
رجعوا الحق الى ميزانه بدماء كلها روح زكي
ذكرونا بعهود سلفت كاد يطويها انقلاب أمميّ (٢)
بأبي انتم وامي فتية كل شيخ بعدكم جلد فتي
لم تزالوا للمعالي سنداً والمعالي ما بها ميت وحيّ
لم يزل منكم شجاع صامداً بيد عضب واخرى سمهري

(١) نبض الوجدان : ص ٢٩٨ لحافظ جيل . مطبعة الرابطة : ١٩٥٧ م بغداد
(٢) الحاصل من الحرب العالمية الأولى .

يزعج الطاغين عن طغيانهم   فلهم فى الارض ابعاد وعىُ
قد فجعتم بحياة حبيت   ليس بالمفجوع حى أبدى
شهداء الحق ما اجرأكم   أين منكم اسد الغاب الجرى
ان يوم (الجسر) يوم كله   أمل فى جبهة الدهر وضىُ

ومنها :

دهش القوم غداة استقبلوا   منكم قتلى رماها عربىُ
صار (جنكيز) له ثانى الألى   بالدم الطهر لهم شبع ورىُ
قسماً لو قدرت شفرته   لم يفتها من بنى الدهر صبىُ
رفعت من ذكركم أوطانكم   فله فى الكون مضمار قصىُ
ومشت خلف جنازات الضحى خشعا ليس سوى الدم نجىُ (١)
هذه عاداتها مذ نشأت   ومن العادات روح علوىُ
نوب الدهر غذاء للنهى   واضطرام الشمس للأحرار فىُ (٢)

وللخضر الطائى فى هذه الانتفاضة الخالدة قصيدة بعنوان (وقعة الجسر) . . وهى :

غضبت وثار على الطغاة اباؤها   هيهات تسكن أو يزول شقاؤها
ظن الغبي بانه سيصدها   بوعيده ، فتزلزلت ارجاؤها
يا من تحداها وكاد وراءها   ارأيت كيف اباؤها وبلاؤها
كتبت يداك لها جرائم لم تزل   حتى محاها بالدماء اباؤها
من كل ليث فى النضال ولبوة   لا الحرب ترهبهم ولا لأواؤها
يا سائلاً (بغداد) كيف جهادها   هذى ضحاياها وتلك دماؤها
حيا الأله شبابها وعزائما   طلعت بهن رجالها ونساؤها

(١) جمع ليس بمفرد .
(٢) ديوان ابراهيم أدهم الزهاوي : مخطوط .

يا وقعة (الجسر) التى خلدت بها غر الفتوح تجددت انباؤها
خلدت ذكرى الفاتحين تخلدى ذكرى تكلل بالفخار سناؤها
ذكرى شباب لا تلين قناتهم حتى تلين لبأسها اعداؤها
ثاروا على الطغيان اعظم ثورة ضم القلوب الى القلوب نداؤها
وجرى الاباء الحر فى دم أمة سن الاباء لأهلها آباؤها
فتدافعت اشبالها ولباتها وتأزمت من بأسهم هيجاؤها
وتزاحمت فى الجانبين كأنما رايات(سعد) أجلبت ضوضاؤها
هذا (مثناها) وذاك (ضرارها) وهناك(خولتها) وذى(عفراؤها)
جاءت لتقتحم الرصاص بهمة يربو على حر الرصاص صلاؤها
عزلاء إلا من سلاح عقيدة يضرى مضاء الجائرين مضاؤها

* * *

يا من رأى بغداد فى هيجائها وعلى الصعيد تكدست ابناؤها
ثكلى تلفت لهفة وتدلها فترى شبيبتها هوت اشلاؤها
فى فتنة فتحت مغالق بابها ليدس فيه سمومهم اعداؤها
وقفت تنوح على مصارع فتية نهضت على اشلائهم علياؤهم
يا ايها الشهداء فى سوح الوغى حسب المفاخر انكم شهداؤها
فى ذمة التأريخ سيروا واخلدوا فى المكرمات فانكم لألاؤها
لم يذهب الدم باطلاً أحييتم أمل البلاد وأبلست خصماؤها (١)

وللشاعر العبقرى الاستاذ خالد الشواف قصيدة رائعة بعنوان (الوثبة) مثبتة فى ديوانه المطبوع فى عام ١٩٥٨ م (من لهيب الكفاح) .. طافحة بالنقمة على الطواغيت الذين أجرموا بحق الوطن .. وتفيض بالصور الحماسية الثائرة التى تجعل المرء يحرق الأرم على الظلم ودعاته ..

(١) ديوان خضر الطائي : مخطوط .

اقسمتْ بالدم أن تمحو السطورا أمة صيرت الوادى سعيرا
ومشت عجلى الى اهدافها تزرع الدرب ضراما وزئيرا
تحسب الاشواك فى اقدامها حيث تحدوها البطولات زهورا
وثبت فوق اللظى باسمة وثبة الصادى اذا شام الغديرا
ليس تدرى وهى فى جاحمها اهى تستاف دخانا أم عبيرا
لوّح العتق لها خلف الردى ودعاها ، والردى يدعو ثبورا
هتفت بالموت لما بصرت خلفه للمجد بعثا ونشورا
هيه يا موت . . لقد آلى الفدى ان يلبيك بشيراً لا نذيرا (١)

وللشاعر المبدع الشيخ عبدالمنعم الفرطوسى (شاعر النجف الكبير) قصيدة عصماء فى هذه الانتفاضة . . بعنوان (دم الحرية) :

دم تحدر مصبوبا على النار فأخمد الظلم فى تياره الجارى
ومنبع من شعور ثار مندفعا فى فيلق من جنود الحق جرّار
يجرى فتحتضن الآمال من حدب أمواجه بين إجلال وإكبار
فى مهرجان به الأحرار قد خطبت حرية الشعب فى إرخاص أعمار
عواطف أريحيات بها عصفت شهامة حرّقت زنداً لها وارى
ونجدة من صميم الحق قد صهرت فأفرغت وقدها فى كل مغوار
وانفس عربيات أبت شمماً ان تكتسى برداء الذل والعار
فألبست من دماها وهى عارية أسمى واشرف ما يكسى به العارى
لحق للوطن الغالى وقد سُفكت به دماء بريئات لأبرار
أن يفتدى مأتما من أدمع ودمع إن الضحايا به أرواح أحرار
يا ايها الوطن الدامى عل رهج من الرزايا به دوّى كاعصار
نضالك المرُّ تأريخ يصوره لك الخلود بأسفار وأسفار

---

(١) من لهيب الكفاح ، ص ٦٦ لخالد الشواف . مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٨ م .

وتضحياتك للأجيال مدرسة تملى عليها دروساً عهد (ذى قارى)
شرفته بدم الاحرار متقداً إن الدم الحر بركان من النار

وعلى هذا النسق الجميل، والاسلوب الرائع، والعاطفة الثائرة، والخيال المحلق، والمعانى السامية، يتدفق الشاعر الكبير عبدالمنعم الفرطوسى تدفق الأتى المنحدر، الى أن يقول:

فى ذمة الوطن المهضوم ما لقيت بنوه من كيد سفاح وجبار
فى كل يوم تسوس الحكم جالية تلهو به بين ايراد وإصدار
من كل طاغية رق لامره محكم فى نفوس الشعب أمار
ومستبد عقيم الرأى منتبذ يجرى لغاياته فى كل مضمار
لا يعرف الحكم فينا حين يملكه إلا حبائل غايات وأوطار
يبيع موطنه الغالى لمنصبه وهو الحقير فبئس البائع الشارى
أشدُّ فتكا وإضراراً على وطنى من الغريب قريب عاث بالدار[1]

٣ - ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م:

إن ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ م كانت تطوى فى ثناياها حلماً طالما راود مخيلات الشعب العربى فى العراق.. فقد هز هذا الحدث الجبار مشاعر الشعراء، وشحذ قرائحهم، وهم - كما تعهدهم - شعور مرهف، وإحساس ثائر، وأعصاب مستوفزة، ونفوس متمردة... فمن نظم فيها من شعرائنا الأفذاذ. الشاعر الكبير، حافظ جميل.. فله قصيدة عصماء القاها من وراء المذياع العراقى، ونشرتها الصحف البغدادية فى حينها.. وهى معلقة تنيف على الثمانين بيتا.. وعنوانها (شظايا الثورة):

أى حصن قحمت فى الديجور وطغاة رميتهم بالثبور

(١) راجع: ديوان الفرطوسي، ص ١٦٢، الجزء الاول، مطبعة الغري الحديثة — النجف سنة ١٩٥٧ م / ١٣٧٦ هـ.

أى عرش أزهى به البغىُ حتى عاجلته يداك بالتدمير
أى عهد داج طويت مع الليل مسجى بحلمه المقبور
طال صبر الأحرار واستفحل الخطب وجاشت أحلام ما فى الصدور
وتمادى الأشرار فى الكيد والبطش وأعيت وسائل التحذير
غرهم زيف حكمهم فاستطالوا فاحتكمنا لعاقبات الامور
واستعنا بالحق خير معين واستجرنا بالعدل خير مجير
من ملوك جازوا السماء عتواً وولاة قد أمعنوا فى الغرور
أين أبراج عزهم شامخات أين عالى قصورهم فى القصور
أين فضفاض عيشهم فى (رحاب) أين زخار أنسهم فى (الزهور)
هل حماهم من نقمة الله حام ووقاهم من نافذ المقدور
كسح الموت جمعهم بسلاح لم يذده عنهم سلاح الخفير
كبر الحق أن يعاليه كبر لعلىٍّ .. أو عزة لكبير
يا لطاغين لم تعظهم صروف لزمان أو عبرة لدهور
طاولوا الله كبرياءً وها هم دون أشق عبيده فى المصير
خاويات قصورهم ناعيات باكيات على الخنا والفجور
هالعات أرواحهم تتلظى فى جحيم من لعنة مسجور (١)

والقصيدة كلها على هذا النسق الجميل .. وهى تنفيس عن رغائب مكبوتة . وتصوير لمباذل الطغاة من (الملوك الأرانب) وأشباه الرجال .. وعرض رائع لما حل فى قصور الظلمة من بطش على يد المغاوير الأمجاد من رجال الجيش الباسل .. وللأستاذ الكبير محمد بهجة الأثرى موشحة لطيفة حيا بها ثورة ١٤ تموز ، وأسماها (نشيد ١٤ تموز ١٩٥٨ أو صباح الأمل) :

(١) جريدة « الحرية » ، العدد ١٢٩٣ ، السنة السادسة ، الخميس ١٨ ربيع أول ١٣٧٨ هـ ، ٢ تشرين أول ١٩٥٨ م .

أفقْ .. صباح الأمل المنشود لاحْ حلوَ الوشاحْ
لاح ولاحت فى حفافيه شُعلْ
لاح فغنى الفخر فيه والغزل
واندفع الشوق الى ثغر الأمل
هيمان حرّان .. بمحموم القبل
يبرى آلاماً ويأسو من جراح
ما آن للأشواق يوماً أن تُراح من النضاحْ
أفق صباح الأمل المنشود لاح حلوَ الوشاح

• • •

تألقت من السنا أوضاحهُ
وهز عطف الوطن التماحه
آنسه بعد الدجى إصباحه
فهاج من سروره صُداحه
واستضحك الكون وهاداً وبطاح
غرِدُ جذلان وللنفس انشراح من المراحْ
أفق .. صباح الأمل المنشود لاح حلوَ الوشاحْ

• • •

أفق .. فقد أدبر ليلُ الظالم
أفق .. فقد أفاق كلُ نائم
وثابَ لليقين كل حالم
وقامت الأعراسُ فى العوالم
وعجت الأرض سروراً ومراح
مع الصباح أرسلت شمس الفلاح بشرى النجاح
أفق .. صباح الأمل المنشود لاح حلوَ الوشاح

• • •

بُشراكَ .. صرحُ البغى قد دُكَّ فزالْ
زال كلمح الطرف من قبل الزوال
زال من الكون الى أخرى الليال
فهل عرفت الآل أو طيف الخيال ؟
أين غدوُ الظالمين والرواحْ ؟
عَفتْ من (الكذاب) آثار السفاح ومن (سَجاحْ)
أفق .. صباح الأمل المنشود لاح حلو الوشاح

* * *

قمْ بارك الثورة فى نجاحها
قمْ شارك الأحرار فى كفاحها
قمْ ساهر الأوطان فى أفراحها
قمْ واصحب العرب الى طماحها
وامش الى الثورة وثباً وجماح
إن منال العز والمجد الصراح رهن الكفاح
أفق .. صباح الأمل المنشود لاح حلوَ الوشاح (1)

وله أبيات جميلة فى هذا اليوم الأغر الخالد .. فيها روعة الخيال ، وسحر الشعر ، مع قوة فى الديباجة ، وحسن فى الصياغة ..

يا عيد تموز قد صاغتك قادرة يد صناع ، أعانتها يد القدر
اشرق بنور صباح ، كان مطلعه للشعب مطلع عز مشرق الغرر
يا مبعث الأمل المنشود زاهره كن مبعث العمل المحمود فى السير
وقف عليك أغانينا . فإن حسنت فمنك تحسن ، لا من رنة الوتر

(1) مجلة المدفعي ، ص ٢٢٦ ، العدد ٢٧ ، السنة الخامسة ، لشهر تموز ، آب ، ايلول ١٩٥٨ م .

أرأيت - عزيزى القارئ - قوة الشاعرية ، ودقة الوصف ، والعاطفة الفضفاضة ، والديباجة المتينة ، والمعانى السامية ، والإسلوب المشرق ، والنفس المتدفق ، والصور الرائعة ، كل ذلك فى شعر استاذنا الشاعر الكبير محمد بهجة الأثرى ..

وللشاعر خضر الطائى قصيدة رائعة فى الثورة ١٩٥٨ م . عبر فيها عن آلام الشعب المكبوتة ، وحيا القوة المنفذة التى حققت المعجزة ، القوة التى أجهزت على البغى وأهله ، المتمثلة فى الجيش الباسل ، والطائى من المؤمنين بمبدأ القوة فى الحياة . وهى بعنوان (الجولة الكبرى) :

أجل هكذا عهدى بباس الضراغم ... يدكُّ متون الراسيات الدعائم
وينتزع الحق السليب بهمة ... بصيد مداها فى الامور العظائم
أطاحت بتيجان الطغاة وحطمت ... عروشاً بناها البغى فوق الجماجم
تشاد لها فوق الضحايا هياكل ... تطاول هامات النجوم العوائم
تشير اليها بالسجود مطامع ... قد اتخذتها قبلة للمغانم
وتأنف قرباها نفوس أعزة ... ترى الذل أن تحيا بظل الالائم
قصور يموج العار فى عرصاتها ... بكل خليع سادر اللهو عادم
تطل المخازى من جميع جهاتها ... على بؤس شعب حاقد متحالم
لها من دم الأحرار نخب معاقر ... ومن أنة المكلوم عزف منادم
تبوأها رهط تبوأه الخنا ... وليس لعهد عنده من ذمائم

ومنها :

سلام على الجيش المظفر كم له ... يد فرجت من مأزق متلاحم
سلام على الأسد المغاوير طهروا ... مواطنهم من كل أرعن جارم
سلام على الاحرار فى كل موطن ... يناضل عن أحسابه والمكارم
أباة تلاقت فى الإخاء قلوبها ... لتحقيق آمال لهن جسائم

٤ ـ ثورة الجزائر العربية :

ثورة الجزائر معجزة من معجزات النضال فى تأريخ العالم الطويل . الثورة التى أقضت مضاجع الاستعمار فى شتى بقاعه وأرجاء أصقاعه سبع سنوات ، وكان وقودها من أبطال الجزائر ما يقارب (المليون والنصف المليون) ما وهنت وما كانت ، حتى أتت أكلها بالأمس القريب حيث قد أعلن الاستقلال الداخلى فى شهر تموز/ ١٩٦٢ م .

وقد حيا هذه الثورة الجبارة حين انطلاقها فى عام (١٩٥٤ م) كثير من شعرائنا الأعلام فى العراق . وقد أغفلهم الاستاذ عبدالكريم الدجيلى فى فصله آنف الذكر . . فممن نظم فى هذه الثورة المباركة . . الشاعر الكبير الاستاذ محمد بهجة الاثرى الذى يقول من قصيدة له مشهورة بعنوان (ثورة الجزائر) وهى طويلة تنيف على السبعين بيتاً . .

حُييت من شعب مساورْ وحُييتَ مأثور المفاخرْ
فاضلت (ظالمة الشعوب) ودنت (قاهرة الأساور)
وصرعت أبناء الحروب الجاذبين عرا الأواصر
المثكلين المؤتمين المترين على الكبائر
المرتوين من الدماء المتخمين من المجازر
لم يثنك البأس الشديد من المخاوف والمخاطر
كالطود فى شبح العواصف راسخ الجنبات واقر
تزكو على طول الجهاد وتستعز على المفاقر
كالتبر . . أنضر ما يكون إذا تقلب فى المصاهر
أصبحت من فوق الثناء وفوق مُنزلة المفاخر
لفتت بطولتك الزمان وهزّت الدول الغوادر
حتى غدت بجلالها مثلاً من الأمثال سائر

وعلى هذا النسق الرائع الجميل يستمر شاعرنا الكبير الاستاذ محمد بهجة الأثرى حتى يقول :

قسماً بما آلى بـــه والنجح من قسم المثابر
لتديل من حكم البغاة الحق كالإصباح زاهر
وتطوف باستقلالها الأنبـــاء ضاحكة البشائر
ويكون حظ عداتها غصص المذلة فى الحناجر[1]

وللشاعر المبدع الأستاذ خالد الشواف شعر جيد كثير فى هذه الثورة .. منذ انطلاقها الى يوم استقلالها . . فمن قصيدة له بعنوان (الجزائر) نظمها فى عام (١٩٥٥ م) يقول فيها :

قرّبى يا اخت ، فالعتق قريب هكذا ينتزع الحق السليب
تقطف النصر ، وان حف به أسل من شوكه ، الكف الخضيب
قرّبى يا أخت ، لا تستكثرى مهجاً فى جاحم النار تذوب
غلة للعتق يرويهـــا دم فى ثراك الطهر مسفوح حبيب
قرّبى أغلى أضاحيك ، فمن يبذل الغالى بالغالى يؤوب
انت يا أخت على الدرب الذى وصلت حين مشت فيه الشعوب
لك فى المشرق أجلى مثل تحتذى ، فالحر للحر ضريب
برىء الاحرار ، من نسبتهم يخطىء التاريخ دهراً وتصيب
يا فرنسا .. لست (أما) لهمو لا ولا در لهم منك حليب
يأنف الاحرار أن يرضعهم ابن بالعهر والبغى مشوب[2]

وله قصيدة مشهورة اخرى انشدها فى حفلة اقامها المحامون فى ناديهم لنصرة الجزائر فى ٨ آب من عام ١٩٥٧ م . وهى طويلة تنيف على الخمسين

---

(١) ديوان محمد بهجة الأثري ، الجزء الثاني ، مخطوط .
(٢) من لهيب الكفاح ، لخالد الشواف ص ٥٥ ، مطبعة الرابطة بغداد ، ١٩٥٨ م

بيتاً . . وهى طافحة بالثورة العارمة ، وتعج بالصور الحماسية الرائعة ، والمعانى السامية ، والعاطفة الجياشة الشفافة . . كل ذلك فى ديباجة (شوقية) رقيعة . . وكانت قد توجت بها الصحف صفحاتها الأولى فى حينها . . ثم نشرت فى ديوانه (من لهيب الكفاح) المطبوع فى عام ١٩٥٨ م .

ومنها :

دع الخيالات لاستحياتها تجم ... كم واقع ليس يشأو شاوه حلم
ان جمجمت أمم بالأمس حالمة ... فاليوم تفصح عن احلامها الأمم
اين الاساطير مما سطرته يد ... ينصب منها الدم المسفوح لا الكلم ؟
اين الملاحم من شعب برمته ... على الجزائر يدرى كيف يلتحم ؟!
وأين من ناره الحمراء قافية ... ان لم يشب بها من مسها ضرم
واضيعة الشعر ان لم ينفجر غضباً ... على الطغاة وفى أبياته رجم
وان اشاح وقد نادته آصرت ... من العروبة والإسلام تهتضم
بيضاء زهراء .. ان سال النجيع بها ... يزيد فى طهرها طهراً ولا يصم [1]

وصف المخترعات العلمية الحديثة

فى الشعر العراقى المعاصر

من سمات التجديد فى الشعر العراقى المعاصر ، وصف المخترعات العلمية الحديثة ، وهذه الإلتفاتة الطيبة من شعرائنا الأفاضل سابقة محمودة فى الأغراض والمقاصد . . . ودليل قوى على أن الشعر ظاهرة حضارية . . ولا يغرب عن البال ذكر قصة الشاعر الخالد على بن الجهم مع الخليفة المتوكل . . حين مدحه بقوله :

(١) من لهيب الكفاح ، ص ٥٩ لخالد الشواف ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٨ م بغداد .

أنت كالكلب فى حفاظك للعهد وكالتيس فى قراع الخطوب

وكان حديث عهد فى ولوجه باب الحضارة ، وهجره البداوة والصحراء .

فلما استقر به المقام فى حاضرة الحضارة ، ومركز الفنون والاداب ، ومنتجع العلم والعلماء (بغداد) أنشده قصيدته المشهورة :

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وهى فى الغرر والعيون من الشعر الخالد . . وليس من الشعر العربى وحده ...!

وهذا فصل وضعناه إشباعاً للبحث وسداً للفراغ الذى أحدثه الأستاذ عبدالكريم الدجيلى فى محاضراته . فكان يقتضيه البحث العلمى والأمانة الأدبية أن يعرج الى مثل هذا الفصل المبتكر . . الذى هو من ألزم الفصول واهمها بالنسبة لكتابه الذى عرف فيه ببعض اغراض الشعر العراقى الحديث . .

فنى عام ١٩٥٧ م أطلق الروس قمراً صناعياً ، كان معجزة من معجزات العلم فى القرن العشرين وأعجوبته . . فانبرى ثلة من شعراء العراق يحيون هذا المخترع الجبار ، مكبرين هذا العمل المعجز ؛ فللأستاذ الكبير محمد بهجة الاثرى قصيدة عصماء يحي فيها أعجوبة العصر وثمرة الجهود العلمية الجبارة . . (القمر الصناعى) وجعل عنوانها (معجزة العلم : أو القمر الصناعى) :

واليت فى البدء الاعاجيب الكبر° فكيف لو جاوزت أطوار الصغر°؟
فكن على الخلق سلاماً وندى ولا تكن شراً ولا آلة شر
يا مخضع (الذرة) باقتداره فوردها منك بإذن والصدر
ما بالك اليوم خضعت طائعاً لزمرة من المجانين نوَر
حبست ما لوا اطلقوا من ذره لأصبح العالم بالذرة . . ذر

يا علم ، لو حازك غير طامع　　لكنت كالرحمة رفقاً وأبر

* * *

يا ما لكين الأرض ، هل ضاقت بكم　　فردتم النجم وهمتم بالقمر ؟
أية غايات المنى تبغونها　　من بعد ذا ؟ وأين أين المستقر ؟
قد أدهش الافلاك « جنى النهى »　　كيف تغشاها مرناً ودمر ؟
وسمر النجوم فى مسارها　　ما ابصرته من تهاويل البشر
وانتفض المريخ من حفاظه　　فأحمر غضبان وأرغى وبسر

وبعد ان ينتهى شاعرنا الأثرى من وصفه لهذه المعجزة الكبرى ، يستنهض (الشرق) الى التقدم والرقى ، فيقول :

يا شرق - والعالم من سباقه　　حولك فى هرج ومرج ونذر
أما تفيق يا أخا « الكهف » على　　هذا الضجيج - من سبات وخدر
كم هاتف مثلى . يا شرق أفق .　　فزاد فى النوم غطيطاً وشخر
يا رقية الصريع ، لم يجد الصريع فى الشفاء لا رقى ولا إبر
لست يؤوساً من شفاء ، ربما　　تأتى الغيوب بالجديد المنتظر(١)

وينظم الشاعر الأستاذ محمود الحبوبى - ابن أخى محمد سعيد الحبوبى - قصيدة رائعة يحي بها (معجزة القرن العشرين) .. يستهلها بمدح الأمة التى سمت النجوم فخاراً (الروس) .. وهى طويلة تنيف على الخمسين بيتا .. وجلها جاء فى مدح الروس وامتدح نظامها المعوج .. وقليل منها فى وصف هذه المعجزة الكبرى ..

يا أمة سمت النجوم فخارا　　زيدى الكواكب كوكبا سيارا
وضعيه فوق الجاذبية رتبة　　وليجعل الفلك الوسيع مدارا
ودعيه يحمل للسماء رسالة　　أرضـــية مشحونة أسرارا

(١) ديوان محمد بهجة الأثري ، الجزء الثاني ، مخطوط .

وصلى به (المريخ) أو أخواته وليبق للجيل الجديد منارا
شق به حجب الغيوب وحقق للعلم أبعد غاية أوطـارا
عبر الفضاء مشى الذهول على الورى وطغى الشعور المستكن وثارا
وتعقبته بكل قطر (آلة) تصغى لما أوما له وأشارا
فالأرض كادت تستحيل (مراصداً) ترعى السماء ، وتغتدى أبصارا
يجرى فتكبو دون مجراه النهى وتسـير تابعة له ما سارا
هو للفضاء الرحب أول رائد شق الطريق الى السماء وطارا
ما كان إلا فكرة (جبارة) رفعت وأعلت شعبها الجبارا
بهر العقول ، فأى عقل نيّر لم يؤله الإجلال والإكبارا

وعلى هذا النسق الرائع ، والأسلوب المتين ، والعاطفة الشفافة التى تضفى على ديباجته الناصعة أبهى حلة ، وأزهى المطارف . يستمر الشاعر الحبوبى . . حتى يقول :

اعجوبة الفكر العجيب محبذاً علم أرانا الجهل كيف توارى
من ذا يطاول بالمواهب أمة تنشى النجوم وتخلق الأقمارا
ان تمنح الأمم الضعيفة رفقها فالأم ترفق بالبنين صغارا

وهذه الأم التى عناها شاعرنا الحبوبى هى كالهرة التى وصفها أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بقوله :

فيا لك هرة أكلت بنيها وما ولدوا وتنتظر الجنينا

المفروض فى الاستاذ الحبوبى أن يصف بقصيدته الرائعة هذه ، المعجزة الكبرى ، اعجوبة القرن العشرين . ويشيد بجهود العلماء الذين أخرجوا هذا المخترع العجيب بفضل جهودهم العلمية الجبارة . . إلا أن الشاعر جعل قصيدته وقفاً على مديح الروس والتبشير (لمذهبهم) الجديد . . ! !

فالأستاذ الحبوبى ـ ممن اعتنقوا الشعوبية مذهبا ـ فى الآونة الأخيرة . . أو ممن جعلوا من (أنفسهم) ذيولاً لركب الشعوبيين ! وبدخوله

اتحـاد الأدباء الذى أشاع مفاهيم (جهنمية) فى الأدب العراقى المعاصر واحتضن الشعوبية الحمـــراء الحاقدة على العرب وتراثهم ، والمتمثلة بأعضائه الغر الميامين . . ! تأصلت فى نفسه جذورها [1] . . وراحت تتدفق فى مجارى دمائه . . ولا ينكر أحد على الأستاذ الحبوبى شاعريته الفذة ، وأدبه الجم ، وجهاده فى سبيل الأدب القومى - قبلا - إلا جاحد للحق ، ومنكر للحقيقة . . وأنا من المعجبين بأدبه الرائع ! .

ثم يثنى شاعرنا المبدع الاستاذ محمود الحبوبى متسائلا عن الذين عمموا هاماتهم بالشمس ، واقتسموا السماء دياراً . . ليريهم هذه المعجزة الكبرى . . فيقول :

أين الألى قـد عمموا هاماتهم	بالشمس واقتسموا السماء ديارا
واستعذبوا نهر المجرة منهـلا	قطفوا الدرارى حوله أزهارا
ومضوا يصوغون الهلال كما اشتهوا!	للغيـد طوقاً تارة وسوارا
وسمت بهم أحلامهم حتى ارتموا	بين النجوم يرونهن عـذارى
وبنوا لهم فى كل أفق منزلا	تخذوا الملائك حولهم سمـارا
ام اين ارباب الخيال لينظروا	ذاك الخيال الى الحقيقة صارا
وتناول العلم الكواكب نازلا	ما شاء من ابراجها واختارا
وتبلج الفجر الجديد مردداً	صوت الحقيقة بيننا استمرارا
هذا هو القمر الذى انطلقت به	مقـذوفة تتجـاوز الأقـدارا
يسمو فترفض (النيازك) حوله	ذعراً ، وتبغى الشهب منه فراراً [2]

(١) لعل لبعض الشعوبيين عذراً - في اعتناقهم الشعوبية مذهباً وعقيـدة . . كبعض (الدكاترة) عندنا ، ممن توهموا انهم من حملة العلم والادب . وكالشاعر العبقري الكبير محمد مهدى الجواهري وغيرهم . . ولكن من أين يلتمس العذر لعربي قح - كان أجداده الأول فرسان الجزيرة العربية . . من آل عبد مناف . كالأستاذ الحبوبي ؟؟!

(٢) جريدة صوت (الاحرار) العدد : ٥٢ ، السنة ١٣ ، ١٥ - ١ - ١٩٥٩م ، وهي منظومة في عام ١٩٥٧ م .

والقصيدة - كما يرى القارىء - رائعة جديدة ، من حيث الإسلوب الفنى فى التعبير ، واللفظة الشعرية المنتقاة - والخيال السامى ، والديباجة المتينة .. والعاطفة الفضفاضة ذات الوشاح الشفاف .

ويقف الأستاذ الكبير محمود الملاح مبهوراً أمام (الصاروخ الكونى) ولا يدرى كيف يعبر عن اعجابه بهذه الاعجوبة الفذة ..

قذفوا الى جو السماء شهابا كى يفتحوا لفضائها أبوابا
(اللانهاية) أصبحت مرتاعة ولو أن ما قذفوه كان ذبابا
من هؤلاء ؟ وما عراهم انهم ؟ (صبيان كتاب) بغوا تلعابا
جازوا (امتحان صفوفهم) فتمردوا
وغدوا يرومون العلاء وثابا
انى احس حرارة لذاعة اتراهم ألقوا علىَّ ثقابا ؟
اين المجرة ؟ أين أصبح مجرها ؟ ما بالهم لا يرسلون حرابا ؟
هذى عفاريت طغت وتجبرت وبغت لعمران السماء خرابا
شقوا إهاب (نواتنا) وتجرأوا كيما يشقوا للسماء اهابا

والقصيدة طويلة تنيف على الاثنتين وتسعين بيتاً .. إلا انها اشبه بخواطر متناثرة .. يجمعها وزن واحد وقافية واحدة .. فنرى (الملاح) تارة يعرج الى (اخوان الصفا) واخرى الى (رسوم الصابئين) .. وطوراً الى (ارسطاليس الذى يحك قفاه إن ذكرت مناقب عصرنا استغرابا) ، ثم يخلص من جولته الشاقة هذه الى قوله :

قل للألى سجدوا لبدر نير معبودكم قد رابه ما رابا
فلسوف توطأ منه صفحة خده ان كان يرضى ما جرى او يابى
ولسوف يعنو للعباد كما عنوا من قبل دهر أوجها ورقابا

ومنها :

يا صاح : لا يغررك كبر مجرة كلا ولا شمس تفيض لهابا

ما هذه الأجرام إلا ذرة   فى جنب أجرام عظمن رحابا
ووراء هذى ثم هذى قوة   عظمت لدى عظما النفوس جنابا
لولا النظام لقلت ثم متاهة   سلك المجهول بواديا وهضابا[1]

أما الشاعر الرابع الذى نظم فى (القمر الصناعى) فهو السيد طالب الحيدرى . . وقصيدته جاءت أشبه (بلوح اعلانات) . . خالية من الروح الفنى ، والتعبير الشعرى ، اللذين عهدناهما فى شعره . . والقصيدة جاءت فى إحدى وعشرين بيتاً . وأبياتها السبعة الأخيرة جاءت وعيداً وانذاراً لدعاة الحرب . .

ويل دعاة الحرب ويل الاشرار
باؤا . وباءت (امريكا) بالعار
ولم يعد (دالس) إلا كالفار
(القمر الروسى) خير إنذار
يرد كيد المستبد الغدار
مجدك (امريكا) أراه ينهار
ليست تفل النار إلا بالنار

هذا كل ما أراد أن يقوله السيد طالب الحيدرى فى (القمر الروسى) . . ولم يسمع أحد ـ من قبل قول الحيدرى ـ ان النار تفل بالنار . . وانما المعهود : لا يفل الحديد إلا الحديد . . وان النار تطفى وتخمد . لا تفل يا أستاذ . .[2]

---

(١) جريدة (الحرية) العدد : ١٣٩٣ ، السنة السادسة ، ص ٣ الصادر في يوم الاربعاء ١٩ رجب ١٣٧٨ هـ ، ٢٨ كانون ثاني ، ١٩٥٩ م .

(٢) راجع القصيدة في ديوان (نضال) ص ٣٨ لطالب الحيدري ، مطبعة المعارف ـ بغداد ، ١٩٥٨ م .

وختم المؤلف كتابه بفصل (الشاعر محمد مهدى الجواهرى) الذى استهلك سبعا وستين صفحة من صحائف الكتاب البالغة (٢٢٣) صفحة . ولا تثريب عليه فى ذلك ، لأن الجواهرى - كما علمت - كان له الفضل الاكبر فى إرساله محاضراً فى معهد الدراسات العربية العالية فى القاهرة . . وكأن الشعر العراقى الحديث من (١٩٠٨ م ، ١٩٥٨) يتمثل فى الجواهرى . . ولم يخطر على بال المؤلف ان فى العراق شعراء يطوون (أبا فرات) تحت أجنحتهم .

وفى الختام اكتفى بذكر أسماء الشعراء الذين اسقطهم المؤلف - انصافا لهم واحقاقا للحق ، وهم الشاعر الكبير كاظم الدجيلى ، والشاعر الفحل الشيخ حميد السماوى ، والشيخ مهدى الحجار ، واحمد الفخرى ، وفاضل الصيدلى ، وعبدالعزيز الجواهرى (شقيق محمد مهدى الجواهرى) والشيخ محمد السماوى (١٨٧٦ م ، ١٩٥٠ م) وشكرى الفضلى ، وعبدالحميد الراضى ، ومحمد هادى الدفتر [١] والمرحوم ابراهيم الباجه جى [٢] والشاعر الشهيد الرئيس الركن نعمان ثابت عبداللطيف المقتول فى (١٩٣٧ م)[٣] ، والمرحوم الأستاذ عبدالستار القرغولى (١٩٦١ م) والمقدم كمال عثمان ، والأستاذ مكى عزيز ، والأستاذ كمال نصرت .

---

(١) شاعر كبير له من الآثار الشعرية المطبوعة (من وحي المصايف) في (١٣٦) صفحة من القطع المتوسط ، مطبعة النجاح - بغداد عام ١٩٤٥ م ، ١٣٦٤ هـ .

(٢) له ديوان شعر مطبوع في بغداد عام ١٩٣٩ م اسمه (زنابق الحقل) . .

(٣) له ديوان شعر حققه وطبعه الاستاذان المرحومان عبدالستار القرغولي والحاج ابراهيم أدم الزهاوي اسمه (شقائق النعمان) في مطبعة بغداد ، ١٩٣٨ م ، ١٣٥٧ هـ ويقع في (١٤٤) صفحة من القطع الكبير . .

ثبت الكتاب

الفهرست

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٣ من الهامش	سنة ٢٩٨ ﻫ	سنة ٢٩٦ ﻫ
٣٩	١ من الهامش	رئيس محكمة تمييز العراق	رئيس مجلس التمييز الشرعي
٩٥	٣ من الهامش	طبعه صديقنا الاستاذ علي الخاقاني	طبعه صديقنا الاستاذ علي الخاقاني بالاشتراك مع السيد محمد رضا السيد سلمان المحامي ، في مطبعة الزهراء، النجف ١٩٤٨م
١٧٦	١٠	الصيان	الصبان

آثار المؤلف

١ ـ أشباح وضلال (شعر) صدر عام ١٩٦٢ م بغداد
٢ ـ احزان الطبيعة (شعر) ، مخطوط
٣ ـ رباعيات الجبوري (شعر) مخطوط .
٤ ـ صرخات عربية (شعر) مخطوط
٥ ـ ابو العلاء المعري (دراسة ادبية) .
٦ ـ ديوان ابراهيم ادهم الزهاوي المتوفى عام ١٩٦٢ م (جمع وتحقيق)
٧ ـ شرح وتحقيق ديوان الشاعر الشامي المعروف بابن النقيب المتوفى عام (١٠٨١ ﻫ) . تحت الطبع .
٨ ـ شعراء العروبة في القرن العشرين (عدة اجزاء) . مخطوط
٩ ـ نقد وتعريف ، بين يديك .

صدر للمؤلف :

أشباح وظلال

(شعر) ١٩٦٢ م بغداد

يصدر قريبا :

ديوان المرحوم الحاج ابراهيم أدهم الزهاوي

الثمن ٤٠٠ فلساً